ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل

تاليف : تمام البرازي

مكتبة مدبولي
القاهرة

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل

طبعة أولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م

الناشر
مكتبة مدبولي
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع
تليفون ٥٧٥٦٤٢١

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل

تأليف : تمام البرازي

مكتبة مدبولي
القاهرة

الفصل الأول

المعارضة السورية

الفصل الأول

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل:

بقيت المعارضة السورية صامتة مدة ١٨ سنة، منذ عام ١٩٧٠، مع مجئ حافظ الأسد إلي السلطة وإلى أيام قليلة خلت...

في هذا التعميم شئ من عدم الدقة :

أولاً: لأن المعارضة السورية لم تكن واحدة، بل كانت واقع معارضات متباينة، وأحياناً مختلفة مع بعضها بعضاً، وأن كانت تشترك بهدف واحد هو العمل علي اسقاط النظام القائم، وأقامة نظام بديل له.

ثانياً: لأنه كان هناك بعض الفدائيين من المعارضة السورية لم يصمتوا، واستمروا في الجهر لمعارضتهم وتعرية النظام، وقد دفع هؤلاء ثمناً غالياً لتعلقهم بالمبادئ والحرية، هو حياتهم. وكان من بين هؤلاء صلاح الدين البيطار الذي اغتيل علي يد مخابرات النظام السوري في باريس.

وأخيراً قررت المعارضة السورية الكلام، وعلي صفحات "الوطن العربي" تحديداً... لماذا؟

ربما لأنها لم تعد معارضات متنابذة كما في السابق، بل أخذت تشكل معارضة موحدة بدأت نواتها تتكون تحت مطارق النظام في مدينة حماه. ولأول مرة يحدث أن تنظيمات المعارضة السورية أجرت نقداً ذاتياً، وقررت

الانتقال من العمل المنفرد ضد النظام، إلي العمل الجماعي الموحد ليكون نواة ديمقراطية جديدة قائمة علي التعدد الحزبي بعد سقوط النظام الحالي.

والسبب الأهم أن المعارضة السورية لديها اليوم من المعلومات ما يفيد بأن الأجل قد أقترب، وينبغي أن تكون مستعدة للعمل السريع حتي لا تؤخذ علي حين غرة.

"الوطن العربي" حاورت عشرة من كبار شخصيات المعارضة السورية، من مختلف الاتجاهات، في ثلاث عواصم. واستغرق مجموع هذه الحوارات حوالي ٣٠ ساعة تسجيل علي الأشرطة وستنشرها تباعاً في حلقات.

وقد تكلمت المعارضة السورية كما لم تتكلم من قبل قط... والحوار مع حمود الشوفي ليس إلا البداية.

حمود الشوفى / حافظ الأسد رجل أمن لا رجل دولة :

هذا الملف الكبير يطرح فى الصحافة العربية لأول مرة. المعارضة السورية فى الداخل والخارج لم تعد وهماً أو سراباً وهى معارضة وطنية تضم مختلف الاتجاهات والطوائف، وقد أقامت بينها تحالفاً اطلقت عليه اسم «التحالف الوطنى لتحرير سوريا» . ويقوم هذا التحالف على دعامتين: اسقاط النظام القائم واحلال نظام ديمقراطى محله يعتمد التعددية الحزبية.

أمضت عدة أسابيع فى أعداد هذا الملف، أجرت حوارات ساخنة مع أقطاب هذه المعارضة السورية من مختلف الاتجاهات: البعث والاشتراكيين والقوميين العرب والناصريين والشيوعيين والأخوان المسلمين.

حوار مع حمود الشوفي:

كان سفير سوريا السابق فى الأمم المتحدة وأحد قدماء زملاء حافظ الأسد، وأحد اقطاب المعارضة السورية اليوم فى الخارج.

وحمود الشوفى : عازل نفسه من واشنطن عزلة قاتلة وينتقده البعض لمواقفه الماركسية السابقة...

أقطاب المعارضة العربية ليس لها عنوان حتى يتم الاتصال بهم. ولكن عندما يأتى الأمر إلى المعارضة السورية فإنها من أصعب المعارضات العربية، وكذلك الوصول إليها. وحتى إذا وصل المرء إليها فإن أفرادها يترددون فى إعطاء الأحاديث الصحفية. وكما فتحت «الوطن العربى» ملفات المعارضة الليبية، فهى تفتح الآن ملف المعارضة السورية. ونبدأ هذه الخطوة المحفوفة بالمصاعب والمحاذير بلقاء مطول مع حمود الشوفى ممثل سوريا الدائم فى الأمم المتحدة سابقاً والذى استقال من منصبه فى ٢٧ كانون الأول من عام ١٩٧٩. وحمود الشوفى ولد فى عام ١٩٣٥ فى مدينة محافظة السويداء السورية، ودرسى فى هذه المحافظة وعاش أجواء النضال السورى فى الخمسينات فى جبل العرب الشامخ. ثم انتقل إلى دمشق ليتخرج من جامعتها باجازة في الآداب. ومارس العمل الحزبى فى حزب البعث العربى الاشتراكى فى الجامعة وخارجها. وبعد أن تخرج ليمارس مهنة التدريس فى محافظة السويداء لم يسمح له بذلك إلا لثلاثة أشهر لأن القانون آنذاك كان يحرم على الموظف الحكومى ممارسة النشاط الحزبى، وأدى ذلك إلى أعتقاله.

وفى فرصة نادرة وأثناء أسفاره العديدة وتنقلاته فى الأقطار العربية والدول الغربية التقت «الوطن العربى» فى واشنطن حمود الشوفى الذى أصدر نظام حافظ الأسد حكماً بالأعدام عليه فى عام ١٩٧٩، وصادر أملاك زوجته فى سورية، لأن الشوفى ليست لديه ممتلكات سوى عمقه الفكرى والسياسى، وتفانيه فى خوض غمار التنظيم الدؤوب للتوصل

إلى قيام نظام سورى ديموقراطى حقيقى فى سوريا. وفيما يلى الحوار الذى أمتد أربع ساعات وتصف.

– الوطن العربى: من هو حمود الشوفى؟

* حمود الشوفى: بدأت حياتى العامة فى حزب البعث منذ أن كنت طالباً فى الثانوية العامة. وبعد التخرج أنصرفت كلياً للعمل الحزبى، وتخرجت ببكالوريوس لغة عربية. ولما قامت ثورة ٨ آذار (مارس) انتخبت أميناً قطرياً للحزب فى سوريا وعضواً فى القيادة القومية. وبقيت كذلك حتى شباط (فبراير) ١٩٦٤. وحدث وقتها خلاف داخل الحزب واستقلت من عضوية المجلس الوطنى لقيادة الثورة ومن الحزب. طبعاً فى بلادنا كما تعرف، الإنسان له طريق واحد مع أننى تركت تنظيم الحزب إلا أننى أعتبر نفسى بعثياً، وهذا وسطى ومجال نشاطى بمعنى قومى عربى مؤمن بالديموقراطية. وحزب البعث بالأساس هو حزب ديمقراطى وقومى عربى قبل أى شئ آخر. فى أواخر ١٩٦٥ طلب منى الذهاب إلى أندونيسيا كسفير، وبقيت خمس سنوات هناك ثم سنتين فى الهند. وآخر منصب شغلته فى وزارة الخارجية السورية هو أننى كنت المندوب الدائم لسوريا فى الأمم المتحدة، حتى أستقلت فى أواخر سنة ١٩٧٩، وأنضممت للمعارضة السورية. وكنت أعمل مع المرحوم الأستاذ صلاح الدين البيطار حتى أغتيل فى باريس عام ١٩٨٠ ولا نزال نسعى لتغيير النظام وإقامة نظام ديموقراطى فى سوريا.

– بعد عودتك كسفير من الهند إلى دمشق ماذا حدث، ولماذا عدت مع أن السياسى الذى كان يمثل خطراً يبعث سفيراً؟

* لقد طلب منى حافظ الأسد أن أعود، لأنه فى عام ١٩٧٠ تفرد الأسد بالسلطة فى سوريا. والخصومة القديمة فى حزب البعث كانت بيننا وبين مجموعة صلاح

جديد. وعندما استلم حافظ الأسد السلطة كانت عنده رغبة في أن أتعاون معه. لكن لم يكن ذلك وارداً بعد أن تبين لي وله أننا على طرفي نقيض في نظرتنا لنظام الحكم والسياسة العربية والسياسة الخارجية وكل نواحي الحياة السياسية، ولم يكن ممكناً أن نتفق على أي شئ. ولذلك بقيت في الخارجية السورية منذ ١٩٧٢ وحتى ١٩٧٨ كمدير إدارة أميركا.

– هل أجتمعت مع الأسد؟

* أجتمعت معه في عام ١٩٧١ قبل نقلي من الهند لدمشق.

– كم أستمر الحوار بينكما وما تتذكر منه؟

* الحوار كان طويلاً وأستمر أكثر من أربع ساعات وكان شاملاً. أن نظرة الأسد للأمور لم تكن نظرة رجل دولة بل كانت نظرة رجل أمن. أن الأسد يفتخر بأنه الناس بأكثريتها الساحقة تؤيده كما لم تؤيد زعيماً من قبل. وهو يعتبر أن التأييد الشعبي الذي قوبل به عندما قام بإنقلابه أو بحركته التصحيحية ضد صلاح جديد ومجموعته، أعطاه شرعية مطلقة ليحكم البلد كما يريد وبشكل فردي. كنت أرى شخصياً أنه يجب أن يستثمر هذا التأييد الذي قوبل به لبناء مؤسسات دستورية ليعود بالنظام إلى الديموقراطية. وحجتي الرئيسية التي طرحتها عليه هي أن الناس أيدته ليس محبة بشخصه بقدر ما كانت الناس تكره النظام الفردي الذي سبقه، فإذا أراد أن يكرر الصيغة ذاتها فيسكون مصيره نفس مصير من سبقه.

– ماذا كان رد فعل الأسد على هذه المقولة؟

* قال بصراحة لي أن قضية الحكم في بلادنا هي قضية سهلة للغاية. وتعليله أننا يجب أن نأخذ الناس كأفراد ونتساءل عندئذ ما هي مطالب الناس. وبرأي الأسد أن

الناس لهم مطالب اقتصادية بالدرجة الأولى. فمن لا يملك بيتاً يريد أن يملك واحداً، والذى لايملك سيارة يريد سيارة، والذى لديه سيارة يريد سيارتين وهكذا. وهو يعتقد أن هذا النوع من المطالب يستطيع أن يحققها بشكل أو بأخر، وبعد تحقيق هذه المطالب ماذا يظل لدينا؟ على حد تعبيره يبقى مائة أو مائتين بالكثير، وهؤلاء برأيه يشتغلون جدياً بالسياسة وهم كما قال سيكونون ضده مهما فعل، وسجن المزة أصلاً مبنى من أجل هؤلاء. إذن فلسفة الأسد للأمور أو نظرته إلى الحكم أنه قسم مجموع الشعب إلى قسمين: المعنيون بالسياسة والجادون من الناس وهؤلاء مصيرهم السجن، والأكثرية المطلقة برأيه ليست لهم إلا المطالب الأقتصادية ومتطلبات العيش.

– بماذا جابهت الأسد إزاء هذا الطرح؟

* قلت له أنه إذا كنت تعتبر نفسك جدياً فإن مصيرك هو نفس مصير المائة أو المائتين الذين تتكلم عنهم، لأنه لا يمكن أقامة نوعين من النظام فى بلد واحد، جزيرة صغيرة فيها كل الحرية دون أى مسؤولية أى حكمك أنت وجزيرتك أنت، والناس كلها موضوعة فى سجن كبير، وهذا السجن فى الأخير سيلف الجميع. وفى واقع الحال لو نظرت لحافظ الأسد أو لأى حاكم فردى من هذا النوع فإنه فى سجن، مثل باقى الأفراد، ولكنه لا يتعذب مثل باقى الناس.

– كيف تقبل الأسد كلامك القوى؟

* كانت العلاقة الشخصية بيننا تسمح بحوار صريح لهذه الدرجة وهى علاقة قديمة من أيام الحزب.

– بعد هذه المجابهة، لماذا قرر إبقاءك فى الخارجية السورية؟

* ربما كان يعتقد أن وجودى فى دمشق من وجهة نظره الأمنية أخف أذى من وجودى فى الخارج.

- إذن لماذا أوفدك إلى الأمم المتحدة؟

* لأنه اطمئان أثر ست سنوات من بقائى فى دمشق.

الفصل الثانى

اغتيال البيطار

الفصل الثانى

لهذه الأسباب وقع الاختيار على صلاح الدين البيطار لاغتياله

النظام نصب فخاً فى حماه لفرز الناس طائفياً

– ما هو العامل الحاسم فى أستقالتك كممثل دائم لسوريا فى الأمم المتحدة؟

* فى الحقيقة لم يكن قرارى بمفردى، بل كان قرار المجموعة التى كنت أعمل معها وعلى رأسها الأستاذ صلاح الدين البيطار رحمه الله. فى عام ١٩٧٩ حصل مد شعبى فى سوريا وخيل لنا أن الوقت مناسب لإبراز معارضة وطنية قومية تستجيب فعلاً لمطالب أكثرية الناس، وخاصة بعد أن بدأت عمليات قام بها الأخوان المسلمون وكانت تهدد بفتنة طائفية داخل البلد، ولأثر السياسى لهذه الفتنة أن كل طائفة تتخندق فى موقعها الخاص. أما بروز معارضة وطنية رأسها المرحوم صلاح الدين البيطار فقد كان كفيلاً فى أعتقادنا أن يجمع فعلاً كل القوى الفاعلة فى ساحة العمل العام. ولسنا نحن الذين قدرنا ذلك فحسب ولكن النظام نفسه توقع مثل هذه النتيجة، وهذا ما يفسر أغتيال صلاح الدين البيطار.

– لكن بالإضافة إلى هذا العامل هل كانت هناك عوامل فلسطينية أيضاً؟

* العامل المباشر هو تقديرنا أنه آن الأوان لتبرز معارضة وطنية علنية على السطح وتعبر عن رأى الناس فى الداخل والخارج، ضمن الاتجاه القومى العربى الديموقراطى الوطنى وأفضل رمز لهذا التوجه كان شخص صلاح الدين البيطار الذى كان يصدر مجلة «الاحياء العربى» فى باريس، وأخذ يعمق وينشر فى هذا الخط الديموقراطى

الوطنى فى سوريا.

- ما هو السبب الرئيسى لأغتيال صلاح الدين البيطار، ولماذا أغتيل هو وليس غيره من الزعماء فى المعارضة السورية مع العلم أن الوصول إليهم لم يكن أمراً صعباً؟

* حافظ الأسد بنى قوته الداخلية على تمزيق الناس إلى طوائف، ولجعل كل أبناء الطائفة العلوية مضطرين للتمسك بهذا النظام، وهذا ممكن أن نشرحه فى أحداث حماه. ولكن أخشى ما يخشاه حافظ الأسد هو أن يستجيب قسم كبير من أبناء الطائفة العلوية لداعى الحق والواجب الوطنى، وينضموا للمعارضة الوطنية. هذا الأمر بالنسبة له يشكل خطراً قاتلاً.

أما لماذا تم أختيار صلاح الدين البيطار دون سواه من المعارضة السورية لأغتياله، فلإنه صاحب تاريخ وطنى معروف وهو ثانى مؤسس لحزب البعث بعد الأستاذ ميشال عفلق. وفى المقابل كان حافظ الأسد مضطراً للتستر بأسم البعث لأنه لا يستطيع القول أنه يحكم بأسم عائلة الأسد أو بأسم الطائفة. وحتى داخل الحزب فى سوريا لم يكن الجميع كأفراد وكأعضاء راضين عن النظا، ومع ذلك لا يستطيعون التخلى عنه للأخوان المسلمين أو الناصريين أو لأى تيار آخر. ثم أن وجود شخصية مثل البيطار كان كفيلاً بأقتطاع قسم كبير من الحزب ومن الطائفة العلوية إلى صفوف المعارضة الوطنية.

لهذا السبب كان اغتيال صلاح الدين البيطار من وجهة نظر النظام ضرورة أمنية. وأريد أن أذكرك بأن البيطار لم يكن هو الشخص الوحيد الذى أغتيل لهذا السبب فقد سبقه محمد عمران رحمه الله، ومحمد الفاضل، وكلا الرجلين مثل صلاح الدين البيطار كان الواحد منهم يشكل تهديداً ينذر بإنفراط القاعدة الصلبة التى يستند إليها النظام داخلى سوريا وهى الطائفة العلوية.

– لكن عندما أغتيل عمران فى ١٩٧١ فى طرابلس لم يكن الأسد قد كشف عن نواياه.

* محمد عمران كان من الجيش ومن الحزب، والرجل الأول فى حركة ٨ آذار، وفى التنظيم العسكرى. وكان رئيساً لحافظ الأسد،وهو الذى أسس التنظيم العسكرى الذى قام بحركة ٨ آذار. وصحيح أن محمد عمران كان فى لبنان، ولكن كان له نفوذ على القاعدة العسكرية الطائفية التى يستند إليها حافظ الأسد، لذلك سارع بأغتياله قبل أن يتمكن محمد عمران من ترتيب شئ.

– لقد عشت حتى عام ١٩٧٨ في سوريا، أذن قضيت ١٥سنة فى ظل النظام. هل يمكن أن تشرح لنا كيف يتم التخطيط للأغتيالات؟

* مع الأسف اصبح النظام بارعاً فى هذا التكتيك لدرجة مخيفة. ولم يتم أغتيال هؤلاء فقط. ففى لبنان أغتيل من الصحافيين سليم اللوزى ورياض طه ومن السياسيين الزعيم كمال جنبلاط. وفى تقديرى أن قرار الأغتيال لا يجرؤ أحد فى سوريا أدنى من حافظ الأسد على أتخاذه. يعنى أن أغتيال شخصية مثل صلاح الدين البيطار لم يمكن أن يتم على مستوى رئيس المخابرات أو مستوى شرطى، هذا غير ممكن. الشخصيات من هذا الوزن فإن أغتيالها أو محاولة اغتيال ريموان اده مرتين أو ثلاثة فى بيروت تحتاج إلى قرار من المسؤول الأول.

– لماذا لم نر نتيجة محاكمة قتلة صلاح البيطار فى فرنسا. ولماذا لم يتم كشف المسؤول الأول عن الأغتيالات؟ ولماذا يكتنف الغموض هذه القضايا؟

* كان الفرنسيون دائماً حريصين على أن تكون علاقتهم مع النظام السورى جيدة. وقد حافظوا على هذه العلاقة الجيدة حتى بعد أن قطعت بريطانيا علاقاتها مع دمشق وأتهمتها علناً بأنها تقف وراء بعض العمليات الأرهابية. والمانيا الغربية وجهت التهمة نفسها إلى دمشق. أن فرنسا دولة لها دائماً خصوصيتها. ورأى توجيه هذا السؤال إلى المسؤولين الفرنسيين: لماذا لم يجر تحقيق أو محاكمة المسؤولين عن عملية الأغتيال وهم معروفون لديهم، خصوصاً وأن العملية تمت فى قلب باريس، ولدى مسؤولى الأمن الفرنسيين- فى تقديرى- معلومات تفصيلية ودقيقة، وقد سمعنا بعضها منهم.

- الم يكن يدرك صلاح البيطار أن حياته فى خطر؟

* أنا وأخوانى كنا نخاف عليه أكثر من خشيته على نفسه. كان متأثراً جداً بما يحدث فى سوريا، وآخر مقال كتبه كان عنوانه «عفوك شعب سوريا العظيم». لقد طلب العفو من الشعب لأنه كان يعتبر أن كل السياسيين السوريين قصروا فى أداء الواجب المطلوب إزاء التضحيات التى بذلها الشعب السورى. ورغم أحساسه بالمأزق السورى أحساساً طاغياً، فإنه حاول بعد ضغط منا بالدرجة الأولى أن يأخذ بعض الاحتياطات الأمنية لم تكن بحجم الخطر الذى يتهدده.

المعارضة السورية:

- هل أنت مهدد أيضاً؟ أرى أنك لم تاخذ احتياطات أمنية..

* قد أكون مهدداً (يضحك)، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟

- هناك ملاحظة خطيرة وهى أن السياسيين السوريين لم يتركوا مذكراتهم وراءهم. فكيف يكتب تاريخ سوريا الحديث؟

* هذا التقصير ليس له أى مبرر. وكان الأستاذ البيطار قد بدأ يكتب مذكراته عندما كان يقيم فى لبنان حتى دخول قوات الردع السورية إليه. فغادر على ظهر قارب شحن إلى قبرص ولم يتمكن من أخذ أوراقه معه. أستقر فى فرنسا وبدأ يكتب من جديد. وأعتقد أن قسماً كبيراً من مذكراته لم ينشر، ولعله ينشر فى وقت قريب.

- المعارضة السورية منقسمة، منها فريق تحول إلى جمع المال، وفريق أختار العزلة لأن الواقع صدم مثالياته، وفريق الرعيل التقدمس من بعثيين واشتراكيين وناصريين، لم يقم بحركة جدية منذ عام ١٩٧٠ وإلى عام ١٩٨٢. وخلال ١٢ سنة لم تقم جبهة موحدة واحدة للمعارضة السورية. لماذا؟

* الجبهة شئ ومعارضة النظام شئ آخر. ولم يمض يوم طوال هذه السنين دون أن يدخل إلى سجون سوريا اناس اضطهدوا وعذبوا. والأكثرية الساحقة من هؤلاء ليست من السياسيين القدامى وأنما من الطلاب الثانويين أو الجامعيين أو من الفلاحين. السجون السورية هى القطاع الوحيد الذى شهد «حركة أزدهار» فى ظل النظام الحالى. وعندما ضاقت السجون القديمة بسكانها، وقبل بناء ستة سجون جديدة، حولوا العديد من المدارس إلى سجون كما يحدث فى حلب.

أكثرية الناس فى سوريا ضد النظام من مختلف الطوائف بما فى ذلك العلوية. ولم يكن من السهل بروز معارضة من الداخل. ورغم القتل والبطش والتنكيل والأرهاب الشديد المفروض على الناس، فقد قامت سنة١٩٨١ نقابات الأطباء والمحامين والمهندسين بحركة احتجاج عنيفة، ونفذ اضراب ومقاطعة، وقُدمت مطالب مهنية وسياسية بينها المطالبة

بالديمقراطية، ورد النظام بحل النقابات وأعتقال أعضائها، وعدد كبير منهم لايزال معتقلاً إلى اليوم. المعارضة فى الداخل ليست بالمسألة السهلة. ومن يريد أن يعارض يجب أن يعرف أن الموت هو الثمن الطبيعى للمعارضة. ومع هذا أقول أن الشعب فى سوريا لم يتردد، ولكن لكى نسمع صوت المعارضة لابد من وجود تنظيمات وأفراد فى الخارج حتى يمكن الحديث عن المستقبل والنظام السياسى البديل. ومثل هذا لا يمكن أن يحدث من الداخل.

- لماذا تصدر تجاه الإسلامى المعارضة العنيفة ضد النظام ولم تفعل ذلك احزاب المعارضة الأخرى؟

* طوال عهد حافظ الأسد، وقبله صلاح جديد، كان الضغط منصباً على المعارضة العلمانية من البعث والناصريين والاشتراكيين العرب منذ عام ١٩٦٦ وإلى عام ١٩٧٩ على الأقل. والتيار الإسلامى فى تلك الفترة لم يتعرض للأرهاب والضغوط، وكان أمامه مجال التحرك مفتوحاً. وفى أواخر السبعينيات، ولأن التيار الإسلامى هو جزء من مشاعر الشعب السورى نشأت حركة داخل تنظيم الأخوان المسلمين أتت بقيادة جديدة غير القيادة التاريخية وغير قيادة عصام العطار الذى لاتزال شقيقته وزيرة حكومة حافظ الأسد.

- هل تعنى القيادة الجديدة التى قادها مروان حديد؟

* نعم، أعنى ذلك، وقد تكون هذه القيادة قد اندفعت بتأثير الحماسة أو نتيجة قصر نظر سياسى، ولجأت إلى أسلوب الاغتيال الذى اعتبره مرفوضاً، ونرفضه بالتخصيص لأنه أستهدف أبناء الطائفة العلوية. وكثير من الناس المسحوقين ظنوا لفترة أن الفرج قد يأتى عن طريق هذه الحركة حتى لو كان الطريق خاطئاً. وأنتشرت لهذا التيار شعبية فى سوريا التى نعرفها بسوريا الوطنية التى تلتحم وطنيتها بعروبتها، ولا يمكن أن تسير فى طريق يؤدى إلى تمزيق الوحدة الوطنية، لذلك

كانت تلك الحركة فورة وأنتهت فى وقتها.

– لماذا تركز الضغط السياسى على حماه؟

* قبل مجزرة حماه جرت عمليات تمشيط عديدة قام بها النظام بحجة التفتيش عن العناصر المطلوبة من الأخوان المسلمين. وفى كل عملية تمشيط كان النظام يستبيح المدينة ورجال النظام كانوا يدخلون البيوت ويتلفون أثاثها، وحدثت اعتداءات على النسوة. ومرة جرّوا النساء إلى المحافظة تحت السياط علناً وأمام الناس. وفى تقديرى أن النظام نصب فخاً لمدينة حماه وأراد أن يضربها ضربة تحقيق هدفين: الأول أن تكون هذه المدينة درساً لبقية المدن السورية بشكل عام، ولدمشق بصفة خاصة. والثانى أن يضع فى رقبة كل علوى ثاراً دموياً، فيشعر بأنه إذا تغير النظام فإن الأذى سيطاله شخصياً، وأنت تعرف تقاليد الثأر فى حماه.

النظام نصب هذا الفخ فى حماه وساعده على ذلك وجود اشخاص من جماعة مروان حديد، وهم متحمسون كثيراً ولا يخافون الموت، وقاموا بعمليات ضد النظام فى حماه. وأستغل النظام الفرصة وضرب المدينة كلها. وكان فى أستطاعة النظام المحافظة على الأمن دون تخريب المدينة.

– لماذا لم تتجاوب دمشق وحلب مع أنتفاضة حماه؟

* لأن أى عمل أو أنتفاضة أو ثورة أو تحرك واسع يحتاج إلى التنظيم فى الدرجة الأولى.

– أين أذن قواعدكم الشعبية فى المحافظات السورية؟

* هذه القواعد مثل غالبية الناس لا يمكن أن تمشى وراء عمليات أغتيال فردية.

- بعض أبناء حماه الذين فروا إلى الخارج يتهمون الآخرين بخيانتهم.

* هذا مفهوم ومشروع، لكن لا تتوقع حدوث حركة على أكبر مستوى سوريا دون أن يكون تنظيم أو تنظيمات متفاهمة على قيام هذه الحركة فى الداخل. كيف تتحرك الناس العزلاء وتواجه الدبابات إذا لم تكن هناك ضمانة بأن هذه الحركة قد تؤدى إلى نتيجة، وليس التضحية لمجرد التضحية، وإلا سيكون ذلك عملاً غير مسؤول إذا لم يكن مرتبطاً بعملية سياسية متكاملة.

- وبعض المؤرخين يقول أن حماه شهدت سبع انتفاضات وليس أنتفاضة عام ١٩٨٢ فقط. لماذا تتفرد حماه بذلك؟

* حماه لها تاريخ عريق من أيام الثورة الفرنسية، وهى معروفة بالنخوة والاندفاع فى القضايا الوطنية. ثم أن البنية الأجتماعية فى حماه لا تزال بنية تقليدية بحيث أن الناس تمون على بعضها بعضاً. وهم مرتبطون بزعامات معروفة ويمكن أن يتحركوا إذا تحركت هذه الزعامات. والعنصر الدينى يلعب دوره نسبياً كذلك فى حماه. ولعل هذا يفسر لماذا طلع مروان حديد من حماه وليس من مدينة أخرى. وقد يكون لقرب المدينة من منطقة العلويين هو عنصر آخر للتحريض، خصوصاً وأن عمليات العمران والتطوير تجاوزت حماه إلى غيرها من المناطق. وهذه العوامل تفسر لماذا تحملت حماه نسبياً جزءاً كبيراً من أثقال مقاومة هذا النظام أكثر من سواها.

جبهة المعارضة:

- تسلم الأسد السلطة عام ١٩٧٠، وأنتفاضة حماه حدثت عام ١٩٨٢، وفى هذه السنة أعلن أيضاً تحالف المعارضة السورية. ولماذا انتظرت

المعارضة ١٢ سنة حتى تتحرك؟

* كل الأحزاب المعروفة فى سوريا كان لها تاريخ من الصراعات مع بعضها بعضاً، من البعث إلى الناصريين إلى الأشتراكيين إلى الأخوان المسلمين إلى آخره... وجرت محاولات كثيرة لإقامة جبهة وطنية، وكانت تصطدم دوماً بعقبة أساسية وهى أن طرفاً أو أكثر كان يرفض التعاون مع طرف آخر. الأخوان المسلمون مثلاً، عندما برزوا على الساحة كانوا يرفضون التعاون مع أى حزب آخر. وكانت نظرتهم فى ذلك الوقت تتجه نحو إقامة جمهورية إسلامية فى سوريا. وكانوا يرفضون اللقاء مع من يعتبرونهم خارج هذا التوجه، من البعث أو الشيوعيين أو الناصريين أو الأشتراكيين.

أما الأطراف الأخرى، ولنسمها اصطلاحاً الأطراف العلمانية، فقد ادركت فى وقت مبكر أن أى جبهة وطنية جديرة بهذا الاسم يجب أن تحتوى التيار الإسلامى لأنه موجود ويمثل جزءاً أساسياً من الناس، وقد حمل وحده عبء مواجهة النظام. وقبل قيام التحالف جرت حوارات طويلة مع التيار الإسلامى، ووافق بعضه على الأنضمام للتحالف الوطنى لتحرير سوريا، ورفض بعضه الآخر الفكرة من أساسها ولا يزال. عدنان عقله مثلاً رفض التحالف وأحتمى بإيران التى صالحته مع النظام السورى وه الآن موجود فى سوريا، وهو من قادة «الأخوان» فى الداخل.

وأما الذين وافقوا على الأنضمام للتحالف من «الأخوان» فقد كانوا يدركون أن هذا القرار سيوجد أنشقاقاً داخل الجماعة، الأمر الذى حدث فعلاً. إذن فالتوصل إلى اقامة تحالف وطنى يضم التيارين الوطنى والإسلامى لم يكن عملية سهلة. منطقياً قد يكون أمراً بديهيا، لكن فى الممارسة العملية يختلف الوضع تماماً.

– ما هى العوامل التى دفعت بكل فصيل إلى الأنضمام للتحالف؟

* الحوارات التى نتج عنها التحالف جرت فى أثناء أحداث حماه، فى شباط وآذار (فبراير ومارس) من عام ١٩٨٢ . وطبعاً كان لوجوده حدث حى، والأخبار التى تصل كل الأطراف من أن حماه تدمر والنساء تنتهك أعراضها، تأثيره فى كسر الحواجز العاطفية بين مختلف فصائل المعارضة، وفى تشكيل عامل ضغط معنوياً على كل الأطراف من أنه آن الأوان للتطلع إلى المستقبل بنظرة جديدة وعقل مفتوح وأمل.

- من كان البادئ فى الدعوة إلى الجبهة تحديداً ؟

* كل الأطراف التى قبلت بالتحالف كانت تدعوا إليه، ولا أريد المبالغة بتفضيل فريق على فريق. كان هذا الشعار يتردد على ألسنة العاملين فى الحقل الوطنى السورى، بشكل منفرد. وجرت حتى محاولات لإقامة تحالف بين الأحزاب داخل سوريا يضم الإتحاد الاشتراكى وحزب العمال الثورى والاشتراكيين العرب (اكرم الحوارنى) وجماعة صلاح جديد والحزب الشيوعى المكتب السياسى (الترك).

بعض الأطراف طرح الفكرة عندما كنت فى سوريا وقام أعتراض على وجود جماعة صلاح جديد على أساس أن هذا الغيم جلب هذا المطر، وأن عقد حافظ الأسد هو امتداد لعهد صلاح جديد. هذا فى الداخل.

أما فى الخارج، فكان الجميع ينادى بالفكرة. وفى أواخر السبعينيات (٧٧و٧٨) برز الأخوان المسلمون بعد أن قاموا بعمليات الأغتيال فى الداخل فتحول ضمهم إلى أى تحالف قضية أساسية من أجل عقلنة سياستهم وتجنيبهم الانجرار إلى لعبة النظام بتقسيم البلد على أساس طائفى.

وفى الأساس كان وجودهم مطلوباً نظرياً، وبعد عملياتهم صار وجودهم مطلوباً أكثر لعقلنة نضالهم. وعندما نضجت العملية بعد أحداث حماه ووافقت القيادات الرئيسية للأخوان على الأنضمام للتحالف عن أقتناع، فى حين رفض متطرفوهم الفكرة ولا يزالون.

– من هى الشخصيات التى وقعت على التحالف فى باريس عام ١٩٨٢؟

* حزب البعث ومثله شبلى العسيمى، والاشتراكيون العرب (اكرم الحوارنى)، والإتحاد الأشتراكى (محمد الجراح وجاسم علوان) والأخوان المسلمون (عدنان سعد الدين) والجبهة الإسلامية (الشيخ عبد الفتاح أبو غده) والمستقلون من أمثال خالد الحكيم ونسيم سفر جلاتى، وآخرون فى الداخل والخارج.

– بصرف النظر عن الحساسيات من كان العنصر الفعال في إقامة التحالف؟

* أجيب عن نفسى وأقول أننى كنت من أشد المتحمسين لقيام التحالف وكنت أدرك أنا وغيرى أنه لا تحالف دون وجود طرفين رئيسين... فهناك الأحزاب القومية الثلاثة (البعث والاشتراكى العربى والناصريون). وهناك الطرف الإسلامى المتمثل فى الأخوان المسلمين والجبهة الإسلامية. وفى تقديرى وتقدير الآخرين أنه حتى نستطيع القول أنه قامت جبهة وطنية، كان لابد للحزبين الرئيسين من أن يتحاوروا ويقبلوا بمبدأ التحالف وهما: حزب البعث والأخوان المسلمين. فى التيار الإسلامى فإن الأخوان هم الحزب المنظم، وفى التيار القومى فإن حزب البعث هو القوة الرئيسية. وبدون هاتين القوتين الرئيسيتين لا تحالف ولا قدرة على التفرد فى سوريا. وبصراحة إذا كان هناك ميل للتفرد فإن هذا لن يكون عند المجموعات

الصغيرة بل عند المجموعات الكبيرة، وهم على الساحة السورية واقعياً، حزب البعث من جهة والأخوان المسلمون من جهة أخرى. وبدون أن يلتزما علناً ويتفقا على أساس أن طموحهم لمستقبل سورية هو نظام متعدد الأحزاب، لم يكن بالإمكان قيام التحالف. ولا يكفى أن يأتى ولو مائة مستقل وخلقوا تحالفاً لأن القوة الرئيسية هي التى يجب أن تقبل مبدأ التعدد.

الفصل الثالث

اسرار الصراع

الفصل الثالث

اسرار الصراع بين حافظ الأسد وصلاح جديد

اغتصبوا اسم البعث واستبدلوا الجيش بآخر:

— الأن وبعد ست سنوات على قيام التحالف، لماذا لم تنضم الأحزاب والفئات الأخرى؟

* هناك فئات أخرى ممكن أن تدخل. فى الفترة الأولى كان من الصعب مثلاً دعوة الحزب الشيوعى (المكتب السياسى) ويجب تفهم الصعوبة، فمثلاً، لعضو من الأخوان يمكن أن يقبل بصعوبة بحزب البعث، ولكن أن يقبل الشيوعيين فهذا كان صعباً جداً. والآن وبعد مضى هذه السنوات فإن دخول الشيوعيين أصبح مقبولاً من حيث المبدأ. والأمر نفسه ينطبق على الشيوعيين لأنه لم يكن بالأمر السهل تجاوز تاريخ عمر الحزب الشيوعى لنصف قرن. والمشكل أن الأحزاب العقائدية، التزامها العقائدى يحاصرها أحياناً لمواقع يصعب عليها تجاوزها، على الأقل إلى أن تتمكن القيادات من تثقيف قواعدها علي قبول هذه الضرورة. وليس هذا بالمسألة السهلة أن تجمع حزباً إسلامياً وحزباً شيوعياً.

— لكن قيادة الحزب الشيوعى التاريخية بزعامة خالد بكداش متواطئة مع النظام...

* أن الحزب الشيوعى الذى آمل أن ينضم للتحالف هو الحزب الشيوعى (المكتب السياسى)، وهو أيضاً قيادة تاريخية مثل رياض الترك وأحمد محفل. ومنذ تكوين الحزب الشيوعى هما بقيادته. ولما حدث الأنشقاق داخل الحزب الشيوعى فإن الأكثرية فى الحقيقة هى المكتب السياسى وليس خالد بكداش.

– هل حاولت المعارضة إقناع خالد بكداش بالتخلى عن دعم نظام الأسد؟

* أن خالد بكداش كل تاريخه السياسى فى سوريا هو من نوع القادة الشيوعيين الذين صاروا قطاعاً نادرة هذه الأيام من الستالينيين القدامى الذين يعتبرون أن سياسة الإتحاد السوفياتى مقدسة، بمعنى كيف يتجه الإتحاد السوفياتى فإنهم بدون تردد يتجهون. للإتحاد السوفياتى أعتبارات دولية تتجاوز سوريا ونظامها، ولكن خالد بكداش إذا كان عنده أولويات فى عقله فالأولوية الأولى هى أن يكون صدى لسياسة موسكو أكثر من أن يكون صدى لرأى قواعد حزبه وجماهير الحزب. بدليل أن الأنقسام الذى حدث ضد خالد بكداش لم يتوقف عند خروج أكثرية المكتب السياسى من الحزب وتكوينهم لحزب جديد، بل بعد ذلك حدث انشقاقان آخران داخل حزب خالد بكداش وكل هذه الانشقاقات اعتراض على تعاون خالد بكداش مع النظام السورى.

التعدد.. والوحدة:

– الآن هل سينضم الحزب الشيوعى (المكتب السياسى) إلى التحالف؟

* نعم هناك محاولات تجرى لتوسيع التحالف حتى يضم شخصيات تمثل قوى حية فى داخل سوريا ولكننى ليس بوضع يسمح لى بذكر الأسماء فى هذه الفترة.

– ولكن هل هى تمثل أتجاهات أم احزاباً أم ماذا؟

* لنقل تمثل أتجاهات... مثلاً الأحزاب القديمة مثل حزب الشعب وبقايا الحزب الوطنى، فإن التحالف الوطنى لتحرير سوريا أجرى معها حوارات، ولم يبق منهم عناصر فاعلة ومعنية فى السياسة السورية كما يجب. هناك أتجاهات لنسميها

أتجاهات ديموقرطية داخل سوريا وهى موجودة ولا حاجز بينها وبين المعارضة. بمعنى أن المعارضة الوطنية مثل ما أفهمها، وكما هى حالياً فى واقع الحال، لا تتوقف إطلاقاً عند أى حدود عقائدية للدعوة التى اطلقها التحالف، والتى لا تزال قائمة إلى الآن، وهى أن أى حزب أو تنظيم شعبى أو نقابى أو سياسى أو أى شخص مستقل مطلوب منه الموافقة على أمرين: إسقاط هذا النظام وإقامة نظام ديموقراطى متعدد الأحزاب، وأى حزب أو شخص يلتزم علناً بهذين المبدأين له مكان فى التحالف.

- هناك من يفكر بأن تعدد الأحزاب قاد إلى المزيد من المشاكل فى سوريا، وأن تجربة تعدد الأحزاب مع محدوديتها لم تساعد على إيجاد حزبين أو ثلاثة ليسيطروا على الساحة السورية، بل قادت إلى التشرذم الأكبر. فلماذا تعتقد الآن بتعددية الأحزاب، خصوصاً وأن البعث هو الذى طرح فكرة الحزب القائد فى العالم العربى؟ وهل العودة إلى الكلام عن الحكومات الائتلافية هى عودة إلى الوراء أم تطور فى الفكر السياسى للمعارضة السورية؟

* دعنا نأخذ تاريخ سوريا الحديث. أعتقد أن أهم المكتسبات الوطنية التى تمت فى سوريا تحققت فى ظل تعدد الأحزاب وليس فى ظل الحزب الواحد ونظام الفرد لا فى عهد عبد الناصر ولا فى عهد ٨ آذار وما عقبه. أن سوريا قاومت الأحلاف العسكرية فى الخمسينيات وتغلبت عليها.

- لقد تغلبت على الأحلاف بالوحدة العربية ...

* أن الوحدة مع مصر فى أهم إنجاز تاريخى فى هذا العصر. أن الثورة الحقيقية هى تجاوز هذه الكيانات والتطلع إلى إقامة الوحدة العربية التى بدونها أصلاً فإن العرب ليس لهم مكان تحت الشمس كما يقال. سوريا ينظامها الديموقراطى وصلت بالإجماع تقريباً (ولم يشذ إلا خالد بكداش والحزب الشيوعى وقتئذ) وقبلت بالوحدة مع مصر. وبتقديرى أن هذه الوحدة بالرغم من أنها فشلت وجرى التآمر عليها، إلا أنه من الناحية التاريخية هى أكبر إنجاز تحقق ليس على صعيد سوريا بل على صعيد الوطن العربى كله، وهذه الوحدة تحققت فى ظل نظام ديموقراطى متعدد الأحزاب فى سوريا.

أن الحياة الديموقراطية لم تستقر فترة كافية فى سوريا حتى يصبح هناك تقاليد ديموقراطية عميقة. لكن الفترات الديمواقرطية على قصرها، إذا نظرنا إليها الآن فإننا نشاهد أنها، بأى مقياس، أنظف من فترات الديكتاتورية. فمثلاً، الفساد متواجد كأى بلد نام أو متقدم، ولكن فى النظام الديموقراطى كان الفساد يُكتب عنه وتتم محاسبة المسؤولين. أما الفساد الآن الذى يحدث فى سوريا بالمقارنة مع ما كان يتم فى الخمسينيات- لايمكن مقارنته، وهو شعرة من جمل كما يقال. وحول أختيار البعث فكرة الحزب القائد، فإن هذا الطرح لم يحدث عندما كان حزب البعث هو حزب البعث عندما كانت القيادة التاريخية موجودة فى السلطة فى سوريا. لقد حدث هذا بعد عام ١٩٦٦ وبعد أنقلاب عسكر شباط (فبراير) ٦٦ ضد القيادة التاريخية لحزب البعث. والآن ممثل القيادة التاريخية ميشال عفلق محكوم عليه بالإعدام من قبل النظام الذى يقول أنه حزب البعث، وصلاح البيطار أغتيل من قبل النظام الذى يقول أنه حزب البعث. أن كل جيلنا نحن من البعثيين لا أحد منهم داخل الحزب الحاكم فى سوريا الآن، وكلهم أما تركوا الحزب أو أعدموا أو سجنوا. وهناك من سجن منذ عام ١٩٦٩ حتى الآن أعتراضاً على هذه الفكرة أى أن يتحول حزب البعث من حزب ديموقراطى إلى حزب ديكتاتورى يحتكر السلطة. وأننى لا

أعتبر أبداً أن الحزب القائم الآن فى سوريا هو حزب البعث. أن هذا الحزب لا أعرفه وحزب البعث يحكم على ميشال عفلق بالإعدام ما هى علاقته بحزب البعث؟

- ما أسأل عنه لماذا تخلت القاعدة الشعبية لحزب البعث عن واجبها تجاه الحزب كفكرة وتركته فريسة العسكر من أمثال حافظ الأسد؟

* الآن حزب البعث لديه طبعاً تنظيم فى سوريا وهو من أكبر التنظيمات الموجودة فى الداخل، لكنه تحت الأرض وليس علنياً ولا يمكن أن يكون علنياً. ما حدث أن حركة ٨ آذار قامت بها مجموعة من الضباط الذين كانوا موجودين أيام الوحدة فى القاهرة وعلى رأسهم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد وسليم حاطوم وبدر جمعة، وهؤلاء من البارزين. وفى عهد الأنفصال سنة ١٩٦٢ وبداية ١٩٦٣ كان الوضع مهلهلاً كثيراً. وحتى الميزة الرئيسية التى طرحها، وهى الديمقراطية الغاها التدخل العسكرى فى أواخر عام ٦٢ عندما حل الجيش البرلمان وأستلم إدارة الحكم (حيدر الكزبرى كان المسؤول الرئيسى فى هذه الفترة).

وحدثت ثورة ٨ شباط فى العراق فى عام ١٩٦٣ والتى قلبت حكم عبد الكريم قاسم وحملت حزب البعث للحكم. وهذا تاريخ آخر منفصل. ولكن نجاح البعث فى العراق أعطى حزب البعث فى سوريا دفعة معنوية كبيرة جداً. ومجموعة العسكريين الذين قاموا بانقلاب ٨ آذار وأرادوا أن يعطوا صورة لحكمهم فوجدوا من الطبيعى أن يلجأوا لحزب البعث من جديد وللناصريين من جهة أخرى،. لكن البعث لم يأت على أساس أنه هو الذى قام بـ ٨ آذار وهو الذى يحكم بالتالى، بل جاء كشريك فى الحكم الجديد على أمل أن الضباط الرئيسيين فيه لهم أصول بعثية، لأن أى ضابط عندما يدخل الكلية الحربية تنقطع صلته التنظيمية مع الحزب، ولكن قسم منهم كانوا بعثيين عندما كانوا طلاباً فى الثانوية. وفى عام ٦٣ حتى ٦٦ حاول حزب البعث عملياً، بالتفاهم والإقناع وكل

الوسائل الممكنه أن يدفع الأمور ويحول النظام إلى نظام ديموقراطى. وفى هذه السنوات الثلاث كان هناك أناس مستعجلين أكثر من سواهم وكنت أنا من أول من أستعجل. وفى عملية التحويل هذه، وتركنا الحزب فى وقت مبكر.

وسنة ١٩٦٦ فإن العسكر بزعامة صلاح جديد قاموا بإنقلاب ضد حزب البعث باسم الحزب. وكان فى هذه السنة حزب البعث فى العراق قد سقط من الحكم فخسر الحزب هذه الهالة المعنوية التى كانت تشكل مثل حماية له فى سوريا، وبالتالى تمكنت مجموعة ٢٣ شباط أن تسيطر. ولا يعنى أنه لم يحدث احتجاج من حزب البعث ضدهم، فحزب البعث أعلنت قيادته التاريخية فوراً أن هؤلاء ليس لهم علاقة بحزب البعث، وجمهورهم داخل سوريا هو الذى تحمل اضطهاد عبد الكريم الجندى الذى كان رئيس المخابرات العسكرية، وعملياً فإنه وضع كل البعثيين فى السجن وقالوا أننا حزب البعث، أى أنه سجن البعثيين وأدعى أنه هو حزب البعث (اقصد صلاح جديد). هذه العملية حتى بين العسكريين أنفسهم لم تمر بدون أعتراض عليها. وأول من أعترض عليها محمد عمران وأمين الحافظ فسجنا ثم أطلق سراحهما أثناء حرب ١٩٦٧، وسليم حاطوم وبعد جمعة تم إعدامهما.

أحداث ١٩٦٦:

- ماهى الملابسات التاريخية لقصة سليم حاطوم وهروبه إلى الأدرن وعودته؟

* أن سليم الحاطوم قام بمحاولة بالتفاهم مع القيادة القومية، وأحب أن يعود للبعث وكان للقيادة القومية تنظيم عسكرى وحاولوا أعادة الأمور إلى نصابها ففشلت المحاولة وهرب إلى الأردن. ولما وقعت حرب ٦٧ عاد هو مع الكثير من السوريين الذين كانوا فى الخارج من أجل أن يقوموا بواجبهم بالدفاع عن البلد. وهؤلاء

كان حظهم سيئاً خاصة بدر جمعة وسليم حاطوم اللذين قتلوهما تحت التعذيب.

– لنستمر في التحليل الهادئ لأحداث عام ١٩٦٦؟

* داخل الجيش السورى كان هناك عدد كبير من الضباط ذوى الأصول البعثية من أمثال بدر جمعة وسليم حاطوم. وعندما أعلنت القيادة القومية أنها بريئة من حكم ٢٣ شباط وليس لها علاقة بحكام سوريا الجدد، توجه الضباط الذين عندهم حنين للبعث إلى القيادة القومية ووضعوا أنفسهم بتصرفها من أجل التخلص من عهد ٢٣ شباط. وكان سليم حاطوم هو رأس الحربة فى إنقلاب ٢٣ شباط. لكن يبدو أنه من الأشخاص الذين أعادوا النظر بما قام به وأنشأ تعاوناً مع القيادة القومية ولم ينجح هذا المشروع للأسف وسجن قسم كبير من الضباط وأعدموا.

– ولكن لماذا خلت الساحة السورية ما بين أعوام ٦٦ – ١٩٧٠ من القواعد البعثية وأصبح ثنائى الأسد– جديد يسيطر على الساحة؟

* حدثت عمليات تصفيات واسعة داخل الجيش وسرح مئات من الضباط الكبار والصغار. والتسريحات تناولت البعثيين ومن يمكن أن يقف على رجليه... أى أفرغ الجيش تماماً وبدأت منذ ذلك الوقت المبكر مع الأسف عملية التمييز الطائفى داخل البلاد، واتجه بالدرجة الأولى للجيش. الآن ترى التمييز الطائفى موجوداً فى كل ناحية من نواحى الحياة فى سوريا، لكن فى بدايته كان مقتصراً على الجيش الذى أستبدلوه عملياً بجيش آخر. الأكثرية الساحقة فى الجيش كانت من المجندين وتشكيلاته الرئيسية من العناصر المحترفة، وقد جرى أستبدال هؤلاء بالكامل. لقد كان الصراع بين حافظ الأسد وصلاح جديد صراعاً داخل المؤسسة العسكرية.

- كيف تحلل هذا الصراع؟

* أراد صلاح جديد أن يعطى تبريراً لتفرده فى الحكم فاتجه نحو اليسار المتطرف جداً مما أكسبه دعم الإتحاد السوفياتى والأعتراف به كنظام بعثى اشتراكى تقدمى... لكن المبالغة اليسارية أوجدت فى الداخل أزمة اقتصادية طالت جميع الناس وخصوصاً طبقة البرجوازية الوطنية، وحدثت تجاوزات كثيرة فى عمليات التأميم والمصادرات والاعتداء على الناس. أى أن صلاح جديد جعل من المزايدة اليسارية التى بدأها بدافع أنتهازى خيوطاً وقع هو فى حبائلها أخيراً بمبالغاته اليسارية الطفولية المتطرفة وشعاراته وخطبه.

وفى هذه الأثناء وقعت حرب ١٩٦٧ وكان النظام السورى هو العنصر الأساسى فى جر العرب إلى معركة معروفة سلفاً أنها خاسرة، وخلافاً للخطة العربية المتفق عليها فى قمة ١٩٦٤ . ساد التذمر فى الداخل ولم تكن الناس قد اعتادت الصبر طويلاً على الظلم والقهر، فوجد حافظ الأسد الفرصة سانحة له ليتفرد شخصياً بالنظام. وكل ما فعله أنه غير هذه المبالغة اليسارية المتطرفة ونشط التجارة الداخلية، وسمح للمقاولين والتجار بأن ينشطوا.

خليفاوى والمدنى والشهابى وطلاس ليسوا ضباط ميدان:

- ماذا عن مساهمة الضباط السته مثل عبد الرحمن خليفاوى وعلى المدنى وحكمت الشهابى ومصطفى طلاس فى إيصال الأسد إلى السلطة؟

* كان حافظ الأسد وزيراً للدفاع، وكان الجيش معه وهؤلاء الذين ذكرتهم هم چنرالات بلا جنود وليسوا مبرزين عسكرياً فى أى ميدان وليس له نشاط معروف

سابقاً، وليسوا ضباط ميدان. أنهم موظفون وبعضهم خدم.

لأسد لم يقتل عبد الكريم الجندى وإنما حاصره ودفعه إلى الانتحار:

- ما الذى ساعد الأسد على ضرب صلاح جديد الذى كان متمكناً أكثر من أجهزة المخابرات؟

* أول عمل قام به حافظ الأسد أنه حاصر مسؤول المخابرات عبد الكريم الجندى الذى كان رمزاً للأرهاب فى عهد صلاح جديد، وحمله على الأنتحار.

- ليس هو الذى قتله كما قيل؟

* لا لم يقتله بل دفعه إلى الانتحار... فقد حاصره فى مكتبه، وكان الجندى عضواً فى القيادة، وكان يعرف أنه إذا استسلم فإنه سيقتل. وبسقوط الجندى اكمل الأسد سيطرته على الجيش والمخابرات. وبقى صلاح جديد مسيطراً على الحزب فقط الذى لم يعد هو حزب البعث المناضل، بل حزب صلاح جديد ولذلك انتقل ببساطة إلى قيادة حافظ الأسد.

- هل كان اعتماد الحزب على العسكر خطأ تاريخياً؟

* عندما وافق حزب البعث على التعاون مع جماعة ٨ آذار كانت هناك قضايا كثيرة مطروحة ومنها اعادة الوحدة. ليس الوحدة بين سوريا ومصر فقط، بل الوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق ومصر. وهذا الهدف الكبير لحزب البعث كان دافعه الرئيسى أن البعث حزب وحدوى ومن أجل هذا وافق على حل نفسه عام ١٩٥٨ لتسهيل قيام الوحدة السورية- المصرية. وحركة ٨آذار أعطت حزب البعث فى ذلك الوقت فرصة تاريخية لاعادة الوحدة على أساس أنه استلم الحكم فى العراق. ومصر لا تزال ناصرية. وفى داخل سوريا لم يتعاون حزب البعث فقط مع حركة ٨ آذار. بل تعاون مع الناصريين أيضاً للهدف نفسه. وكان

الناصريون متعجلين وطرحوا شعار الوحدة الفورية، والعودة إلى إطار وحدة ١٩٥٨ . بينما كان يرى البعث آنذاك، كما كتب الأستاذ ميشال عفلق عام ١٩٦٢ ، إن أخطاء الوحدة لا تبرر الانفصال، ولا بد من بحث هذه الأخطاء وتجاوزها واعادة النظر والتدقيق فيها، حتى لا يظهر حكم فردى يعتمد على المخابرات والأرهاب كما حدث فى وحدة ١٩٥٨ ، ولذلك يجب أن تكون الوحدة ثلاثية.

وفعلاً جرت مباحثات بين البلدان الثلاثة وأتفق على قيام وحدة ثلاثية فى نيسان (إبريل) ١٩٦٣ ، لكن تأزم الخلاف فى سوريا بين البعث والناصريين الذين يريدون الوحدة الفورية، أدى إلى تركهم الحكم، ولم يقالوا، وكانوا برئاسة لؤى الأتاسى وجاسم علوان من العسكريين وعبد الكريم زهور وجمال الأتاسى ومحمد الجراح وغيرهم من المدنيين، وتخلوا عن حركة ٨ آذار فى وقت مبكر، أى فى تموز (يوليو) ١٩٦٣ بعد فشل محاولة ١٨ تموز التى قام بها جاسم علوان. وبقى حزب البعث وحده فى الحكم ولكن لم يكن هناك اندماج بين تنظيم حزب البعث والتنظيم العسكرى الذى قام بالانقلاب، بل كان هناك التقاء فى المجلس الوطنى على أساس أن للحزب ممثلين محدودين، وللعسكر عدد محدود أيضاً.

الشيشكلى اضطهد البعث بقيادت عفلق والحورانى والبيطار:

وكان الحزب يسعى إلى تطوير الأمور فى اتجاه ديمقراطى. وآخر وزارة شكلها صلاح الدين البيطار عاشت مائة يوم، دعا فيها كل الأحزاب فى سوريا للمجئ إلى مجلس نواب متفق عليه ووضع قانون انتخاب جديد ولكن حدث الانقلاب بعد مائة يوم من بيان صلاح الدين البيطار. لماذا شكل البيطار الوزارة ثلاث مرات؟ لأنه كان من الصعب حسم الخلاف بين المجموعة العسكرية التى تريد ترسيخ الحكم العسكرى، وبين حزب البعث

بتقاليده المناوئه للنظام العسكرى.

وتاريخياً فإن الانقلابين الكبيرين فى سوريا قام بهما حسنى الزعيم وأديب الشيشكلى، وقد حمل البعث راية الكفاح ضدهما. لهذا فإن القول بأن حزب البعث هو الذى أتى بالعسكر فيه ظلم. أما عن مسؤولية الاشتراكيين والأستاذ أكرم الحوارنى فى تشجيع حسنى الزعيم والشيشكلى، فقد سمعت بهذه الأقوال، ولكن الحوارنى منذ ١٩٥٢ كان عضواً فى قيادة حزب البعث المعارض للأنقلابات العسكرية. ولما أضطهد الشيشكلى حزب البعث كان عفلق والحوارنى والبيطار هم قادة الحزب وعاشوا السنة الأخيرة من حكم الشيشكلى فى الخارج كلاجئين سياسيين، ولم يكن للحورانى موقف مختلف داخل الحزب.

الوطن العربى: لكن من يتحمل المسؤولية عن فشل قيام الوحدة الثلاثية؟

حمود الشوفى: نظام الحكم العسكرى فى سوريا ومصر يومذاك كان هو المسؤول. النظام العسكرى الناصرى اعتمد المخابرات والقمع والأرهاب دون مبرر، النظام السورى أيام الوحدة أضطهد كل الوحدويين وخصوصاً حزب البعث.

– ألم يرتكب حزب البعث خطأً تاريخياً عندما وافق على حل نفسه؟

* البعث فى عقيدته هو حزب الوحدة العربية، وهو فى الدرجة الأولى حزب وحدوى وديمقراطى واشتراكى. وعندما وجد لأول مرة فى التاريخ الحديث، وحدة تتحقق بين قطرين عربيين لم يتردد فى قبول شروط عبد الناصر، وكان شرطه الأساسى ألا تقوم الوحدة بوجود أحزاب فى سوريا لعدم وجود الأحزاب فى مصر. ووجد حزب البعث نفسه أمام هذه المعادلة: أما الوحدة وأما الحزب. واختار

البعث أن يحل نفسه فى سوريا لأنه حزب قومى وله تنظيمات قائمة فى أقطار عربية أخرى. ولا أقول أن هذه الخطوة كانت صواباً أو خطأ لأن المسألة كانت نظرى: أن تقوم الوحدة أولا لا تقوم. وإذا أراد المرء أن يفكر الآن بمنظور تاريخى فإن السؤال هو: هل كان من الأفضل أن تتحقق الوحدة أو لا تتحقق؟ وليس السؤال أن يحل الحزب نفسه أو لا يحل نفسه.

البعث هو الذى خطط للوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق ومصر:

– بالعودة إلى محاضر مفاوضات الوحدة التى بثها "صوت العرب" ونشرت عام ١٩٦٣ فى مجلدات، يتبين أن السوريين لم يكونوا جديين فى طلب الوحدة.

* ربما كان بين العسكر السوريين الذين فاوضوا من لم يكن جدياً مثل صلاح جديد. أما ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار، فأعتقد أن أحداً فى الوطن العربى لاينكر وحدويتهما وجديتهما، وكذلك الحزب فى العراق الذى كان مرتبطاً بالقيادة القومية برئاسة ميشال عفلق. ربما كان هناك أفراد ضمن الوفد السورى لم تكن لديهم الرغبة الصادقة، ولكنها لم تكن ظاهرة قبل عام ١٩٦٦ . وربما كان هذا الأمر من أسباب الصعوبات التى واجهت التوصل إلى أتفاق مع عبد الناصر.

– لماذا؟ هل كان عبد الناصر خائفاً من تجارب الماضى؟

* تماماً، فهو كان يتخذ موقفاً معادياً للأحزاب، ووجد نفسه يتفاوض مع حكومتين حزبيتين. وكان عبد الناصر يعرف أن الرأى العام فى سوريا والعراق يطالب بالوحدة. وحتى نشر محاضر الوحدة يمكن تفسيره بأنه كان بدافع نيات مبيتة إذ لم يكن هناك أتفاق على تسجيل الحوار، لأنه كان حواراً نظرياً فى معظمه.

كان عبد الناصر يقول فى ذلك الحين أنه لا يوجد خلاف نظرى بينه وبين حزب البعث، والحرية كانت من مبادئ الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وكذلك الاشتراكية والوحدة وكان لابد من نقاش نظرى وعتاب لإزالة ما قد يكون عالقاً فى الأذهان والقلوب. لكن نشر المباحثات أكد الظنون من أن عبد الناصر لم يكن جاداً وأنه أوعز بتسجيل المحاضر ونشر ما لم يكن معداً للنشر.

- أين سوريا الوحدوية فى عهد حافظ الأسد؟ أعتقد أن الأجيال الجديدة فى سوريا لم تعد مؤمنة بها.

* لنكن دقيقين. وليس لدى الأنطباع بأن النشء الجديد فى سوريا تحول من العقيدة القومية إلى المركنتيلية. وشعبنا مثل غيره تجد فيه قلة تنساق مع التيار وتفتش عن مصالحها قبل المصلحة العامة. وحتى النشء الجديد لا يمكنك أن تفصله عن تاريخه. وسوريا مرتبطة بالفكرة العربية فى تاريخها الحديث.

فى الثلاثينيات، عندما حاول الفرنسيون تقسيم سوريا إلى دويلات طائفية، اصطدمت بمطالب كل الأحزاب ورجال السياسة الذين قدموا مطلب الوحدة الوطنية حتى على مطلب الاستقلال، وفضلوا البقاء شعباً واحداً ولو تحت الأستعمار، على الاستقلال مع التجزئة إلى خمس دويلات طائفية. الخوف من التشتت والتقسيم الطائفى واضح فى سوريا منذ أواخر القرن الماضى، والنضال ضد الأتراك كان على أساس قومى عربى، وقد حافظت سوريا على هذا التقليد. وحتى الجيل الذى يذهب إلى مدارس حافظ الأسد ويرى أهله فى طوابير الخبز والخضار يعايشون الذل، قد يخرج منه أفراد– كما خرج من جيلنا– يهتمون أولاً بمصالحهم الخاصة. لا أقول أن شعبنا أحسن من غيره، لكنه ليس اسوأ. وعندما تتوافر الظروف والقيادة الملائمة والوضوح الفكرى، أعتقد أن الأكثرية تختار الطريق القويم والقومى، وليس القطرى، والوحدة الوطنية لا الطائفية.

– التحالف الوطنى لتحرير سوريا، هل سينتقل إلى الكفاح المسلح ضد النظام السورى، بعد أنتهاء مرحلة التجميع والتنظيم الفكرى؟

* لن يكون للتحالف معنى دون ذلك. وفى كل ما ينشره التحالف على السنة المسؤولين فيه يدعو إلى إسقاط هذا النظام حفاظاً على الوحدة الوطنية فى سوريا، والتى لا يمكن الحفاظ عليها إلا بالديمقراطية.

– وما هى السبل التى سينتهجها التحالف لإسقاط النظام؟ وهل سيقتصر على توزيع المنشورات؟

* أن اصدار نشرة وتوزيعها داخل سوريا هو اليوم خطوة كبيرة ومهمة. التحالف أختار عبارة «تحرير سوريا» بما يوحى أنها تحت حكم أجنبى. وواقع الحال دون المبالغة أن هذا النظام أجنبى عن سوريا، ويجب أن نفعل ذلك حتى لا يكون مستقبل سوريا مثل حاضر لبنان. وللنضال أساليب، ولا أستبعد أى أسلوب بشرط أن يكون منسجماً مع الهدف الذى يتوخاه هذا النضال. وإذا كنا نسعى– ونحن كذلك– إلى إقامة نظام ديمقراطى متعدد الأحزاب، فإن عبء النضال لا يقتصر على تنظيم واحد وحزب واحد لئلا يكون ذلك بداية للتفرد فى المستقبل. يجب أن يساهم فى النضال كل الأحزاب والشخصيات والقوى.

من الناحية العملية، إذا تأخرت عملية التحرير شهراً مقابل انضمام قوة جديدة للنضال فأننى أقول: لنؤخر التحرير شهراً لنضمن أوسع قاعدة مشاركة للقوى المختلفة، ويكون من حقها مستقبلاً المشاركة فى نظام متعدد الأحزاب من الوسط واليمين واليسار.

الصيغة العملية فى اعتقادى هى إن أى جهد يجب أن تسبقه مرحلة لا أسميها الصحوة، بل الأستعداد للتحرك بالتظاهر والاضراب. وقبل الكلام عن النضال المسلح والمواجهات العسكرية، لابد أن يكون المناخ الشعبى وصل إلى حد المشاركة الجماهيرية فى

الداخل ضد النظام. وما تحاول المعارضة السورية تحقيقه الآن هو شئ مختلف تماماً عما كان يجرى فى السابق.

فى الماضى كان يقود عملية النضال حزب واحد، أو ضابط او مجموعة ضباط، أى قوة سياسية متجانسة عقائدياً وتكتيكياً. ما يجرى الآن جديد فى العمل السياسى العربى... فهذا النضال لاسقاط النظام هو من نوعية النضال لاسقاط المستعمر الأجنبى. وهذا يقتضى انخراط الأحزاب والقوى السياسية من اتجاهات متعددة فى عملية النضال. عملية الانضاج هذه لا أقول إنها طالت، ولكن أقول إنها لابد أن تحدث، ولا يمكن افتعالها قسراً. لا يسقط النظام من الخارج بل من الداخل... أى أن يكون هناك استعداد لدى العمال والطلاب والمثقفين والتجار وكل قطاعات الشعب للاستجابة لعملية التغيير، اقتناعاً بأن القائمين على التغيير فعلاً يريدون تغيير النظام، وليس تغيير الشخص، أى تغيير الصيغة السياسية القائمة وهى صيغة الحكم الدكتاتورى الفردى والأرهابى، واقامة صيغة ديمقراطية متعددة الأحزاب يوافق عليها الجميع.

المشكلة فى سوريا، أنه حتى يتم التوصل إلى مثل هذا الاقتناع على مستوى الشعب بشكل عام، لابد من جهود فائقة، لأن كل أطراف التحالف الرئيسية فيه لها تجربة معروفة لدى الناس بشكلها السلبى. وحتى نبنى تواصل هذه القوى بقناعاتها الجديدة لابد من وقت، وعملية تثقيف واسعة وتعاون بين الأخوان المسلمين والبعثيين والناصريين، وأن يتم هذا التعاون فى الداخل، وأن يقولوا للناس إنهم تحولوا من فكرة التفرد إلى فكرة التعدد، وهذا ما يحمل البعض منا على التأفف وقد ضاق صدره ويردد: إلى متى الانتظار؟

المعارضة العلوية:

– خلال ١٨ سنة من حكم الأسد لم نر أثراً لعملية النضوج هذه التي تتحدث عنها.

* صحيح، صحيح... لكن إذا توصلنا إلى هذه المرحلة نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً للبلد. والآن، كيف يتطور الوضع داخل سوريا؟ قلت أن الناس مهتمة بشؤونها الخاصة، ولكن التمييز الطائفى والشرخ الطائفى عميق إلى درجة يصعب تصورها لأنه مخيف. وأى تحرك ضد النظام شرطه الرئيسى ليكون تحركاً وطنياً لا طائفياً، أن تكون هناك مشاركة علوية أساسية، لتلافى اعطاء الانطباع للشعب السورى أنها قضية سنّية ضد العلويين، أو قضية درزية ضد السنة، أو قضية سنية ضد النصارى... وفى ظروف سوريا القائمة حالياً، ومع التاريخ المعروف للأحزاب المشاركة فى التحالف، فإن التحالف وحده لا يكفى، ويجب أن تتوسع الصيغة لتضم قوى أساسية من الطائفة العلوية. والانتظار من أجل تحقيق غاية كهذه ليس أنتظاراً دون جدوى، لأنه شرط أساسى للحفاظ على الوحدة الوطنية عندما تحين ساعة التغيير.

— هناك طبعاً البداية والطليعة المعارضة من الشخصيات العلوية مثل الشاعر أحمد سليمان الأحمد. ولكن هل تعتقد أن ظروف العلويين في ظل النظام الحالي تسمح لهم بالأستجابة إلى النداء؟

* عندما تقول «طائفة» هناك أمران إذا تداخلا فأنهما يضيعان البلد ونضيع معهما. الأمر الأول هو الطوائف كإرث دينى تاريخى، والثانى هو الطائفية السياسية التى تعنى أستغلال هذا الأرث القديم لأغراض سياسية أنتهازية. أن وجود الطوائف فى سوريا هو أمر قديم ومعروف ومقبول ولا أعتراض عليه. بعض المتطرفين من التيار الإسلامى قالوا أن حل هذه المشكلة يكون بأن نجعل الناس تتحول إلى السنة ولو قسراً وبالعنف، وهو أمر مشابه لما يقول الخمينى ويفعله اليوم.

النظام العسكرى فى سوريا ومصر هو المسؤول عن فشل قيام الوحدة الثلاثية:

لا أقول أن الطائفة العلوية كلّ متجانس. تاريخياً وواقعياً هى ليست متجانسة شأنها فى ذلك شأن السنّة والدروز والإسماعيلية وغيرهم. ولكل واحد من الناشطين سياسياً عادة، توجهه الذهنى، فقد يكون بعثياً أو شيوعياً أو غير ذلك. وطبعاً فإن أثارة النعرة الطائفية يكن أن تجد قوى جاهزة للسير فى هذا الإتجاه. وهذه القوى هى عادة الأجهل والأقل ثقافة، وهى ليست الجسد الرئيسى فى المجموعة البشرية التى اسمها الطائفة. ومن خلال التجربة، وليس نظرياً، أعتقد أنه لا يوجد ضمن الطائفة العلوية قبول بهذا النظام. ولو أتيح لنا إجراء نوع من الأحصاء لتبين لنا أن نسبة السنّة المتعاونين مع النظام أعلى من نسبة العلويين المتعاونين معه. والمثل يقول: إذا اردت أن تطاع فاطلب المستطاع. ولا نكون واقعيين على الاطلاق إذا قلنا أن هذه الأكثرية الوطنية بين العلويين المعادية للنظام والمرتبطة بوحدة الشعب والقضايا القومية، يمكن أن تنقاد للأخوان المسلمين مثلاً. ولابد لها أن تكون ممثلة فى جبهة وطنية حتى يمكن أن تصل إلى جمهور العلويين مثل أى طائفة أخرى، وأن تشارك فى عملية التغيير.

نريد تغيير النظام لاتغيير الشخص بعمل يشترك فيه الجميع:

– من يراقب المحيط العربى يلاحظ أنحسار القومية العربية وظهور دول الطوائف والأقليات، ودول القبائل والتقوقع القطرى. وهذه الأقليات حصلت على أمتيازات من الصعب التخلى عنخا، فكيف يتخلون عنها؟

* كما تخلى عنها أحمد سليمان الأحمد.

– هذا موقف شاعرى مرهف...

* سيأتى الوقت الذى نتكلم فيه بالأسماء، والأحمد ليس هو الوحيد، العلوى يعد إلى العشرة إذا كان غيره يعد إلى الخمسة، قبل أن يأخذ موقف المعارض، ولكنه

فى النهاية سيتخذ هذا الموقف.

– ماذا سيمنحه التحالف ليتخلى عن أمتيازات ثلاثة عقود؟

* من هم الذين حصلوا على أمتيازات من العلويين؟ أنهم قلة، والأسماء التى نشرتها منظمة العفو الدولية تضم عشرات من العلويين ومنهم البعثى أو الشيوعى أو الناصرى، وهم فى السجون ولم يشفع لهم أنهم علويون.

– ربما لأنهم تطلعوا إلى السلطة؟

* لا، أبداً. هل الحزب الشيوعى (جماعة الترك) يتطلع إلى السلطة؟ حزب البعث المضطهد يضم علويين كثيرين فى الداخل والخارج.

الفصل الرابع

لاخلافات بين الشقيقين

الفصل الرابع

لاخلافات بين حافظ ورفعت الأسد

وهذه هي حقيقة الصراع بين رفعت والمجموعة العسكرية:

إذا أخذت عينة من الناس تجد نسبة ٢ ٪ مثلاً من السيئين في أي ظرف. وتجد النسبة نفسها في العينة نفسها من الفضلاء في أي ظروف. الغالبية الساحقة هي بين وبين أو «هيك وهيك»، وهذا حسب الظروف. ولا يوجد أي سبب تاريخي أو ثقافي أو أقتصادي يجعل من العلويين طبقة أجتماعية بهذا المعنى. من المستفيد من النظام؟ رفعت الأسد؟ ولكن هذا يقابله مصطفى طلاس مثلاً من الطائفة الأخرى.

خروج رفعت الأسد من سوريا:

– لماذا خرج رفعت الأسد من سوريا؟ هل خروجه كذبة كبرى؟ أم أن ضميره بدا يعذبه؟

* الضمير لا علاقة له بهذه القضية. لقصة بسيطة. مرض حافظ الأسد عام ١٩٨٥ وشارف على الموت. وكانت هنالك خلافات بين المقربين، وخصوصاً بين رفعت وقادة المؤسسة العسكرية: علي دوبا وعلي أصلان وعلي صالح وشفيق أصلان ومحمد الخولي. وهي خلافات على السلب والنهب وليست عقائدية أو سياسية، وكل واحد منهم يريد أحتكار شئ لنفسه. رفعت يريد أحتكار استيراد السجاير الأجنبية، وآخر هو محمد مخلوف شقيق زوجة حافظ الأسد عارضه ونافسه. وكان محمد مخلوف يحصل على ربح قدرة ثلاثون قرشاً عن كل علبة سجاير أجنبية تدخل سوريا. ضارب عليه رفعت الأسد وقبل بمبلغ ٢٥ قرشاً. وهذه قصة واقعية. أختلفوا على السجاير، ثم على التهريب ثم على السيارات. ولأنهم بلا

حسب ولا رقيب عليهم، أصبح كل واحد منهم يحاول أحتكار مصادر ربح حرام على حساب الآخرين. وفي ما بعد حاول كل واحد منهم اعطاء هذا الخلاف على المغانم شكلاً وسياسياً. مثلاً مجموعة الضباط تمثل اليسار، ورفعت يمثل اليمين.

عندما مرض حافظ الأسد وشارف على الموت، شعر كل طرف بأنه في سباق مع الطرف الآخر، وأن رفعت الأسد إذا سيطر على السلطة فإنه سيقص رقابهم. وكان هذا هو شعور رفعت أيضاً. وتسابق الجميع في حرب دعائية: المخابرات وجماعة على دوبا ومحمد الخولي من جهة، وسرايا الدفاع من جهة ثانية. فريق رفع صور حافظ الأسد وفريق صور رفعت الأسد. وعندما شفي رئيس الدولة، وهوككل دكتاتور يعتقد أنه خالد لن يموت، ونقل إليه ما قام به رفعت، لم يعد من الممكن لفلفة الأمور بعد أن أصبح الأمر علنياً، ولأن حافظ الأسد لم يتمكن من التخلص من الجميع دفعة واحدة. ونظراً لتضامن خصوم رفعت، فقد وجد المخرج الطبيعي بالأتفاق معه. وهذه ليست رغبة حافظ الأسد، وانما لإرضاء المجموعة العسكرية التي يخشى أن يفقد ولاءها فتتحرك ضده. والآن يتصارع الطرفان تحت مظلة حافظ الأسد.

– ماذا عن باسل نجل حافظ الأسد؟

* يمكن أنه يحاول، ولكن النظام هو نظام حافظ الأسد، وإذا مات بشكل طبيعي انتهى النظام.

– من سيرث النظام؟

* العسكر.

- وأهمهم ؟

* محمد الخولى وعلى دوبا وعلى أصلان.

- هل هم قادرون علي حفظ النظام؟

* هذا أمر آخر، لكنهم نظرياً إذا توفى الأسد فإنهم سيستلمون الإذاعة والجيش.

- أين أذن نفوذ رفعت؟

* المرتشون الذين جمعوا ثرواتهم من وراء استزلامهم لرفعت، هؤلاء ولاؤهم للثروة التى جمعوها. لا يمكن خلق قوة سياسة نتيجة الرشاوى والفساد. المسألة أعقد من ذلك. نجح حافظ الأسد فى أحتكار السلطة طوال ١٨ سنة ولكن ماذا حل بالبلد؟ وكيف أستخدم السلطة؟ وماذا سيترك وراءه؟

- مع ذلك هل يمكن لرفعت أن يتخلي بهذه البساطة ؟

* سيحاول، ولكن لو كان عنده النفوذ الكافى لما خرج من سوريا. وعندما خُير حافظ الأسد بين رفعت والمجموعة العسكرية، كان من الطبيعى أن يختار رفعت لأنه لا يشك بولائه له. ولكنه أختار الطرف الأخر، لأنه فى الحسابات التى أجراها وجد أن القوة بيدهم، أى الجيش والمخابرات العسكرية.

- ماذا عن البارزين فى الطائفة العلوية الآن؟

* البارزون أشخاص تافهون جداً وليس لهم جذور عشائرية أو ثقافية أو وضع أجتماعى أو أى شئ. وهم لا يمثلون زعامة دينية أو أى شئمن هذا القبيل.

– لماذا أستمروا إذن؟

* الأرهاب هو الذى مكنهم من الأستمرار. فرانكو حكم أسبانيا ٣٠ سنة. أن بيدهم السلاح وميزانية الدولة وكل التجارة والمساعدات العربية والسكوت العالمى عنهم.

– كيف تفسر إنحياز الأسد إلى إيران؟ المال؟ الكراهية؟ ماذا؟

* هذه قضية تتطلب محللاً نفسياً لا سياسيا. يبدو أن شهوة الحكم عند حافظ الأسد تطغى على أى أعتبار آخر، حتى الاعتبارات الوطنية والقومية والإنسانية. لقد جاءته فرصة لا تتوافر إلا للقلائل من دكتاتوريى العالم، ذلك أنه عندما قام بأنقلابه على صلاح جديد فإن الناس أيدته.. لكنه عوضاً عن أن يبنى هذا التأييد اختارا أن يكون رجل بوليس وليس قائداً سياسياً وذلك من الأيام الأولى. وكانت أمامه فرصة لتطوير النظام لأنه أتى فى أعقاب نظام دكتاتورى فردى طائفى بغيض، ولكنه أختار العكس. لم يمش فقط على خطى صلاح جديد بل وبالغ فيه بهذا الأسلوب الذى وصل إلى مجزره حماه. وقد تكون تدخلت عوامل خارجية للتلاعب بعقله، ولكن المسؤولية التاريخية تقع عليه فى النهاية.

– أليست هى مسؤولية الناس التى سكتت ١٨ سنة؟

* نحن الآن فى أميركا، وليس لنا الحق فى إصدار حكم على الناس الذين يكويهم الأرهاب والذل والقهر. لم يفعل أحد فى سوريا كما فعل هذا النظام، لا تيمورلنك ولا هولاكو ولا الأستعمار الفرنسى ولا الأتراك ولا اليهود فى فلسطين. مدى النظلم والأرهاب المفروض على الناس فى سوريا يجعلنى أتردد كثيراً فى تحميل الناس المسؤولية. افتح الإذاعات الخارجية تجد أن العالم نسى وجود الشعب السورى، وهذا يخلق حالة من القهر. الصمت العربى والعالمى على النظام السورى «يهد الحيل».

– إذا أردنا أن نحلل هذا الصمت نقول أن الصمت العربى سببه أنه يجد فى هذا النظام خصماً عنيداً لإسرائيل. ودولياً هناك نوع من التملق للنظام لجلبه إلى حظيرة التسويات السلمية.

* النظام الوحيد الذى لديه توجه قومى وعربى هو نظام حزب البعث فى العراق الذى يخوض حرباً لأكثر من سبع سنوات دفاعاً عن الأرض، ومن التجنى مطالبته بأكثر من ذلك، فهو يقدم التضحيات والرجال والشهداء، وصموده هو صمود العرب. أما الأنظمة العربية الأخرى فكل واحد منها معنى بقضاياه. مصر بوزنها وثقلها ومركزها العربى كان يمكن أن تكون عنصر دعم وتشجيع، ولكنها بعد غياب عبد الناصر اختارت طريقاً آخر. مبارك يحاول بحذر أن يعيد مصر لتلعب دورها العربى ولكن ببطء. وليست لديه الرغبة بأن يقود مصر كما فى أيام عبد الناصر، ولديه اهتمامات اجتماعية واقتصادية، وهى قضايا مخيفة. ويمكننا أن نفهم ثقل القضايا الداخلية التى تقيد حرية مبارك لو أراد أن تستعيد مصر دورها العربى. النظم العربية الأخرى بشكل عام معنية بقضاياها الداخلية أكثر من اهتماماتها العربية، وليس فى هذا ظلم لأحد. إذن، عملياً، فإن العرب غائبون عما يجرى فى سوريا، وباستثناء العراق ومصر ليس من الممكن حضورهم.

أما الدول الأجنبية فليست دول عشائر وهى تفكر فى مصالحها. الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتى مصلحتهما على امتداد التاريخ هى الحفاظ على الحالة الراهنة. وسوريا عنصر تغيير فاعل فى محيطه العربى. ووطنية سوريا هى أن تنشر القومية العربية وتذوب فيها وتحقق الوحدة العربية، أى تغيير الحالة الراهنة. والدول الكبرى لها مصالح فى المنطقة، ولا أقول مصالح استعمارية. ومهما كانت الشعارات فإن الدول الكبرى تسعى للحفاظ على الحالة الراهنة، وتعرف كيف تتعامل معها، والتغيير يقلقها. الدول الكبرى تحكمها البيروقراطية التى هى ضد التغيير. ومن المريح لأميركا وللإتحاد السوفياتى أن تغيب سوريا عن

لعب دورها العربى. ويخيل إليهم أنه فى غياب الدور السورى تغيب العروبة أصلاً ومعها وجع الرأس.

إن أى تحرك عربى يعنى تغيير الجغرافيا والحدود وخلق امكانات جديدة، ويعنى نقل العرب من أن يكونوا حصة الغالب إلى أن يصبحوا اطرافاً فى الصراع الدولى والمعادلة الدولية. إن العرب الآن مثل أفريقيا هم حصة الغالب. إذن فالمسألة مريحة جداً بالنسبة للدول الكبرى، ببقاء الحالة الراهنة، وهو الحل الأفضل والأمثل. إذا تغير النظام فهم يستطيعون التعامل مع النظام الجديد، لكنهم فى الوقت نفسه يمكنهم المساعدة على ابقاء النظام إذا شعروا بأنه مهدد.

– نسمع دائماً فى الغرب بأن الأسد نجح فى تحقيق الاستقرار فى سوريا.

* هناك حقيقة، وهى أن فرنسا وأوروبا لم تعودا من القوى الفاعلة. القوتان الفاعلتان هما الإتحاد السوفياتى وأميركا، ظاهرياً على الأقل. والإتحاد السوفياتى مثل كل القوى الكبرى حريص على أستمرار الوضع الراهن خصوصاً إذا كان هذا النظام يقول، ولو ظاهرياً، أنه اشتراكى، وهو سوق جيد للسلاح ولأستيراد البضائع الرخيصة.

ومن وجهة نظر الإتحاد السوفياتى فإن سوريا لا تزعجه، إذا كان النظام غير ديمقراطى، فمن قال أن الإتحاد السوفياتى ديمقراطى؟ وما من سبب منطقى يحمل السوفيات على معاداة النظام، إلا إذا انحاز بشكل كامل سياسياً إلى أميركا. أما الولايات المتحدة، فتقدير أن سياستها فى الشرق الأوسط أسيرة للسياسة الإسرائيلية وليس العكس. وسياستها فى المنطقة هى بنسبة ٩٥٪ صورة طبق الأصل للمصلحة الإسرائيلية كما يراها يمين الصهيونية وليس كما يراها الصهاينة الليبراليون.

خذ مثلاً: منذ أيام كارتر وحتى الآن نرى أميركا تسعى فى أسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية بشكل خاص لتشجيع التحول نحو الديمقراطية. أما فى الشرق الأوسط فإن الديمقراطية وحقوق الإنسان لا تعنى لها شيئاً لأن مصلحة إسرائيل أن يتحول لبنان إلى حزام طائفى.

وإذا أردنا دراسة سياسية أميركا نحو نظام حافظ الأسد فإن العامل الحاسم فى هذا الأمر هو: أين مصلحة إسرائيل؟ ومصلحتها أن تتفتت سوريا ليس إلى أربع دول طائفية بل إلى عشرين دولة إذا أمكن لأن وجع الرأس يأتى من سوريا. والتجربة العملية تؤيد ما أقوله، فعندما وجدت إسرائيل من مصلحتها دخول بيروت لم تكن سوريا عقبة فى وجه ذلك. ولما ضمت الجولان لم يكن حافظ الأسد عقبة فى طريقها. وعندما أرتات إسرائيل أن مصلحتها أن تكون الحدود مع سوريا هادئة لم تجد كذلك عقبة. أن تفتيت سوريا وانحيازها لإيران وضرب التضامن العربى فى حدوده الدنيا يخدم مصلحة إسرائيل. موقف أميركا المتعاطف مع سوريا هو أمتداد لمصلحة إسرائيل الحريصة على ضرب سوريا وقهرها على يد واحد من أبنائها.

لوائح منظمة العفو الدولية تضم العشرات من العلويين فى السجون:

– إلا ترى أزدواجية فى الموقف الأميركى بين استقبال شولتز بالأحضان فى دمشق، وبين اعلان أميركا أن سوريا متورطة بالأرهاب، ومع ذلك يجرى الحديث همساً عن محاولة لعقد قمة بين ريجان والأسد؟

* هناك نوع من العلاقة الجدلية بين صلة الحاكم بالداخل وصلته بالخارج. الحاكم يكون قوياً فى وجه الخارج إذا كان شعبه معه فى الداخل. عبد الناصر وقف فى وجه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لأن الشعب كان معه. وصدام حسين يقف فى وجه

إيران بحجمها الذى يساوى ثلاثة أضعاف حجم العراق وتحصل على السلاح والدعم من الصهيونية وأميركا، لأن الشعب العراقى مع صدام حسين. ولكن عندما يكون الحاكم مغزولاً فى الداخل مثل حافظ الأسد فإن موقفه يكون صعباً جداً أمام الخارج. وكلما تقاوى على شعبه فى الداخل كان أكثر ذلاً فى التعامل مع الخارج.

وأريد أن أروى لك هذه القصة... فى عام ١٩٨٣ دعيت إلى حلقة دراسية فى جامعة كولومبيا، وكان الموضوع عن سوريا. وقدمت ورقة خلاصتها أن الفكرة الشائعة هى أن هناك حلفاً أستراتيجياً بين أميركا وإسرائيل، يقابله حلف آخر بين سوريا والإتحاد السوفياتى. وما أراه أن الحلف الحقيقى قائم بين إسرائيل والنظام السورى، واستشهدت بغزو إسرائيل للبنان، والموقف من منظمة التحرير وكان النظام السورى أشد وطأة عليها من إسرائيل، والموقف من الحرب العراقية- الإيرانية، وهو يؤدى فى النهاية إلى نتيجة واحدة. وكان الحضور من المعنيين بالشرق الأوسط من صحافيين وأكاديميين ودبلوماسيين. وتوقعت أن يستغربوا التحليل، وفوجئت بأن معظم الحضور آيدوا ما ذهبت إليه، وبعضهم أضاف إليه وعدله، بأستثناء رجل واحد قام يدافع عن الأسد بشكل عقلانى، ويخاطب العقل الأميركى بصورة ذكية. وقال أن المحاضر (يقصدنى) ربما كان متأثراً بوضعه الشخصى وبظلم النظام السورى له، والذى حقق الاستقرار لمدة ١٥ سنة (فى ذلك التاريخ)، ودخل لبنان لمنع الراديكالية من الأنتصار. وقد دافع هذا الرجل دفاعاً بليغاً عن النظام السورى بأسلوب يفهمه المواطن الأميركى. ولكننى لاحظت أن فى لهجته لكنة المانية ثقيلة. وعندما أنتهى أردت أن أرد عليه وقلت له: معذرة، فاتنى أن أتذكر اسمك. هل من الممكن أن تعيد التعريف بنفسك لى وللحاضرين؟ فقال أنا البروفسور ممثل الليكود فى الولايات المتحدة. قلت له: شكراً لقد برهنا على صدق نظريتى!

– لكن الأسلوب الذى يتبعه النظام السورى يجلب له الدعم العربى، ومنها موقفه من كامب ديفيد...

* أريد أن أجيبك بحادث واقعى مع تجنب ذكر الأسماء لتلافى الأحراج. بعد أن أصبح مبارك رئيساً للجمهورية، كنت فى مصر مع بعض الأخوان من السياسيين السوريين. وكنا نتحدث مع مسؤول مصرى كبير جدا، وأبدى تعاطفه مع شعب سوريا دون تحفظ، وسألنا: ما هو المطلوب من مصر؟ واجبنا: أن تتوقف المساعدات العربية للنظام السورى. وأستمهل عدة أيام، وسافر هو إلى إحدى الدول العربية، وبقيت فى القاهرة أنتظر الجواب. وعندما عاد قال لى أن الأميركيين يصرون على أن تستمر المساعدات العربية لسوريا.

– المواطن السورى يتمتع بوعى سياسى، وهو لا شك يدرك مغزى هذا الموقف الأميركى.

* لا أشك لحظة واحدة بأن المواطن السورى يتمتع بوعى سياسى ممتاز، وهذا ما يقودنا إلى تقرير الحقيقة التاريخية وهى أن تغيير النظام هو مسؤولية الشعب السورى، وهو سينهض بهذه المسؤولية. أن «التحالف» لم يبدأ، من أجل أن ينتهى بإعلان بيان، ولن نتوقف إلى أن يسقط هذا النظام. وإذا كانت نسبة التأييد الشعبى للتحالف هى الآن ٢٠ بالمئة مثلاً، فأنها ستصبح ٢٥ بالمائة بعد سنة و٦٠ بالمائة بعدها، إلى أن يأتى وقت يصبح فيه التغيير مسألة شهور أو أسابيع أو أيام، وهذه اللحظة آتية لا ريب فيها.

– المنتفعون بالنظام يتساءلون دائماً: ولكن من هو البديل عن حافظ أسد؟

* صلاح الدين البيطار طرح هذا السؤال عام ١٩٨٠ وأجاب عنه. والسؤال يجب أن

يطرح هكذا: ما هو البديل وليس من هو البديل؟ وبديل النظام الدكتاتورى الفردى الطائفى العسكرى، هو نظام ديمقراطى متعدد الأحزاب بغض النظر عن الأشخاص. وهذه هى قناعة غالبية الشعب السورى. ومع الجهد والتنظيم وأستمرار المحاولات، سيصبح هذا الكلام هو العقيدة الفاعلة لدى الناس، ولسنا بعيدين عن مثل هذا اليوم. يقول البعض: هناك أشخاص خسرناهم وأنا أقول أنها ليست خسارة، فالذى استسهل الاثراء وقبل الأذلال وباع شرفه. هو فى حسابات الحركة الوطنية نوع من الربح لأنه أنكشف فعلاً الآن بدلاً من أن ينكشف بعد عشر سنوات مثلاً. ومن ماش النظام من أجل مكاسب أنية لا يعتمد عليها. والأفضل أن نعرفه من اليوم بدلاً من آن يمشى معنا ويغشنا، وننخدع به ونظنه مناضلاً ثم نكتشف حقيقته فى ما بعد. وعملية الفرز التى قام بها الرئيس الأسد هى من منظور تاريخى كسب للمعارضة وليست خسارة. وعلى كل حال، فإن عدد هؤلاء قليل ولا يشكل أكثرية.

- السياسة السورية فى لبنان جزء مكمل لملامح النظام. ويقول البعض أن مخطط حافظ الأسد هو أنشاء سوريا الكبرى. ويقال أن أميركا أعطت الضوء الأحمر له اعترافاً بقوته الأقليمية.

* التدخل السورى فى لبنان يحتاج إلى شرح طويل. وقد عشت معاناة شخصية منذ اللحظة الأولى لهذا التدخل، وعايشت بعض فصوله بشكل مباشر. الضوء الأخضر لم يأت من أميركا بل من إسرائيل، وطلب التدخل جاء من أميركا عن طريق مورفى عندما كان سفيراً فى دمشق. وكان الهدف القضاء على الثورة الديموقراطية العلمانية فى لبنان التى كان يقودها كمال جنبلاط، لتخليص لبنان من النظام الطائفى. وتدخل الأسد لإفشال هذا المشروع. ومما شجع الأسد للإستجابة إلى رغبة أميركا هو أن السادات كان قد أنهى أتفاقية فك الاشتباك الثانى فى عام

١٩٧٥ ، وبرز اسمه في المنطقة، بينما غاب الأسد قليلاً عن الواجهة بعد أن تجاهله السادات في الاتفاقية الثانية لفك الأشتباك.

أراد الأسد أن يلعب دوراً كبيراً، وأحست أميركا بذلك والوضع الدولي سنة ١٩٧٥ لم يكن يسمح لإسرائيل بأن تتدخل عسكرياً ولا كذلك أميركا، وكان البديل السوري جاهزاً. وعندما طُلب منه ذلك فعل بشكل فردي ودون تحضير الحزب والشعب لهذه الخطوة، لهذا جاء التدخل مفاجأة للسوريين قبل غيرهم، وكنت أنا يومذاك في سوريا. صحيح أن لسوريا علاقات تاريخية بلبنان، ولكنها علاقات مع الحركة الوطنية وليس مع الأنعزالية، ومع تحويل لبنان إلى الصف العربي وليس عزل لبنان عن الصف العربي، ومع أنصار العروبة وليس مع أنصار إسرائيل.

الشرخ الطائفي عميق اليوم جداً إلى درجة مخيفة يصعب تصورها:

لقد تدخلت سوريا في الوقت الخطأ والمكان الخطأ للهدف الخطأ. والأعتراض الوحيد على هذا جاء من صلاح الدين البيطار الذي نشره في جريدة «لوموند» الفرنسية. وللأسف فإن الدول العربية أعطت الأسد غطاء بطلب أميركي، وهذه معلومات وليست استنتاجات. وما يقال عن سوريا الكبرى هو مجرد كلام للأستهلاك. وقد يكون في حسابات الأسد أن لبنان هو مكان مناسب للمعارضة السورية ولذلك أراد قطع الطريق عليها سلفاً بسيطرته على لبنان.

– لماذا أذن تحصل المواجهات العسكرية بين سوريا وإسرائيل بين حين وآخر؟

* يحصل هذا كلما تكون هناك مصلحة للطرفين أو لإسرائيل وحدها. مثلاً، عندما تحصل الانتفاضة المشرفة في فلسطين، تبادر أميركا إلى أحياء مساعي التسوية

السلمي. ويكون من مصلحة إسرائيل أن تفشل المبادرة الأميركية دون أن يتحمل المسؤولية شامير أو شارون، ولذلك ينبغي أن يرفضها طرف عربي، وحافظ الأسد جاهز لهذا الرفض. المواجهة بين سوريا وإسرائيل هو كلام دعاية. أين المواجهة؟ حدود سوريا مع إسرائيل مقفلة منذ عام ١٩٧٣ ولم يقع فيها حادث واحد يعكر أمن «الدولة» اليهودية، ولم يقع حادث تسلل فدائي واحد. وعدد الفلسطينيين المعتقلين في سوريا أكبر من عدد المعتقلين منهم في إسرائيل.

- اليس هذا الطرح أى نوع من المغالاة والمبالغة؟

* حافظ الأسد في السياسة والتاريخ مجهولاته واسعة. أنتقى في الداخل والخارج الرجال الذين تلمقوا عنده هوس التفرد في الحكم، ودفعوه في هذا الأتجاه فإندفع إلى أقصى حد. أما ما يقال في الصحافة الغربية عنه فهو من نوع التملق المدروس، كما ذكر مرة من أن كارتر جاء ليتعلم منه. ممثلو الدول الكبرى يتلاعبون كثيراً بمشاعر وعواطف وغرور الحكام في العالم الثالث. وعندما يعرف المرء حافظ الأسد عن قرب يلمس مستواه المتواضع.

قلت له مره عندما كان وزيراً للدفاع وكان يهيئ نفسه لتسلم الحكم: هناك كاتب إسرائيلي اسمه يوري افنيري وضع كتاباً عنوانه «إسرائيل بدون الصهيونية»، وسألته هل قرأ هذا الكتاب فأجاب: لا والله. وبعد فترة من الحديث قلت له أن البيطار ينشر مقالات في مجلة «الحوادث» خلاصتها أن القرار ٢٤٢ الذي وافقت عليه الدول الكبرى أتخذ من أجل أن ينفذ، ولا يجوز للعرب أن يزايدوا على الموقف من هذا القرار، فاما أن تقبله معاً ضمن أستراتيجية. أو ترفضه معاً ضمن أستراتيجية. وسألته هل قرأ هذه المقالات فأجاب: لا والله وسألته عن ثلاثة أو أربعة أمور أخرى وكان جوابه: لا والله. فقلت له «يا ابو سليمان، إذا كنت لا تقرأ مثل هذه الأمور وأنت تستعد لتسلم الحكم، فماذا تقرأ أذن؟ أجابني: ليس

لدى الوقت لقراءة مثل هذه الأمور كيف تمضى وقتك إذن؟ أجاب: إذا كان أى رقيب فى الجيش يريد الانتقال من مكان إلى آخر فلابد من أخذ رأيى، فكيف يسمح لى الوقت بالقراءة؟ قلت: هذا شغل رجل الأمن وليس عمل الحاكم. علق قائلاً: والله هكذا هو الحكم فى بلادن.

كل رجال الرئيس:

– نستنتج من كل هذا الحوار، أن الظروف الموضوعية هى التى أتت بحافظ الأسد، والظروف الموضوعية هى التى ستطيح به.

* عندما أظهر الخمينى، وجُد بين المثقفين العرب من يقول أن عصر القومية العربية قد أنتهى، وبدأ عصر النهضة الدينية، وكان بين هؤلاء عدد من مُنظرى الماركسية. حزب «تودة» الشيوعى الإيرانى أيد الخمينى إلا أن الخمينى زج باعضائه وقياداته فى السجون ولاحقهم وأضطهدهم. هناك محاولات بدأت فى أيام الأتراك ولم تنته حتى الآن لاقناع العرب بأن القومية العربية كما يقول الخمينى مساوية للصهيونية! هناك وعى أستعمارى لخطر القومية العربية والفكرة العربية، وأى شئ من شأنه تغييبهما لا يترددون فى عمله. وكثير من المثقفين العرب، بدلا من أن يهضموا الثقافة الغربية، فإن الثقافة الغربية هى التى هضمتهم، ولا يتركون فرصة إلا ويغتنموها لتحطيم فكرة القومية العربية، واخواننا المركسيون هم على رأس هذا التيار، ويحاولون الحط من شأن القومية العربية حتى ولو كان البديل هو التيار الإسلامى أو الخمينى.

حافظ الأسد جاء إلى الحكم فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٠. وعبد الناصر مات فى ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩. عبد الناصر كان ممثل القومية العربية، وحافظ الأسد ممثل الردة على القومية العربية. وكان الخمينى أكثر حذقاً بالعودة إلى الأصول أما الأسد، فعبر

عن أتجاهه بسرقة الشعارات القومية. وهو يتكلم عن الوحدة العربية لكنه يخرب أى مؤتمر قمة عربى. ويتحدث عن تحرير فلسطين ولكنه يشق منظمة التحرير ويزج بالفلسطينيين فى السجون. ويتكلم عن حرمة التراب العربى لكنه يحتل لبنان ويفرزه إلى «دول» طائفية.

التدخل السورى فى لبنان تم بضوء اخضر إسرائيلى وبطلب من أميركا،

– ما مدى خبرتك برجال النظام السورى، مصطفى طلاس مثلاً.

* أعرف عنه الكثير، وكان عميلا للمخابرات منذ كان ملازماً أول فى الجيش السورى. وهو لا بالعبر ولا بالنفير كوزير للدفاع والكل يعرف ذلك.

– وعبد الحليم خدام؟

* رجل مطيع ويعرف أن يقول نعم.

– وفاروق الشرع؟

* أدمى وابن حلال ومسكين لا علاقة له بالسياسة.

– وكمت الشهابى؟

* لدى شكوك فى حكمت الشهابى وليست لدى براهين عليها.

– من أى ناحية؟

* من ناحية ولائه، ولا أستبعد أن يظهر فى المستقبل على حقيقته وربما تعاونه مع المخابرات الأميركية.

– هل تقول ذلك لأنه قام بزيارات إلى الولايات المتحدة بصفة سرية أكثر من ست مرات؟

* كانوا يستقبلونه فى أميركا استقبال رئيس الوزراء، ولم يكن يسمح لسفيرنا فى واشنطن أن يرافقه، وعلاقاته مع أميركا لغز كبير.

- ومحمد الخولى؟

* هو من أفهم المحيطين بالأسد، ذكى ومثقف ولعله هو الشخص الذى دفع بحافظ الأسد نحو المنزلق الطائفى. وهو رجل ذو افق، وأعرفه شخصياً وأعرف أنه كذلك رجل معقد.

- مثلاً...

* عندما زار نيكسون دمشق كان محمد الخولى هو المسؤول عن أستقباله ورعايته وامنه. وكان هو الشخص الذى يستقبل كيسنجر فى دمشق فى المباحثات التمهيدية معه. وهو الدماغ المفكر فى شلة الحكم، وليست له علاقة بحزب البعث على الأطلاق، وقد برز فجأة عند تسلم الأسد السلطة، ولا أعرف من جاء به ليكون صاحب التأثير على الأسد. فيه أعتداد بالنفس وأستعلاء وخيلاء. وهو الذى سعى عن وعى لترسيخ التمييز الطائفى فى سوريا.

- ومحمد مخلوف؟

* تاجر وباحث عن الثراء مثل رفعت.

- وعلى أصلان؟

* لاعب كرة وصاحب عضلات قوية.

- وعلى دوبا؟

* ليس غبياً، لكن الخولى أذكى منه بكثير.

– وعلى صالح؟

* أدمى، وليس فاسداً أو مفسداً ولكنه طفل كبير.

مستشار شامير الرجل الوحيد الذى دافع عن الأسد فى ندوة أكاديمية:

– وناجى جميل الذى أفل نجمه أو اختفى اسمه؟

* هو مثل فاروق الشرع من حثالة السنّة، وهو ضابط فنى لا يحمل البكالوريا.

– وعبد الرحمن خليفاوى أول رئيس للوزراء فى عهد الزسد؟

* رجل مغرور كثيراً. ومعتز بأنه جزائرى من نسل الأمير عبد القادر. ظن أنه يستطيع أن يشكل وزارة نظيفة، وهو عسكرى حازم وكان بعثياً عندما كان طالباً فقط. وهو نظيف ونزيه لكنه ليس مثقفاً، ويجب القيام بعمليات بهلوانية. كان مثلاً يقود سيارته فى شوارع دمشق ويتعمد المخالفة أمام رجل الشرطة فإذا لم يحرر به مخالفة يترجل ويضرب الشرطى! وكان يرتدى الجلابية عندما كان رئيساً للوزارة. وأصيب بخيبة أمل كبيرة عندما علم أنه رئيس وزراء بالاسم فقط. وحاول أن يحاسب رفعت فخرج من الوزارة. وعندما أشتكى إلى حافظ الأسد من أن شقيقه يقوم بعمليات التهريب، وعزل.

– وعلى المدنى؟

* موظف كفؤ وليست لديه أهتمامات سياسية.

– من هو الشخص القوى الذى يستطيع أن يخلف الأسد؟

* محمد الخولي.

الزعامات التاريخية:

- لننتقل إلى الزعامات التاريخية. وأعرف أنه من الصعب تلخيص ذلك بكلمات عندما نتحدث عن ميشال عفلق مثلاً.

* الأستاذ ميشال عفلق رجل تارخي. وهو ليس سوريا بل مفكر القومية العربية، وهو يهتم بسوريا من وجهة نظر قومية.

- أكرم الحوارني؟

* زعيم سوري (...) وشخصي جدا. الغلطة التاريخية التي ارتكبها، وخلافاً لكل تاريخه، هي العمل ضد الوحدة السورية- المصرية مدفوعاً بكراهيته لشخص عبد الناصر. وقد تحمس للانفصال بما لا يليق بتاريخ اكرم الحوارني. عمله في السياسة السورية أوجد له عدوات كثيرة جعلته لا يكون مهيأ كرمز للمعارضة الوطنية. البيطار عمل في السياسة وجاء وقت كان يحظى فيه بقبول غالبية الناس كرمز. الحوارني اندفع أكثر مما يجب وخلق حساسيات كثيرة.

التغيير مزعج للدول الكبرى والوضع الراهن هو الوضع المريح:

- هناك تساؤلات حول وجوده في "التحالف" أو خارجه.

* أنه رجل وطني لا شك في وطنيته، وهو معاد للنظام إلى النهاية، ولكن فردي إلى درجة حادة. وعندما يتحدث عن الديمراطية كثيرون لا يصدقونه ويعتبرونه نقيضاً لها، لكنه مناضل شريف.

- ناظم القدسي؟

* لا أعرفه معرفة شخصية. وفى حزب الشعب يُذكر رشدى الكيخيا والقدسى ليس من وزنه.

– معروف الدواليبى؟

* رأيى فيه ليس للنشر.

– خالد العظم ورئيس الوزراء السابق؟

* ديمقراطى مثقف، معتدل، وكان يلقب بـ «المليونير الأحمر». اتجه نحو الإتحاد السوفياتى المقاومة الهجمة الغربية. أنه رجل واقعى وليس أشتراكياً أو علمانياً.

فارس الخورى؟

* لا أعرفه شخصياً ولكن كان هناك أصدقاء مشتركون. وهو النموذج العصرى للقومى العربى. وأيام الثورة العربية الكبرى التى قام بها الشريف حسين، كان هو الزعيم الذى أنتجته الثورة فى سوريا. وكان من الممكن أن يكون عبد الرحمن شهبندر وهو عبد الناصر سوريا، وفارس الخورى من تلاميذه.

– وعبد الرحمن شهبندر؟

* كان زعيم القومية العربية عندما كانت القومية العربية لا تزال تحبو. وهو المثقف بين البدو الذين قاوموا العثمانيين. ولو لم يغتالوه لكان هو عبد الناصر العرب فى الثلاثينيات.

– شكرى القوتلى؟

* ليس مثل الشهبندر. والده مناضل، وهو رجل وطنى وعربى وليس مثقفاً، وهو

أبن النضال ضد الفرنسيين. وعندما وصل إلى الحكم وقع تحت تأثير الأوباش من جماعة الكتلة الوطنية وخصوصاً جميل مردم. وعندما جد الجد عام ١٩٥٨ وافق على الوحدة وتخلى عن منصبه كرئيس للجمهورية بطيبة خاطر ودون تردد، ومات وكانت عليه ديون رغم أنه كان ثرياً، وأنفق ثروته على الحركة الوطنية. وهو طيب القلب وادمى.

- زكى الارسوزى؟

* لا أعرفه شخصياً لكنه عنصرى، وهو أشبه بجابوتنسكى الذى يمثل اليمين الصهيونى.

- شبلى العسيمى؟

* مناضل من عائلة مناضلة، ووالده من قادة الثورة السورية.

- صلاح الدين البيطار؟

* رجل دولة، والسياسة فى نظره علم، وهيأ نفسه منذ المرحلة الجامعية للعمل السياسى. وهو أكثر واحد فى حزب البعث أهتم بالسياسة كعلم، وكل كتاباته ليست شاعرية. درس الدولة والأقتصاد وغيرهما، وكتب حول ذلك. وكان كثير الاستشهاد بابن خلدون الذى قال يوماً: «توصلت إلى علم جديد هو العمران وسأحاول تبسيطه حتى يفهمه العلماء». صلاح البيطار هو من هذه النوعية، يدرس المسائل المعقدة دراسة أكاديمية علمية ثم يحاول شرحها وتبسيطها. ولا أعرف بين المثقفين من كان أكثر جدية منه، وكان يعتبر نفسه التلميذ الدائم، وكانت المعرفة همه الرئيسى ويسعى للتعرف إليها من منابعها.

- أمين الحافظ؟

* فارس شجاع وعسكري شجاع.

- هذه اللائحة الطويلة من الساسة السوريين الباقين على قيد الحياة، هل تعتقد أن لهم دور في إعادة الديمقراطية إلى سوريا؟

* في الإسلام قاعدة فقهية تقول: التكليف على قدر الأهلية. وكلما كان الإنسان مؤهلا أكثر كانت مسؤوليته أكبر. ومسؤولية الذين ينهضون بالعمل، وبتواضع أقول أنني منهم، مسؤوليتهم أكبر من مسؤولية العامل والفلاح. من يتصدى للعمل العام لا أحد يجبره على ذلك، بل يندفع بتأثير أحساس ينبع من داخله. والزعامات السورية التي تصدت للعمل العام تتحمل بلا شك مسؤولية كبيرة في صعود النظام الدكتاتوري العسكري الطائفي وأستمراره. وأعتقد من خلال أحتكاكي بعدد كبير من المسؤولين السوريين أن هذا الشعور أصبح لدى هؤلاء القادة وقد تكون الرغبة في التعويض عن خطأ أرتكبناه سابقا، هو العمل حالياً ومستقبلاً على إعادة الديمقراطية إلى البلاد.

- عن رجال "التحالف" ما رأيك في عدنان سعد الدين؟

* لم يساهم في أية مسؤولية سياسية، ولذلك قد يكون أكثر ناصرية في الحديث عن الماضي. أنه رجل مسلم مؤمن ويقبل الحوار معي كرجل علماني، وهذا أمر جديد بالنسبة لي، وهو مثل الديمقراطيين المسيحيين في أوروبا.

- عصام العطا؟

* أنهى عملياً حياته السياسية في سوريا، وأنني لا أقبل أن تكون أخته وزيرة عند حافظ الأسد.

– هو يقول أن ذلك مأساة عائلية.

* إذا كان لا يستطيع تغيير رأى اخته فكيف ينجح بتغيير أراء الناس ؟

– جاسم علون؟

* لا تجد رجلاً أشرف وأطهر منه. مؤمن، تقى، محافظ.، وعربى لا فرق فى ذهنه بين العروبة والإسلام، وأشاركه فى هذا الأعتقاد، وقوميته مثل إسلامه.

– إبراهيم ماخوس؟

* دجال يدعى العلمانية. وطائفى من عائلة علوية فى لواء اسكندرون.

– الياس فرح؟

* أستاذ فلسفة.

الفصل الخامس

التسلل إلى المعارضة

الفصل الخامس

الأخوان المسلمون جماعة الأسد يتسللون إلى المعارضة ونعرف عشرين جاسوساً منهم

من هو عدنان سعد الدين:

عدنان سعد الدين كربجها زعيم الأخوان المسلمين السوريين رجل كالزئبق ويسيطر على الأخوان سيطرة دكتاتورية ولهذا أطيح به.. ولكنه مازال فى القيادة رغم ممارسته الكذب بدون أى حياء...

ولكن يبقى زعيماً أخوانياً ومن الواجب محاورته.. وهذا الحوار جرى فى بغداد وفى الفيلا التى كان يسكن فيها أكرم الحوارنى سابقاً.

– من هو عدنان سعد الدين؟

* عدنان سعد الدين: أننى فى حياتى كلها لم أجب عن هذا السؤال.

– لماذا؟

* لا توجد حياة تعز الآن، ورجاء أن تقفل شريط التسجيل لأن الوقت لم يحن.

– إذن لنبدأ بالحديث عن الأخوان المسلمين فى سوريا.

* إننا مفصولون رسمياً من «الأخوان» وتبلغنا ٢٤ انذاراً أو قرار فصل. أن ما يحدث فى «الأخوان» يشبه ما يحدث فى أميركا الآن حيث منع چيمى سواجارت من أن يتكلم على التليفزيون لسنة كاملة (سوجارت واعظ دينى). الأخوان المسلمون مألوف عنهم، وعند شريحة كبيرة منهم أنهم قضية مشيخية مثل الدعوة والتبليغ،

أى جمعية خيرية دينية وتعمل فى السياسة مثل أيام الموجات السياسية التى تشمل كل المواطنين مثل أوروبا ومثل مكاريوس والقس چميى سواجارت (...).

– ما وجه الشبه بين "الأخوان" وچيمى سواجارت الصهيونى الفاسد؟

* أقول أنه احياناً تأتى موجة سياسية تشمل الذى يشتغل بالسياسة والذى لا يشتغل، كالانتخابات كل واحد له الحق فى الادلاء بصوته مثلا. أن جماعة أبو غدة كانت علاقتهم بالسياسة علاقة موجات وليست علاقة اصل ومنهج، وعندما صارت قضية الصدام المسلح والكفاح المسلح، وصارت الطروح السياسية فى ٧٩ وحتى ٨٢، وعندما حدثت الضربات الموجعة، كل واحد عاد إلى طبيعته وتكونه. وجماعة أبو غدة تكوينهم مشيخى، وعادوا إلى طبيعتهم وهناك مثلاً ال مراد فى حماه وهم طيبون، ولكن ليس له خط سياسى وهناك مواقف.

– كُتب الكثير عن الأخوان المسلمين فى سوريا، فما هى بدايات الأخوان هناك، وهل كان تأسيس "الأخوان" فى سوريا مجرد صدى وانعكاس لحركة "الأخوان" فى مصر؟

* هذا يحتاج إلى تحضير.

– اليس لديك جواب جاهز؟

* احتاج إلى قرار من مجلس الشورى للحديث معك، وإننى مرتبط بالقيادة.

– تحتاج إلى قرار من القيادة حتى تجيبنى عن التاريخ، فكيف عن الحاضر؟

* إريد أن اراجع نفسى (...) وقيادتى، وغداً نجتمع معهم. وإن شاء الله نتخذ القرار.

– لنتكلم عن التاريخ إذا كان الحاضر يحرجك...

* لن أخوض فى الحديث قبل استئذان «الأخوان». ولقد مزقت كل أوراق التاريخ.

– لماذا؟ هل التاريخ يُمزق أو يحرف؟

* كل واحد له تاريخه وهناك لجنة لاستقصاء هذا الموضوع.

– أن اللجان وجدت لقبر وتزييف الحقائق التاريخية...

* هذا مثل غير مطلق.

– مثلاً أحداث حماة، يرفض الأخوان الكلام وتحديد المسؤول الأكبر عن تدمير المدينة. البعض يقول إنكم شخصياً مسؤولون عن القرار، ويجب مراجعة ونقد الذات كما حدث بعد نكسة ١٩٦٧... لماذا تريدون اقامة لجان إعادة كتابة التاريخ ونحن نعرف أن لجان إعادة كتابة التاريخ ستكون على مبدأ "كل أمة تلعن سالفتها"، وتبرر الأمور والأخطاء.

* لا استطيع أن اجيبك دون إذن... وادعهم يوجهون اللوم لى.

– لماذا يخاف الأخوان المسلمون من المسجل؟

* عندما يُسمح لى اتكلم، وسأصمت لأيام لأننا نمر بفترة صعبة فى التحالف الوطنى لتحرير سوريا.. ولندع الطبخة تستوى... ولا اعتقد إنكم قادرون على نشر مقابلة صريحة معى.

– اختبرنا... ولنبدأ من هو عدنان سعد الدين؟

* لا أهمية لهذا الجواب. وارجو أن تتجاوزه.

– ارجو أن تجيب وننتقل إلي الأهم.

* ولدت فى عام ١٩٢٩ فى مدينة حماة ودرست فى المدرسة الإبتدائية وكان والدى يمتهن بيع الحبوب. ثم التحقت بعد انهاء الدراسة الثانوية بكلية آداب القاهرة. وكنت قد تخرجت قبل ذلك فى حلب عام ١٩٥٠ من دار المعلمين. وفزت ببعثة نظمتها وزارة المعارف والتحقت بجامعة القاهرة فى عام ١٩٥١ وكان اسمها جامعة فؤاد الأول، أى قبل ثورة عبد الناصر بعام واحد، وشاهدت حريق القاهرة (١٩٥٢/١/٢٦) الذى لايزال غامضاً حتى الآن. وأمضيت آربع سنوات فى مصر. وتعرفت على حركة الأخوان المسلمين فى مصر عن قرب، من شخصيات وتنظيمات وإنتاج فكرى... وبعد تخرجى عام ١٩٥٥ عدت إلى سوريا وعملت فى التعليم الثانوى فى سوريا فى محافظة ادلب ثم محافظة حماة حيث بدأت فى معرة نعمان. ومارست الكتابة فى مجلة «الشهاب» وكانت تصدرها حركة «الأخوان» فى سوريا، وكتبت فيها سلسلة من المقالات عن العالم الإسلامى. وتابعت الكتبة فيها حتى توقفت عن الصدور فى عام ١٩٥٧. وطلب منى التنظيم أن اترشح عن المعرة فأبيت.

– متى انتسبت إلى التنظيم؟

* لقد التحقت بتنظيم الأخوان المسلمين فى ١٩٤٥/٧/٥. وكان تحت قيادة مصطفى السباعى.

التأسيس:

– ولكن هل يمكن أن تحدد بالضبط تاريخ تأسيس حركة الأخوان المسلمين فى سوريا، لأن هناك خلافاً حول ذلك.

* الحركة الإسلامية انتشرت فى سوريا فى الثلاثينيات، واتسعت فى أوائل الأربعينيات، توحدت فى وسط الأربعينيات.

– من كان القائد فى الثلاثينيات؟

* كانت الحركة فى الثلاثينيات منفصلة، وكل محافظة كان لها نشاط مستقل.

– يعنى مثل جمعية محمد وغيرها...

* اقدم هذه الفروع هى «دار الأم» فى مدينة حلب.

– تحت زعامة من؟

* كانت هناك شخصيات مثل عبد الوهاب الطونجى.

– احد المصادر يقول أن حسن البنا التقي مع ممثلي الجمعيات الإسلامية السورية في مكة وهو الذي أمرهم بتشكيل جماعة الأخوان فى سوريا.

* هذا الكلام ليس دقيقاً.

– ماهو الأدق؟

* حسن البنا قام بالحج فى عام ١٩٦٤ لأول مرة، وكانت الحركة الإسلامية فى سوريا موحدة انذاك.

– إذن إشرح لى كيف تحقق انشاء حركة "الأخوان" بمعزل عن مصر؟

* فى حماة قامت فى أواخر الثلاثينيات، ويقول البعض فى عام ١٩٣٩ بقيادة من الشباب المثقف والتجار فى المدينة. وكانت تمثل كل القطاعات فى بورجوازيين وممن يسمون بالاقطاع والطلاب والعلماء والفقراء. ولم تكن تمثل شريحة اقتصادية. وهذه كانت من الحجج التى نواجه بها الشيوعيين لنسفه بها التحليل الماركسى للرأسمال والدياليكتيك والصراع الطبقى.

– منذ الثلاثينيات كنتم فى مواجهة مع الماركسيين؟

* منذ الأربعينيات اطلعت على الأفكار السائدة وخصوصاً الاتجاهات الثلاثة، ولا سيما الاتجاه الشيوعى، والقومى السورى، والقومى العربى.

أمين الحافظ رئيس الجمهورية ابلغنا بالمؤامرة لتدمير مدينة حماه:

– ولكننا نتكلم عن تطور حركة الأخوان من الثلاثينيات والأربعينيات...

* أول رئيس لحركة الأخوان فى حماه كان الأستاذ عبد الغنى الحامد.

– وماذا كان اسم الحركة آنذاك؟

* كان اسمها «جمعية الأخوان المسلمين» وحماه هى الوحيدة التى حملت الاسم الذى عمم.

– إذن فى حماه تأسست حركة الأخوان المسلمين ولكن متى بالضبط؟

* نعم، ولكن التاريخ بالضبط كان قبل عام ١٩٤١. ووجود الشيخ محمد الحامد كتلميذ فى جامعة الأزهر وقربه من الأخوان المسلمين فى مصر وعلاقته الشخصية بحسن البنا مؤسس الحركة الأم فى القاهرة ربما هو الذى أدى إلى تسمية حركة الأخوان فى حماه بالاسم الذى يحمله اتباع الأستاذ البنا فى مصر.

– إذن تأسيس الأخوان فى حماه لم يكن بناء لطلب شخصى من البنا؟

* باليقين لا. والبنا التقى بعد ست أسبع سنوات مع «الأخوان» السوريين.

– كيف تطورت جماعة الأخوان فى حماه؟

* الرئيس الثانى للأخوان كان الطبيب المرحوم نورس عبد الرازق. وحينما التحقت بالحركة فى عام ١٩٤٥ كان نورس رئيساً للجمعية. وكنا كل سنة نجرى انتخابات لانتخاب الرئيس.

– كم كان عدد الاتباع آنذاك؟

* كان يقدر بالمئات. وعندما التحقت فى عام ١٩٤٥ كان العدد يتراوح ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ عضو.

– ولكن أهداف جمعية الأخوان المسلمين فى لتثقيف الشعب السورى بدينه. ولم تتدخل بالسياسة اليس كذلك؟

* أهدافها بشكل كلى لم تتضح أو تستكمل آنذاك، وكان يغلب عليها الطابع التربوى والروحى والتوجيهى وعمل الخير والعمل فى الجانب الثقافى، وتأسيس مدارس للعمال فى الليل...

– كيف انتشرت الفكرة فى المحافظات السورية؟

* حصلت اتصالات بين هذه الجمعيات الإسلامية المنتشرة فى المحافظات السورية وخصوصاً المنتشرة فى المحافظات السورية وخصوصاً حماه وحمص وحلب ودرعا ودير الزور... وفى عام ١٩٤٤ جرى حوار ومباحثات مع ممثلى هذه الجمعيات المنتشرة فى معظم المحافظات السورية، وانتهى الأمر إلى توحيدها تحت اسم الأخوان المسلمين.

– فى مؤتمر عام ؟

* لا ادرى ما الصيغة.

– اين عقد المؤتمر؟

* فى حلب على الارجح. وهذه الدقائق الصغيرة يمكن الحصول عليها وسوف تكتب وتنشر.

– ما هى المرحلة الثانية بعد عام ١٩٤٥؟

* بعد عام ١٩٤٥ انتخب لحركة الأخوان المسلمين رئيس عام اطلقوا عليه اسم المراقب العام. وعبارة «مراقب عام» فيها اشارة ضمنية إلى أن سلطاته محدودة لأن هناك ممثلين للمراكز كان يسمى فى ذلك الوقت «الهيئة التأسيسية»، أى مجلس شورى، وكان بمثابة برلمان الجماعة. وكان التمثيل بقدر حجم المحافظة. وكانت الهيئة التأسيسية تقوم بالانتخاب وتضع النظم وتنتخب المسؤولين فى قيادة الجماعة. وكانت القيادة تسمى «المكتب التنفيذى»، وكانت اقامته تتراوح ما بين دمشق وحلب، وغالباً فى مدينة دمشق، وعلى هامش هذه المؤتمرات صدر النظا للجماعة والأهداف والمبادئ.

– ومن كتب ذلك؟

* الجماعة.

– ولكن انتخب أثرها مصطفى السباعى مراقباً عاماً، لماذا؟

* نعم، انتخب مصطفى السباعى فى عام ١٩٤٤ – ١٩٤٥ مراقباً عاماً. أنه رجل موهوب وكاتب وخطيب مفوه وسياسى لامع أيضاً. وله اسهامات واسعة فى الحركة الوطنية فى سوريا، ومصر، لأنه كان ينتقل بين سوريا ومصر، ودخل السجون أكثر من مرة سواء كان المحتلون الانكليز أو من الفرنسيين.

– ما مدى صحة الاتهامات التى وجهت إلى مصطفى السباعى فى ثلاثة كتب من أنه كان ماسونياً ؟

* لم اسمع بذلك.

– ألم تقراء هذه الكتب وهى كتب نشرت فى بيروت؟

* لا، وسمعته منك لأول مرة. أن مصطفى السباعى كان حقيقة أكبر من أى اتهام يوجه إليه يتلاشى تحت قدميه، لأنه كان من النزاهة والوضوح والصدق والشجاعة والكرم (...) على قدر كبير. أنه عملاق.

الزعامة:

– كتاب الماسونية الذى نشره عبد الحليم خورى فى عام ١٩٥٤ فى بيروت يقول أن كلا من فارس الخورى رئيس الوزراء السورى ومصطفى السباعى كانا فى محفل ماسونى واحد فى سوريا مع حسنى الزعيم.

* ارجح أن هذا نوع من الدسائس الصهيونية الماسونية حتى يشوهوا الصفحات المشرقة في تاريخ الأمة. أن مصطفى السباعى كان حاد الطبع لحدة ذكائه، وكان ذو حيوية لا تجارى. وكان الجانب الحركى والفكرى والسياسى المتعلق بالدعوة يغلب في حياته على الجانب التنظيمى.

– ماذا حقق على الصعيد السياسى مصطفى السباعى تاريخياً لحركة الأخوان المسلمين؟

* أن مصطفى السباعى أبرز الحركة فى كل الساحات السياسية. وعندما نزل على رأس قائمة فى دمشق فى الانتخابات وهو من خارج دمشق فإنه اكتسحها. وكانت هذه الدورة فى بداية الخمسينيات. والغريب أن يرشح شخص من مدينة حمص عن دمشق فيفوز بالدرجة الثانية وكان الفائز بالدرجة الأولى سامى كبارة. نجحت قاعدته مثل محمد المبارك (من اصل جزائرى) وعارف الطرقجى (من مدينة حلب) وصبحى الغمرى (كان مقيماً فى العراق).

– لكن يبدو أن الأخوان المسلمين الذين كانوا من دمشق وحمص وحلب تقدموا سياسياً علي الأخوان الذين كانوا من حماه، والذين تقوقعوا علي أنفسهم؟

* بالعكس حماه كانت اسبق من المحافظات كلها، لأنه فى عام ١٩٥٨ تبنت مرشحاً ودفعته إلى البرلمان وهو الشيخ محمود الشقفة، لكن إراد أهله إلا يندمج بالأخوان كثيراً.

– ولكن فى عام ١٩٥١ مثلاً لم يدخل أى حموى من الأخوان البرلمان السورى اليس كذلك؟

* كان فى عام ١٩٥١ ابرز الزعامات الحموية الأخوانية المرحوم الشيخ عبد الله الحلاق. وفعلاً لم يرشحوا احداً ولكن تبنوا بعض المرشحين مثل رئيف الملقى وعبد الرحمن العظم.

- إذن إنحاز الأخوان المسلمين فى حماه آنذاك إلى ما كان يسمى "التوجه الاقطاعى"؟

* لقد كانت المعركة فى حماه حامية لا تحتمل دخول التيار الإسلامى فى الخضم... وكانت البلد منقسمة بشكل حاد بين تيارين: التيار الأول يترأسه رئيف الملقى واكرم الحوارنى. والتيار الثانى برئاسه عبد الرحمن العظم.

- إذن كنتم من تلك الفترة تتحالفون مع الرجعية العربية؟

* فى الحقيقة لم نتبنى ذلك كلياً، بل اعطوا المجال لأى شخص فى التنظيم لأن ينتخب على كيفه، ولم يصدروا بياناً لتأييد جهة معينة. ورأوا أن الخوض فى المعركة خاسراً. وحماه كانت نقطة تماس حادة أكثر من جميع المحافظات، وكان الخطر من المذابح قائما. الأخوان كانت حركتهم حركة لينة.

- ماذا استفاد الأخوان من دخول البرلمان؟

* أول دخول للأخوان فى البرلمان السورى كان سنة ١٩٤٧، ونجح ثلاثة نواب من حلب وحماه ودمشق، وهم: محمد المبارك والمعروف الدواليبى ومحمود الشفقة. وهذا البرلمان كان عمره قصيراً أى ما بين ١٩٤٧ و١٩٤٩ الذى حله حسنى الزعيم سنة ١٩٥١ . عندما عادت الديموقراطية لسوريا فى ظل سامى الحناوى ركز الأخوان المسلمون على مدينة دمشق. وكان حزب الشعب قد ظهر وتحول إليه معروف الدواليبى. وكان نجاح الأخوان المسلمين فى انتخابات ١٩٥١ نجاحاً

يلفت النظر في دمشق، وكان له تأثير في الهيئة التأسيسية ووضع الدستور. وكان البرلمان السوري في عام ١٩٥١ يضم ١٤٢ نائباً. وانتخبوا ٣٣ عضواً للجنة الدستور، وانتخبوا تسعة اعضاء رئيسيين وكان مصطفى السباعي احد اعضاء اللجنة الرئيسية التي أثرت تأثيراً كبيراً في وضع الدستور السوري الذي يعتبر من أفضل وأعظم دساتير سوريا. وسبق في تأصيل التأمين الاجتماعي والتعليم للشعب واستقلالية القضاء والحرية والديموقراطية.

– ما الذي تتميز به الأخوان في نضالهم السياسي في الخمسينيات بالمقارنة مع الفئات الأخرى؟

* كان الأخوان على طول الخط ودون استثناء ضد التدخل العسكري في السياسة. البعث ساهم في انقلاب حسني الزعيم ثم اختلف معه، ووصل إلى السلطة عن هذه الطريق.

– لا، ولكن الخلاف الخطير في عام ١٩٦٦ كان لابعاد العسكر. وتاريخياً فإن البعث كان ضد التدخل العسكري في السياسة.

* هذه قضية داخل الحزب بين العسكريين والمدينيين. ولكن حزب البعث دعم العسكر (...)

– لماذا انتهى مصطفى السباعي سياسياً قبل وفاته؟

* أن المرض اقعده وبدأ ذلك في عام ١٩٥٧.

– من الذي خلفه؟

* كان عصام العطار احد الأشخاص البارزين،

– خالد العظم قال عنه فى مذكراته أنه مرة يتواضع ومرة يهدد... هل هذا صحيح؟

* أن عصام العطار له أسلوب اختلفنا نحن معه فيه. ولم اقرأ ما كتبه خالد العظم بل سمعت بذلك. أن عصام له أسلوب فى السياسة احياناً ويحتاج إلى وضوح.

– ماذا تعنى؟

* كان للعطار أسلوب ميولى واحياناً غامض (...).

– إذن من تولى الزعامة السياسية بعد عام ١٩٥٧؟

* لقد اصاب مرض الشلل الجزئى مصطفى السباعى فى عام ١٩٥٧، ولما حل عام ١٩٦٠ كان عصام العطار وكلاً له.

– ماذا قدم العطار تاريخياً لحركة الأخوان فى تلك الفترة السياسية؟

* كان ابرز ما قدمه عصام العطار الخطب الحماسية وحرك فيها نفوس الشباب، وبدأوا يتداولونها.

– هل أدى ذلك إلى زيادة اتباع الأخوان؟

* من الصعب تقدير العدد. ويمكن القول أنه فى سوريا كان يقدر بعشرات الالوف. ومن الصعب تحديد من هو كامل العضوية ومن هو المؤيد فقط أن ابرز شئ بالنسبة لعصام، أنه لم يعتن بالجانب الإدارى نهائياً، وكان يعتمد على الاثارة والحماس والخطب الرنانة وهى ابرز صفاته وسماته. وفعلاً استطاع أن يجمع الناس حوله فى دمشق ويخلق تياراً...

الوحدة:

- وصلنا إلى مرحلة الوحدة الآن. أن الحقيقة أن الأخوان المسلمين هم من اعداء الوحدة العربية ويتكلمون عن الوحدة الإسلامية لذر الرماد من العيون.

* أن الأخوان المسلمين كانوا يؤيدون الوحدة لدرجة المبالغة، ومن حبهم للوحدة...

- من شدة حبهم لها حاولوا اغتيال عبد الناصر!

* أنت تتكلم عن دمشق وليس عن مصر، وكل قطر له ظروفه المنفصلة تماماً. وهناك قضايا كلية يتفق الناس عليها، وهناك تربية الشباب وأحياء التربية الإسلامية. ولكن عملياً فإن كل قطر مستقل تماماً. وفى عام ١٩٥٨ ايد الأخوان المسلمون الوحدة بقوة.

- تعنى الوحدة الإسلامية وليس الوحدة العربية؟

* لا اعنى الوحدة العربية، ومصطفى السباعى كان يعتبر الوحدة العربية الطريق لجمع المسلمين. أى أن قاعدة الوحدة لهذه الأمة هى توحد العرب.

- إذن تتفقون مع الفكر البعثى الوحدوى العربى؟

* نتفق مع كل أهل الأرض. وكل دعوة جادة للوحدة العربية نحن معها بقوة على أن ترتكز إلى العقيدة والشعور والفكر والاقناع والواقع.

- ماذا حل بالأخوان خلال الوحدة اى بين ١٩٥٨ - ١٩٦١؟

* لقد رضى الأخوان المسلمون بأن يحلوا أنفسهم لتيسير قيام الوحدة.

- حلت الحركة نفسها اسمياً؟

* لا، حقيقة حلت نفسها ثم بعد ذلك كانت بعض الجيوب من الشباب المتحمس

تلتقى كامتداد للصيغة السابقة، إذ لا يمكن أن تنتهى العلاقة الإنسانية أو تشطب بجرة قلم. وكان الشباب على صلة مع بعضهم بعضاً. ولكن كتنظيم سياسى لم يعد للأخوان أى وجود. وبما أن «الأخوان» كانوا فى مصر محظورين ولم يكن لديهم ترخيص رسمى إلا فى الأردن وفى لبنان تحت اسم «الجماعة الإسلامية».

– إذن ما هى اسهاماتكم السياسية خلال الوحدة وبعدها؟

* عندما كان هناك تنظيم شعبى موحد لكل الأمة اسمه الإتحاد القومى، فإن الأخوان لمسلمين بصفة أفراد ترشحوا ونجحوا واكتسحوا كل المحافظات. ولكن نتيجة الممارسات التى تشير إلى عدم فهم نفسية الشعب السورى حدثت ممارسات ادت إلى الانفصال. وعندما اجتمع السياسيون فى نادى الضباط من مختلف الاتجاهات، فإن «الأخوان» توقفوا واحجموا عن توقيع وثيقة الانفصال.

– لماذا؟

* لم يحبذوا أن يسجلوا على أنفسهم تاريخياً، وحريصاً على فكرة الوحدة، من أنهم ضد فكرة الوحدة. مع أن الأخوان أنكروا بعض الممارسات كباقى الفئات السورية. ولكن حتى لا تمس قدسية الوحدة التى يؤمنون بها ايماناً عميقاً مدعوماً بايمانهم الدينى وبفكرهم السياسى ومشاعرهم. وهذا أدى إلى التريث وكان من الصعب عليهم أن يوقعوا على وثيقة الانفصال.

– لكن ساهمتم فى فترة الانفصال؟

* لم يستطيع «الأخوان» المساهمة مساهمة فعلية فى الحياة السياسية. ولو استطاعوا لكان لسوريا مستقبلا آخر. ولقد خاض الأخوان المعركة الانتخابية واحرزوا أكبر

نجاح فى تاريخهم السياسى فى أيام الانفصال، ونجح للأخوان عشرة نواب فى البرلمان ما عدا المؤيدين من اصل ١٧٠ نائباً. ودخل عصام العطار البرلمان مع عمر عودة الخطيب وزهير الشاويش عن دمشق. وكان لنا جريدة اسمها «اللواء».

– اين كنت آنذاك وما هى نشاطاتك الأخوانية؟

* كنت خارج سوريا واعمل فى الخليج منذ عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٤ وفى قطر بالذات، حيث تعاقدت معها فى حقل التعليم، ثم انتدبت من قطر إلى دولة الامارات العربية التى كانت فقيرة آنذاك. ولم اكن امارس السياسة بالمعنى المنظم. ولكن اتيح لى الالتقاء مع اعداد كبيرة من الساسة العرب فى دولة الامارات وكانت فترة نضوج ودراسة واطلاع.

– هل كانت ثورة ٨ اذار (مارس) ١٩٦٣ مفاجأة للأخوان؟ ولماذا لم يكن لكم فى الجيش السورى اتباع؟

* من البداية كان الأخوان ينظرون إلى الجيش بأن يكون مؤسسة مستقلة وليست مسرحاً للنشاطات السياسة. بالإضافة إلى أن حياة الجيش لا تنسجم فى بعض جوانبها مع الحياة الفردية للفرد المسلم أو للعضو فى «الأخوان». وهذان الأمران أديا إلى عزوف التحاق الشباب فى اعداد كبيرة فى الجيش. والذى دخل منهم الجيش دخل بصفة مستقلة وشخصية. وفوجئنا بانقلاب ٨ اذار ولم نفاجأ فى نفس الوقت، لأن الحياة كانت مضطربة وغير مستقرة. حدوثه. وبعد انقلاب ٦٣ ازداد اضطراب الحياة السياسية وكان لدينا جريدة «اللواء» التى لم تغلق لأنها لم تخالف القانون.. وتوقفت بعد ذلك بقرار من قيادة الحركة.

– تتكلم عن القيادة للأخوان. كيف انتخب عصام العطار؟

* كان عصام العطار نائباً لمصطفى السباعي. ومعلوماتي قليلة عن انتخابات عصام العطار. ولكن ما علمته أن العطار لم ينتخب ولا مرة واحدة من قبل مجلس الشورى للأخوان المسلمين، وإنما استمر كنائب لمصطفى السباعي. وحدث الانقسام فإنتخبته شريحة، وانتخب غيره كذلك. والأخوان لم يُطاردوا في عام ٦٣ والانقلابيون شددوا قبضتهم على الحكم، وبدأت ظواهر المعارضة تنتشر في المحافظات. وفي عام ٦٤ حدثت اضطرابات في حماة للشباب المتحمس بقيادة مروان حديد وحدث الصدام وهدم جامع السلطان.

– ولكن فكرة استخدام السلاح ضد السلطة من قبل الأخوان بدات منذ ذلك الحين اليس كذلك؟

* لقد كان الأخوان يدافعون عن النفس، وكان لديهم مسدسات، وكانوا محاصرين في مسجد. وحمل المسدس في حماة عادة اجتماعية مألوفة. لكن الجيش بدأ بضرب الشعب وبعض أفراد الجيش قتلوا زملاء لهم في الجيش عندما شاهدوهم يدكون جامع السلطان.

ثارات حماه :

– إذن هل بدأت ثارات مدينة حماه منذ عام ٦٤ ضد السلطة؟

* أن الممارسات والصدامات مفهومة في حماه ولا نسميها ثارات. وبعد ضرب حماه في عام ٦٤ حُلت المشكلة.

وهنا تدخل الأخ فاروق الطيفور موضحاً: أن أمين الحافظ كان رئيساً للجمهورية، وعندما جاء إلى حماه وكان عبد الحليم خدام محافظاً للمدينة أسرّ للشيخ محمد الحامد شيخ حماه آنذاك وقال له: انقذوا البلد، أن هؤلاء متآمرون عليها ويستعدون لقصفها وهدمها. وكان يتكلم عن جماعة الرائد عزت الجديد وصلاح الجديد. وهذه الجماعة حاصرت المسجد وضربوه وهم اجبروا أهل حماه على المقاومة. وطلب أمين الحافظ حقن الدماء وانقاذ حماه لأنهم يحقدون على المدينة. ونزل الشيخ رحمه الله محمد الحامد إلى الشوارع يطالب الناس بفتح الدكاكين والأسواق... ونجح فى ما بعد باخراج من سجن متوسطاً بذلك أمين الحافظ.

– لنعد إلى زعامة الأخوان فى سوريا.

* سافرت لتأدية فريضة الحج عام ٦٤ ولم أعد إلى سوريا وأقمت فى لبنان. وتولى المسؤولية بالنيابة الدكتور فوزى حمد ومصطفى الصيرفى الذى غادر فى ما بعد إلى قطر.

– إذن هكذا تشتت زعامات الأخوان وتوجهوا إلى الخليج للعمل، وانتقل عصام العطار إلى المانيا، لكن ماذا حل بهم فى الداخل؟

* أخطر ما واجهة الأخوان هو الانقسام الداخلى الذى اشتد بين تيارين...

وهنا تدخل الأخ فاروق الطيفور مرة أخرى للايضاح، وقال: خرج الأستاذ عصام العطار عام ٦٤ من سوريا، وكذلك فعل فوزى حمد، وتولى أمين يكن قيادة الأخوان بالنيابة، وتلك السنة نزلت حركة الأخوان إلى تحت الأرض، وكان فوزى حمد قد دخل السجن معى بعد احداث جامع السلطان، وكنا فى غرفة واحدة فى حلب، ثم اخذوه إلى دمشق فى سجن المزة، وخرج إلى المانيا ثم إلى العراق. واستلم أمين يكن أثر ذلك القيادة

يعاونه موفق دعبول ومحمد هوارى. أى يمكن القول أن هذه القيادة الثلاثية استلمت المسؤولية فى نهاية ١٩٦٥ . وحدث الانقسام فى نهاية ١٩٦٨ وبداية ٦٩ . عدنان سعد الدين: القصة آنذاك أن بعض الأخوان لم يعد مقتنعاً بقيادة عصام العطار وهو خارج سوريا، وآخرون كانوا متمسكون بقيادته.

– هل كانوا متمسكين به لأنه يمثل القيادة التاريخية للأخوان فى سوريا؟

* لا، ليس كقيادة تاريخية وإنما لديهم اقتناع بأنه طالما هو على قيد الحياة وظروفه اجبرته على الخروج، فيجب أن يبقى كمراقب عام للأخوان. ولهذا حدث الانقسام فى عامى ٦٨و ٦٩.

فاروق الطيفور: أن الانقسام حدث فى عام ١٩٧٠ وهناك عدة عوامل له منها أن قصة وجود عصام العطار خارج سوريا ولا يمكن للمراقب العام للأخوان أن يكون فى الخارج. والقصة الأخرى أن بعض الأخوان كانوا يدعون إلى وجود مجلس شورى موسع للمشاركة فى القرار حتى ولو وسط السرية. كما دعا آخرون إلى وجود نظام داخلى يتعايش مع المرحلة. وفريق آخر مثل مروان حديد وغيره كانوا يدعون للكفاح المسلح بعد ظهور «فتح» واقامة معسكرات فى الأردن ومشاركة شباب الأخوان فى معسكرات فتح والعمليات داخل فلسطين واستشهد عدد من الشباب الأخوان، مثل نصر عيسى. وحتى عبد الستار الزعيم الذى قاد الحركة الجهادية فيما بعد كان من الذين تدربوا فى معسكرات «فتح» فى الأردن. وأكثر الشباب من الأخوان الذين كانوا النواة الأولى للحركة المسلحة تدربوا مع فتح (...).

– إذن استمر الانقسام بين الأخوان، ولكن فى نفس الوقت فإن السلطة

لم تضربكم بل ضربت القوى التقدمية واستفدتم أنتم من ذلك؟

* ليس لدى أجوبة دقيقة عن هذه المرحلة.

فاروق الطيفور: أن الأخوان المسلمين ضربوا ولوحقوا ولم يكن الصدام إلا فى حدود معينة، تم الاتفاق على انتخاب مجالس للأخوان سرية... وبما أن الانتخاب لم يكن شاملاً لكل المحافظات السورية فقد برز صراع بين تيارين:

التيار الأول: تزعمته مجموعة حلب بزعامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الذى كان يقيم فى الدول الخليجية.

وكان التيار الثانى: بزعامة عصام العطار الذى يدعمه بعض أخوان دمشق وحمص. وكان عدنان سعد الدين بعيداً عن هذا الصراع، ولكن لم يكن هناك انسجام مع عصام العطار بسبب الغموض الذى يسيطر على افكاره.

– ماذا حدث بعد الانقسام بين أبو غدة والعطار؟

* فاروق الطيفور: تزعم أبو غدة جماعة حلب، وتزعم عصام العطار جماعة دمشق.

– ماذا حصل للقواعد الأخوانية؟

* فاروق الطيفور: حماة مثلاً انغلقت على نفسها بعد الانقسام، وبرزت فكرة الاعداد المسلح التى كان يتزعمها الأخ مروان حديد (...)

هذه هى أسباب الأنشاق بين سعد الدين والعطار وأبو غدة:

– وما حدث بعد الانشقاق؟

* فاروق الطيفور: تدخلت القيادة الدولية التي كانت معروفة بـ«المكتب التنفيذي للبلاد العربية» وأقر انتخاب عبد الفتاح أبو غدة في عام ١٩٧٣ وقرر أبو غدة أن يترك لأنه لم يقدر أن يمارس عمله وهو في الخارج واجتمع مجلس الشورى أثرها أي في عام ١٩٧٥ وانتخب عدنان سعد الدين كمراقب عام للأخوان. ولكن أبو غدة يعتبر واجهة مشيخية وهو عالم وله تلاميذ ومريدون، وهذا لا علاقة له بالأمور التنظيمية والسياسية (...).

وتدخل عدنان سعد الدين (ثائراً) وقال: أن عبد الفتاح أبو غدة هو الذي خرب سوريا ونعق عليها كالبوم من البداية والنهاية، وهو الآن يحاول أن يخرب «التحالف» ويريد أن يدخل إليه اعوان حافظ الأسد، ثم أن علي دوبا هو الذي يدفعه. أن أبو غدة– استغفر الله العظيم– مثل «أبو موجود» في حماه، وحسن الهويدي هو الآن دينامو الفتنة وهو متفاهم مع الأسد. وبدوننا لايمكن أن يمشي التحالف.

– لكن الاتهام الكبير هو أنك بدأت الاتصالات مع النظام السوري في عام ١٩٨٥.

* أن كل هذه الاتهامات تحت قدمي، أن هذا كلام رخيص.

– هل الخلاف حول من يمثل الأخوان المسلمين، أم الخلاف حول التفاوض مع النظام السوري؟

* أننا نعتقد أن جماعة أبو غدة متفاهمة مع سوريا ولا يمكنني أن ادخل التحالف إذاا دخلوه. ولقد اتهمونا بأننا عملاء للعراق وكتبوها ووزعوها وقالوا أننا خونة.

وهنا حضر أحد اعضاء التحالف الوطني لتحرير سوريا وانقطع الحوار. وقال هذا العضو أن المشكلة أن الأحزاب السورية تنظر نظرة حزبية ضيقة جداً، أنه يجب الخروج من

الجمود...

وقال له عدنان سعد الدين: أن التحالف وصل إلى طريق مسدود الآن (...) وذهبنا في متاهات لامجال لذكرها. واتهم أكرم الحوراني بأنه تصرف في بداية تأسيس التحالف وكأنه الأمين العام. وقال أن هناك عشرين جاسوساً داخل حركة المعارضة ونحن نعرفهم. وقام جهاز أمن «الأخوان» بالقاء القبض على عدة اشخاص ارسلهم اتباع أبو غدة لاغتيال عدنان سعد الدين.

– وقفنا عند تاريخ حركة الأخوان المسلمين والانشقاقات التي سادت بين ١٩٧٠ و ١٩٧٣ ماذا كان تأثيرها على الحركة ككل؟

* من تلك الفترة انقسمت حركة الأخوان المسلمين إلى ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الرئيسي هو أخوان حلب الذين اطلق عليهم تجاوزاً «جماعة حلب»، مع أن مراكز أخرى كانت تتبعهم، وتم انتخاب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وفريق آخر كان من أبرزهم «جماعة دمشق» ويتبعهم أيضاً عدة محافظات وكان على رأسهم عصام العطار مع أنه كان في الخارج. وكان نائبه آنذاك حسن الهويدي. والفريق الثالث اطلق عليه «فريق الحياد» وكان مكوناً من ثلاث محافظات وهي دير الزور وحلب، وانضمت دير الزور إلى دمشق وبقيت ادلب على الحياد. واستمر الحال هكذا حتى عام ١٩٧٤. والمحاولات طيلة هذه السنوات لتحقيق الوفاق لم تتوقف وتدخلت فيها شخصيات إسلامية من خارج سوريا.

– مثل من؟

* مثل المرحوم أبو الأعلى المودودي والأستاذ الكبير أبو الحسن الهضيبي بعد خروجه من السجن، بالإضافة إلى تجمعات إسلامية من البلاد العربية. كلهم تدخلوا لاصلاح ذات البين، ولكن كلهم وصلوا إلى طريق مسدود. وفي عام ١٩٧٤

صدر قرار من التنظيم العام للأخوان المسلمين ويتكون من ثمانى نقاط أبرزها اعادة الانتخابات فى قواعد الأخوان باشراف لجنة مؤلفة من عدة أقطار للاشراف على الانتخابات، ليشارك فيها أعضاء القوائم المعتمدة من قبل التنظيم وكل هذا تم فى نطاق السرية أو تحت الأرض. وبالفعل جرت انتخابات فى كل المحافظات داخل سوريا وقاطعت هذه الانتخابات مجموعة الأستاذ عصام العطار الذى ترأسها حسن الهويدى، وانضم إلى هذه الانتخابات مركز الحياد فى أدلب.

- كم عدد المنتخبين والناخبين؟

* كنت فى الخارج ولا يمكننى أن أحدد، وفى الوضع السرى يضيق عدد الناخبين. وانتخبت ادارات المراكز وانبثق عنها مجلس شورى عقد عدة جلسات فى بيروت. ونشأ عن هذه الاجتماعات انتخاب مراقب عام جديد، وتكليفى بأن أقوم بمهمة المراقب العام للأخوان المسلمين على أن يكون النشاط من داخل سوريا وتم هذا فى عام ١٩٧٥، فى شهر تموز (يوليو).

- كم كان عدد مجلس الشورى آنذاك؟

* حوالى ١٣ شخصاً يمثلون جميع المحافظات وكان محمد ديب الجاجه رئيساً لمجلس الشورى.

- لماذا تم اختيارك كمراقب فى عام ١٩٧٥، مع إنك كنت في الخليج وبعيداً عن الساحة السورية؟

* لقد كنت على صلة بهذه التنظيمات ولم أكن منقطعاً عنها وخاصة اللقاءات تتم بيننا وبينهم لاسيما أثناء الاجازات وخاصة اجازة الصيف فى لبنان.

- لكن آنذاك وجهت إليك اتهامات بأنك مرشح دول الخليج لزعامة

الأخوان؟

* إذا كان أهل الخليج لديهم الجرأة لأن يكون لهم مرشح فى الأخوان المسلمين فمعنى ذلك اقتربت الساعة وانشق القمر واقترب يوم القيامة. أنهم حساسون تجاه أى تسمية حزبية أو سياسية. والحقيقة أنه لديهم أزمة كبيرة بعد أن اكتشفوا إننى كنت استلم مناصب حساسة في الخليج مثل مفتش لغة عربية ومشرف البعثات التعليمية وممثل لقطر فى كل الخليج.وبعد ذلك كنت أحد رجلين يشرفان على صياغة المناهج الدراسية ووضع مفرداتها. ولكن نشاطى كان فى بلدى سوريا فالخليج لا يحتمل مثل هذه الانشطة.

– هل أنهيت عملك فى عام ١٩٧٥ فى المجال التربوى فى الخليج؟

* استمر عملى فى الخليج ولكن حولت نشاطى إلى سوريا، لأن العمل الذى أشرف عليه فنى ولا يحتاج إلى وقت طويل أو دوام.

– إذن بعد انتخابك كمراقب عام فى عام ١٩٧٥، اعتبر عصام العطار أن الانتخاب غير دستورى، فماذا كان موقف أبو غدة؟

* أن عبد الفتاح أبو غدة كان أحد الناخبين، وكان يؤيدنى فى هذه الفترة، لأن جناح حلب أيدنى.

– لماذا لم تحاولوا جلب جماعة العطار إلى الإطار العام؟

* لا يصح لشخص قاعد فى «آخن» (المانيا) وبعيد عن سوريا ١٥ سنة متصلة لا مقطوعة ولا ممنوعة أن يتحدث عن دستورية الانتخاب. ولا يصح ذلك أيضاً لمن ينتقلون إلى القبور أو إلى العالم الآخر. ومع ذلك فإننا حاولنا وبذلنا محاولات جادة للقاء. والتقيت مع الأستاذ عصام بعد تكليفى مباشرة، لايجاد جو من الثقة

والتعاون والمودة والانتهاء من جو التوتر السائد، سواء تم الوفاق أو لم يتم.

– ماذا كان رد فعل عصام العطار على هذه المبادرة؟

* لقد كان لطيفاً جداً فى لقاءاته، ولكن بطبيعته كما ذكرت من قبل فإن مواقفه ليست حاسمة ويكتنفها الغموض ويكتفى بالكلمات اللطيفة والناعمة، وكلماته منتقاة، وقلما يزعج من يجلس معه.

– إذا استمر الانشقاق بينكم وبين عصام العطار؟

* الانشقاق استمر ولكن ضعف تأثيره أو كاد ينتهى، واصبح نشاطه محصوراً بينما نشاطنا اصبح فى كل مكان. والعناصر الفاعلة والذكية تفاعلت والتفت وانضمت إلينا حتى فى مدينة «آخن» نفسها. ولأول مرة فإن التيار التنظيمى الذى كلفت برئاسته أخذ يوسع دائرة نشاطه لتشمل كل بقاع وجد عليها تجمع من أبناء التنظيم أو من أبناء التيار الإسلامى للأخوان المسلمين فى سوريا او حتى لأنصارهم.

– إذن انت منذ عام ١٩٧٥ وأنت متمسك ومنفرد بمنصبك كمراقب عام اللأخوان لماذا؟ ألم تنته من ولايتك؟

* لا أرى ولايتى قد أنتهت.

– ماهى مدة ولايتك؟

* كانت الولاية ثلاث سنوات واستمرت من ١٩٧٥ حتى ١٩٨٧ وحصلت تعديلات دستورية واصبحت الدورة أربع سنوات.

– وجددوا لك بالطبع...

* نعم جدد لى فى عام ١٩٨٧ بالاجماع فى داخل سوريا سرياً. وكان من المتوقع

• أن تنتهي ولايتي سنة ١٩٨٢ ولكن حدثت مفأجاة وتحولات وتطورات كبيرة وجداً وحدث صدام في سوريا

— سنتكلم عنه لاحقاً...

* لن أتكلم عنه بل أمر به. أن هذا الصدام أدى إلى وجود الحركة الجهادية، لأن النظام جر الناس جراً إلى هذا الصدام. في هذه الحالة وجدنا تعاطفاً كبيراً من كل المسلمين في العالم وليس من قبل الأخوان وحدهم. واصبحت جماعة عصام العطار وغير جماعة العطار من القاعدين ومن المستريحين والبعدين ويبدون الاستعداد للتعاون والانضمام، ومن ضمنهم حسن الهويدى الذى كان ولاؤه لعصام العطار. وهذا الحوار الذى حصل فى عام ١٩٨٢ كان طويلاً ومعقداً.

— من شارك فى هذه الحوارات؟

* كان سعيد حوّا وعلى البيانونى ومحمد هوارى ومحمد على مشعل وحسن الهويدى وغيرهم. أما عبد الفتاح أبو غدة فقد اعتذر شخصياً عن عدم المشاركة، ولكن الشيخ أبو غدة لم تكن لديه مسؤولية تنظيمية وكانت مسؤولياته أدبية، وكنا على صلة به ونتشاور فى هذه الأمور وغيرها.

— بماذا أنتهت هذه المداولات فى عام ١٩٨٢؟

* انتهت بمشروع الوفاق الذى يضم كل التيارات لا سيما التيارات الثلاثة أى تيارنا وهو فى الواقع كان التيار العريض ويملك جميع الامكانيات والحركة والقتال والتنظيم والنهوض الإعلامى والمالى والتنظيمى والسياسى. والفريق الثانى بزعامة عصام العطار ممثلا بشخص حسن الهويدى وغيره. أما الفريق الثالث فكان يمثل جماعة الطليعة بزعامة عدنان عقله.

– لكن الانتخابات حدثت فى عام ٨١ فماذا كانت نتيجتها؟

* تم اثر ذلك انتخاب حسن الهويدى مراقباً عاماً بالاجماع وانتخبت أنا نائبه، ولكن بعد مأساة حماه فى عام ١٩٨٢ أعيد الانتخاب فى نيسان (إبريل).

– ما الذى دعا إلى ذلك ولم تسمحوا للهويدي بالبقاء ٤ سنوات؟

* كان هناك توتر شديد فى وسط الأخوان بعد مأساة حماه، والنكبة المروعة التى أحدثها النظام بالسكان والأهالى، فاتفقنا فى مجلس الشورى على إجراء انتخابات جديدة فى نيسان من عام ١٩٨٢. وفى أيار (مايو) ١٩٨٢ تشكلت القيادة من جديد وبقى حسن الهويدى كمراقب عام وكنت نائبه وانضمت اعداد يسيرة إلى القيادة واستمر الوضع حتى عام ١٩٨٥. وكان التنظيم يعيش باضطراب. ولأن بعض العناصر التى التحقت بالجهاز لمست الصعوبات والعقبات، بدأت تميل للأنطواء على نفسها، وانكشمت وبدأت تقدم طروحات جديدة ترمى فى مجملها إلى البعد وتصفية هذا الوضع.

– كيف البعد؟

* البعد عن هذا الصراع وتصفية هذا الوضع وعودة الجماعة إلى نوع من الحياة الهادئة أو الدعوة والخروج من هذا المأزق.

– هل قرر ذلك مجلس الشورى من الأخوان فى عام ٨٥؟

* فى كل جلسات مجلس الشورى كان يطفو هذا التوجه وفى شباط (فبراير) ٨٥ انتخب مجلس الشورى المراقب العام الجديد وهو محمد ديب الجاجه من محافظة

أدلب ومن بلدة المعرة.

– من ترشيح ضد الجاجه ولماذا لم يستمر في منصبه؟

* ترشيح ضده منير الغضبان.

– اين كنتم تعقدون مجلس الشورى، ولماذا لم يستمر الجاجه؟

* احياناً نعقده في العراق والأردن وأحياناً خارج البلدين وفاز الجاجه بالأكثرية المطلقة. أما لماذا لم يستمر الجاجه فإن الانتخابات النهائية أى نهاية الأربع سنوات كانت قد شارفت على الأنتهاء والقضية تدخلت بها تنظيمات أخرى خارج التنظيم السورى ووجدت أنه من المناسب أن تدعو إلى قاعدة عريضة فيما يسمى أهل الحل والعقد لتستشيرهم في هذه الأحداث، وأن يعاد انتخاب مجلس الشورى بكامله وكان مجلس الشورى يؤيدى الخط الجهادى وكان يحكم بأن هذا النظام في سوريا لا جدوى من الحوار معه، لذلك رأت القيادة بمعناها العام والوسع أن تدعو إلى مؤتمر عريض وموسع وكلفت مجلس الشورى الذى اختار بقواعد أصولية ٧٥ شخصاً. وهؤلاء يمثلون الرموز التاريخية والإدارية في الجماعة. مثلاً: كل من كان مراقباً عاماً أو نائبه واعضاء الحاكم العليا ورؤساء الإدارات والمراكز تم اختيارهم لتشكيل المجلس.

كل الاتجاهات صوتت لاسقاط النظام السورى واختلفت على الاسلوب:

– اين عقد هذا الاجتماع؟

* لا نريد أن نعلن المكان حتى لا يتم الاحراج (...) واستمر النقاش ليومين وكانت

بعض جوانبه حادة وغير رائعة. ولكن الذين يعتبرون أنفسهم أبناء هذا التنظيم مارسوا أقصى ما يمكن من ضبط النفس حتى مرت هذه العاصفة التى كانت فى بعض جوانبها مفتعلة وتحريضية، ثم جرى التصويت. وكانت هذه الجلسات تعقد بحضور مندوبين من خارج التنظيم السورى.

— مثل من؟

* التنظيمات فى مصر والأردن... أى من ١٥ دولة عربية وإسلامية.

— وماذا كانت النتيجة؟

* كانت النتيجة مذهلة، وكان الاجماع أن هذا النظام السورى ميؤوس منه ولا جدوى للحوار معه. والذين شاركوا فى الاقتراع كانوا ٦٦ من أصل ٧٥ لظروف السفر والظروف الشخصية. وكانت النتيجة أن ٣٤ شخصاً صوتوا أنه لابد من الاستمرار فى الصراع المسلح ضد النظام السورى بينما ٣١ شخصاً صوتوا لاسقاط النظام السورى دون تحديد الوسيلة. وكان هناك ورقة بيضاء واحدة. أما المصالحة مع النظام فكانت نتيجتها الصفر، مع أنه كان بعض الناس يزعمون أن ٧٠ ٪ سيطالبون بالمفاوضات والتفاهم.

— وماذا عن انتخاب المراقب العام فى عام ١٩٨٥؟

* من طرف آخر اجتمع مجلس الشورى واعضاؤه يشكلون مجلس الحل والعقد وكان عددهم ٢٣ شخصاً وقبلت استقالة المراقب العام حسن الهويدى وانتخب محمد الجاجه كمراقب عام. وشكلت قيادة جديدة عدت فيها كنائب للمراقب

العام. وهذه القيادة استمرت ٦ أشهر. وجرى انتخاب مجلس شورى جديد وكان عدده ٢٩ شخصاً. وحضر الاجتماع ٢٨ شخصاً وانقسم إلى قسمين: ١٤ ضد ١٤ . وكان هناك مرشحان هما محمد ديب الجاجه والشيخ عبد الفتاح أبو غده وطرح من جديد اسم أبو غده. وحدث هذا فى حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٥. وأبو غده زج اسمه بعد ١١ سنة من خروجه من القيادة. وكنا نحن نود إلا يزج باسمه لأنه فى سن متقدم ومراعاة لظروفه الصحية ولعلاقاته مع كل الأطراف. وكنا نتطلع إليه خارج دائرة الصراع الداخلى ويكون بمثابة الحكم الذى تفزع إليه الأطراف لتحكيمه فى خلافاتها. لكن بعض الأخوان إرادوا أن يستفيدوا من ظروف أخرى خاصة بالشيخ عبد الفتاح أبو غده فزجوا باسمه فى هذا الخضم. ووقع ما لم يكن فى حسبانهم مع أنه كان متوقعاً بالنسبة لنا، وهو أن الشيخ لم يفز بالانتخاب والمجلس وانقسم إلى عددين متساويين إذ نال كل من الجاجه وأبو غده ١٤ صوتاً.

— من كنت تدعم أنت؟ الجاجه؟

* بالطبع الجاجه. وصاحب الصوت التاسع والعشرين لم يحضر إلى الاجتماعات وهو مندوب أخواننا فى أميركا الشمالية (اسمه سرى). وانتظرنا أن يعقد مجلس الشورى بعد أن ضمنت الأكثرية المطلقة ١٥ ضد ١٤ ، لصالح الجاجه، ولكن فوجئنا باللجؤ إلى القيادة العليا لتصدر قراراً بتعيين منير الغضبان مع أنه كان واحداً من مرشحيهم وفشل فى الانتخابات. ولم يكن سياسياً، إنما كان من حماعة أبو غده. ثم رشح على البيانونى ولم ينجح.

— ما عدد الأصوات التى حصل عليها الغضبان؟

* حصل على ما بين ١٠ و١٢ صوتاً. والبيانونى حصل على ١٠ أصوات، وتم

ذلك بعد شهرين. ولكن فوجئنا بأن أخوانية مسؤولة تصدر قراراً بتعيين منير الغضبان (من منطقة دمشق ومن التل) واعطته صلاحيات لم يعرفها تاريخ تنظيمنا. واصدر قراراً بتجميد مجلس الشورى. وهذه الاجراءات لا يوجد لها مستند فى النظام العام أو الخاص.

– من اصدر هذه القرارات؟

* القيادة العليا للجماعة.

– ومن هى القيادة العليا؟

* أنها تضم المرشد العام المرحوم عمر واشخاص آخرين من عدة أقطار لا يريدون أن تذكر أسماؤهم.

– إذن تدخل التنظم العالمى للأخوان المسلمين فى الشؤون الداخلية للأخوان فى سوريا؟

* نعم، ونحن لا نعرف لهذا التدخل مستنداً نظامياً لا فى لوائحنا أو لوائحهم مما اضطرهم إلى تعديل لوائحهم بعد ١٤ شهراً لتغطية هذا التدخل.

– إلى ماذا تعزو التدخل فى شؤون الأخوان فى سوريا؟

* كان الهمس الذى جرى من قبل الذين يخالفوننا الرأى أن نهجنا السياسى غير مطمئن لهم أو أن نهجنا لا يطمئنون إليه.

– هذا حدث فى آب (أغسطس) من عام ١٩٨٥. وماذا حصل منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم من تطورات؟

* بعد ذلك رفضنا نحن الاجراء لمخالفته النظامية وشكلنا قيادة موقته فيها رموز ريثما تعيد الشرعية إلى نصابها، وحتى تتحرك المؤسسات وتمارس دورها وصلاحياتها واتفقنا فيما بيننا فى المكاتب. وعندما استلم منير الغضبان صلاحياته لم يجد قبولاً فاجتمعت القيادة العليا للدولية وعدلت من قرارها وأعطته كل صلاحيات مجلس الشورى، مع أنه معين. واصبحت القيادة فى سوريا مسؤولة أمام شخص من خارج التنظيم السورى وهو من بعض الأقطار المجاور (٠٠٠) ولدينا وثائق على ذلك وكلها قدمناها فى مذكرات رسمية. وعدل القرار حيث أصبح مجلس الشورى العام وليس الاقليمى هو الذى يملك الصلاحيات.

– أى اصبحت السلطة فى يد مجلس الشورى العالمى للأخوان المسلمين. ما عدد اعضائه؟

* لا أعرف ولا أحد فى الدينا يعرف عدد اعضائه. وأصدر مجلس الشورى العام قراراً يُبقى عدنان سعد الدين مسؤولاً عن المكتب السياسى فى الجماعة. وبذلك تمت التسوية مؤقتاً رغم المخالفة التى حدثت فى التعيين والتى لا تستند إلى جانب نظامى.

– إذن ماذا حدث بعد هذه المخالفات والتدخلات؟

* ما حدث من أن الشيخ منير الغضبان لم يستمر فى هذه القيادة أكثر من شهرين لأنه واجه عقبات كثيرة أهمها أن الطرف الآخر لم يرض عن هذه القيادة لأنه يريدها باتجاهها أى مع عبد الفتاح أبو غدة. واضطر الغضبان إلى تقديم استقالته وتشكيل قيادة أخرى بزعامته هو أيضاً، وورضينا بها، ولكن بعد شهرين قدم استقالته مرة أخرى لأن جماعتى أبو غده رفضت التعاون معه، فشكل قيادة ثالثة ووافقنا عليها. وفى المرات الثلاث رفض الطرف الآخر الذى تزعمها أبو غده أن يتعاون مع القيادة، مع أن القرارات كانت واضحة وتتضمن أن الطرف الذى لا

يتعاون تسير القيادة بدونه، لأن القيادة الثالثة كانت موسعة ويمكنها أن تسير إذا تخلى احد الجناحين. ولكن بعد ٥٢ يوماً قدمت جماعة أبو غدة الاعتذار عن تقديم اسماء ممثليها مع أننا قدمنا ممثلينا خلال ٣ أيام، فجرى حل القيادة وطرحت قضية انتخاب المراقب العام من القواعد الأخوانية. وجرت الانتخابات فى آذار (مارس) عام ١٩٨٦، وكان القرار ينص على أن من يحظى بأصوات أكثر من ٥٠٪ من المقترعين يكون مراقباً عاماً ويستطيع أن يبدل فى المؤسسات كما يريد.

- بما أن هذا الاقتراع يعتبر تاريخياً فى شق الأخوان، كم كان عدد المقترعين؟

* الناخبون كانوا حوالى ٢٠٠٠ ولكن الذين شاركوا فى الاقتراع كان عددهم قليل لأن محظورات وسلبيات الانتخاب عديدة ونحن استغربنا كيف يتخذ مثل هذا القرار لأن أكثر الشباب يقيمون ويعملون فى بلاد لا تقر التنظيمات السياسية. ومثل هذا التحرك فضح الكثير من الأسرار واحرج قطاعاً كبيراً من الشباب وجعلهم فى حالة تعويم وكنت أنا والشيخ عبد الفتاح أبو غدة المرشحين الرئيسيين فى الانتخابات. وقال القرار إذ لم يخطئ احد المرشحين بأكثر من ٥٠٪ من المقترعين تعاد الانتخابات بين الاثنين اللذين حصلا على أعلى نسبة من الأصوات. وكنت آنذاك خارج العالم العربى ولم يقدر أحد منا على الفوز بالأغلبية المطلقة. ولكن كانت هناك امكانيات لنتائج أخرى ولكننا ابتعدنا عنها. وهناك مناطق لم يصلها أحد فأخذت الأصوات بالجملة. وهناك أماكن جرى فيها شطب بعض الأصوات. وحدثونى أنه تم رمى ٢٠ صوتاً... وحينما روجع المسؤول عن سير الانتخابات لم يحقق فى الأمر. وفوجئوا أيضاً بأن الأصوات كانت دون ٥٠٪ وكان من المتوقع ألا يقبل المرشحون أو بعض المرشحين أن يستمروا فى المعركة، ولجأت القيادة العليا على حساب جديد آخر وحذفت بعض الأصوات

التى كانت ورقات بيضاء مع أن اصحابها أقترعوا.

- تعنى بالقيادة العليا أى التنظيم العالمى للأخوان؟

* نعم، التنظيم العالمى، تدخل وقال أنه يعتبر الشيخ عبد الفتاح أبو غده هو الناجح بعد الغاء حوالى مائة ورقة وهذا جعله يصل إلى ٥١ ٪.

- وأنت حصلت على ٤٩٪؟

* حسب ما يقولوا. وهنا اعتبرنا نحن الأعمال كلها غير دستورية من البداية إلى النهاية، ورفعنا تظلماً وست مذكرات نشرح فيها المخالفات من أول الطريق إلى آخره، فلم تتلق أى اجابة. وتكلمنا عن تشكيل القيادات بتعيين المراقب العام وقلنا أن هذه مخالفات. وفى كل مرحلة عن هذه المراحل كنا نرفع فيها مذكرة نذكر فيها كل المخالفات.

- متى صدر القرار من التنظيم العالمى؟

* صدر فى شهر نيسان (إبريل) من عام ١٩٨٦ قرار من التنظيم العالمى بتثبيت فوز أبو غده، ونحن رفضنا قبوله، لأننا أعتبرنا ذلك مخالفاً حتى لأصول علم الحساب.

- خلال ٨٦ - ١٩٨٨ ماذا جرى بين جماعة أبو غده وجماعة عدنان سعد الدين؟

* أن مجلس الشورى تداعى لعقد الجلسة لأنه مجمد أيضاً بدون استحقاق. لأنهم هم أشرفوا على انتخابه وهم جّمدوه. ففى سنة واحدة حلوا مجلس الشورى

وجمدوا مجلس الشورى الثاني. ووقعت أخطاء كثيرة. إذن مجلس الشورى لا ينبغي أن يُجمد وليس هناك من مبرر لتجميده ويحق لمجلس الشورى أن يدعى عن طريق ثلث الأعضاء أو عن طريق مكتبه أو عن طريق المراقب العام. ولهذا وقع أكثر من ثلث الأعضاء على عريضة بدعوة المجلس للاجتماع. واجتمع مجلس الشورى في أكثريته المطلقة في إحدى الدول (...) في حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٦. وحسب الأصول حضر ١٥ من أصل ٢٩ ووجهنا حسب الأصول مرتين دعوة للأعضاء الآخرين أن يلتحقوا. والانتخابات جرت على مرحلتين. في المرحلة الأولى يجب على المرشح أن ينال الثلثين غير موجودة. والمرة الثانية ينال الأكثرية المطلقة وفعلاً نلت الأكثرية المطلقة في مجلس الشورى وصوت لي ١٥ من أصل ١٥ عضواً. وطبعاً تشكلت القيادة وأعضاؤها يصبحون أعضاء طبيعين في مجلس الشورى إذا اختيروا من قبل مجلس الشورى فتوسع بذلك عدد أعضاء المجلس.

– من هي هذه القيادة؟

* قيادة غير معلنة وتضم ١٠ أعضاء.

* إذن اضفتم عشرة أعضاء إلى مجلس الشورى؟

* بما أن الـ ١٤ عضواً لم يحضروا في الجلسة الثانية فقد جرى انتخاب غيرهم. والآن يتألف مجلس الشورى من ٢٤ شخصاً وقد استكملت المناطق الأخرى (...).

– إذن مازالت جماعة أبو غدة تعتبر ما قمتم به عمل غير دستوري؟

* أنهم بالأساس كل وضع مرفوض لديهم. بالأساس حصلت تدخلات لا علاقة

لها باللوائح أو بالنظام الذى نتمسك به.

المفاوضات:

- هل مازلت متمسكاً بمنصب المراقب العام للأخوان؟

* لقد تم انتخابى من قبل الأكثرية المطلقة الذين اشرفوا هم على انتخابه رغم المخالفات الكثيرة التى جرت.

- كيف يمكن حل العقدة بعد أن أصبح هناك مراقبان عامان للأخوان المسلمين فى سوريا؟ وكيف يمكن توحيد القيادة؟

* غيرنا مر بهذه الأطوار أما نحن فقد فرض علينا هذا التطور.

- لكن كل منكما يدعى الوصل بليلى.... وكل فريق يقول أن جماهير الأخوان معه كم من الأخوان معك؟

* نحن لايشغلنا هذا اللغط ونحن مشغولون بواجبات أكبر. ولانسمح لأنفسنا أيضاً بوجود التوترات والصراعات بيننا وبين الآخرين. والذين اختلفوا معنا فى الرأى واختلفنا معهم فى الرأى لن ندخل معهم فى جدل عقيم وخلافات حادة وخصومات، لأنه ليس من وراءها طائل. وكل إنسان يتجه الوجهة التى اقتنع بها (...).

- إذا كانت لديكم قواعد شعبية حقاً فلماذا لا تعودون معاً إلى القواعد لاجراء انتخابات شاملة؟

* لقد اجبت بما فيه الكفاية عن كيفية اجراء الانتخابات على مستوى القواعد.

– اليس هناك مجال لاقالة أبو غده وسعد الدين واجراء انتخابات أخرى؟

* أن التنظيم هو المسؤول عن هذا الحدث والقضية ليست قضية شخصية ولم أفرض نفسى وليست المسؤولية ملكى الشخصى حتى أقول: اترك أو لا أترك، ويقيلنى أو أقيله... هذه قضية تتعلق بصلاحيات مجلس الشورى الذى يمثل كل قواعد الأخوان.

– تتركون الانطباع دائماً بأن توجه عدنان سعد الدين وجماعته هو توجه عسكرى وجهادى. وأما أبو غده فتوجههم سياسى ومشيخى وتفاوضى. فهل انقسمتم إلى أخوان عسكريين وأخوان سياسيين؟

* نحن نعتبر أن العمل السياسى والعمل العسكرى يسيران جنباً إلى جنب. والعمل العسكرى فرض علينا فرضاً لأن العدو غاشم وظالم وحاقد ونكل بالناس وقتل الأبرياء واغتال مواطنين فى داخل السجون وخارجها، وحكم على الناس بالاعدام وله ضحايا لا تحصى. هذه السياسة الرعناء الظالمة من قبل الحكم هى التى دفعت الناس دفعاً للدفاع عن أنفسهم... ولذلك فإن هذا الأمر مفروض على التنظيم الذى خاض الصدام المسلح مع النظام الحاكم فى سوريا. وفى نفس الوقت فإن السياسة التى نخوضها من أوسع. ساحاتها وأبوابها، ونحاور الجميع ونصغى للجميع ونستفيد من تجارب الجميع.

– لكن أنتم الفريق الذى حمل السلاح وهم لم يحملوه إليس كذلك؟

* بالنسبة لهم، لو سئلوا هم أفضل، لأننا لا نصنفهم ونستطيع أن نحدد ونصنف أنفسنا. وأما ملاحظاتنا عليهم فإننا نحتفظ بها لأننا ملتزمون بقرار مجلس الشورى الذى يحظر الجدل العقيم والصراعات والخلافات. ونحن لا نرد على هجماتهم. أما فيما يتعلق بتوجيهاتهم السياسية والتفاوضية والعسكرية أو غيرها، فهم أولى بالحديث عنها. أما نحن فلدينا قناعة تامة بأنه لا جدوى من الحوار مع نظام وصفناه قبل الانقسام جميعاً بالخيانة والطغيان والتآمر مع الأعداء وذبح المواطنين وتعطيل دور سوريا واحداث الفتن الطائفية والعرقية فى كل منطقة.

– ولكن ها أنتم وقعتم فى فخه...

* دعنى اكمل بالله عليك. هذا الوصف للنظام فى نشراتنا كان من قبل قيادة الجماعة قبل الانقسام.

– لكن الاتهام الذى يوجهه إليك شخصياً هو إنك والقيادة اجتمعت مع ممثلى النظام أكثر من مرة، وخالفتم بذلك قرار "التحالف الوطنى لتحرير سوريا" ونوقشتم فى التحالف بذلك واعترفتم به حسب المحاضر الموجودة فى التحالف.

* هذا كلام متداخل ومختلط وغامض.

– اين الغموض، المحاضر موجودة.

* هذا خطأ وأنت حر فى أن تقرأ ما تريد وأنا أقول لك الحقيقة وليس غيرها. أن قضية المفاوضات حينما نوقشت فى القيادة نحن كنا نرفضها.

– تعنى قيادة الأخوان المسلمين؟

* نعم في قيادة الأخوان، وليس لنا موقف آخر. وطُلب منا بالحاح أن نساهم فيها فاعتذرنا لأسباب معلنة وواضحة ومعروفة لدى الجميع. وعندها ذهب الفريق المقتنع بالتفاوض.

- متى وكيف وأين ومن قام بالمفاوضات؟

* كانت المفاوضات الأولى في شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٨٤ وفي إحدى الدول الأوروبية. وحضر وفد سمته القيادة الأخوانية. وهذا أمر سرى.

- سرى على من، بما إنكم تفاوضتم مع النظام؟

* لقد كان الوفد برئاسة منير الغضبان الذى كان المراقب العام للأخوان ومعه رفيق له لا اريد أن إذكر اسمه. وكان يمثل النظام السورى ضابط مخابرات عسكرية منهم العميد حسن خليل والعقيد هشام بوختيار. وكان اللواء على دوبا يشرف على المفاوضات لكونه رئيس المخابرات العسكرية.

- كم استغرقت المفاوضات بين الأخوان وعلي دوبا؟ وهل وضع تقرير عنها لقيادة الأخوان؟

* نعم ضع تقرير، واستمرت المفاوضات جلستين في يومي ١١ و١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤.

- ماذا كانت المطالب الأخوانية ورد فعل على دوبا عليها؟

* خلاصتها أن النظام السورى يريد من هؤلاء الناس أن يرجعوا إلى سوريا ويعيشوا في ظل أو كنف النظام السورى. وهذا ما عاد الوفد ليعبر عنه وهو ليس استنتاجاً بل كان هو كلام وفد الأخوان. واصدرت وزارة الداخلية السورية بياناً قالت فيه أن

الأخوان بدأوا يسيرون على طريق التوبة والعودة، مما اضطرنا للرد في بيان مفصل.

– ماذا كان مطلب الأخوان من النظام؟

* النظام السوري لم ينظر إلى المطالب.

– ولكن ماذا قدمتم من مطالب؟

* لم أضعها أنا، ولا تعنيني لأن النظام السوري سخر منها ورفضها.

– لكن نريد أن نعرف تفكير هذه القيادة الأخوانية ونريد أن نعرف المطالب.

* خلاصة المطالب الأخوانية هي أن تعطى الحرية للشعب السوري ويطلق سراح السجناء، فسخروا من هذا الكلام ورفضوه وقالوا: انتم لستم منتصرون ولستم انتم الجنرال غورو حتى توجهون مثل هذا الكلام، وعليكم أن تعودوا كما عاد غيركم لتعيشوا في ظل النظام وتشهدوا أو تشاركوا في افراحه واعماله الوطنية. وعاد الوفد الأخواني ليقولان النظام يريد منا طلباً واحداً هو أن نعيش في كنفه وتحت ظله فقط، وليس مستعداً لأي بحث آخر. وصدر بالتالي في مجلس الشورى قبل حله قرار بالاجماع أنه لم يعد جائزاً مفاوضه هذا النظام، وانتصر الرأي الذي كنا نتوقعه ونلح عليه وننصح بالالتزام به.

– إذن لماذا استمر الأخوان بالمفاوضات؟

* في ظل وحدة الجماعة لم تستمر المفاوضات.

– من أوعز بالاستمرار في المفاوضات؟

* لقد اصبحنا قسمين بعد ذلك، اذهب واسألهم لماذا فاوضوا.

– هل تعتقد أن التفاوض هو السبب الرئيسى للانقسام؟

* هذا أجبت عليه.

القيادة العالمية:

– لنحلل أسباب الانقسام من الناحية التاريخية.

* حركة الأخوان المسلمين اعتمدت نظام الشورى منذ البداية، فى الثلاثينيات. ونستطيع القول أن هذا النظام ترسخ فى الجماعة وجعل الحياة الديمقراطية لديهم قوية الجذور. ولكن ينتاب هذا الأسلوب احياناً نوع من الضعف والتضييق والسطحية.

– هل هناك سابقة بحيث أن أي تنظيم قطري للأخوان رفض الانصياع إلي التنظيم العالمي للأخوان؟

* نعم، فى السودان مثلاً. وقد وجد الأخوان هناك أن ظروفهم لا تسمح لهم بالاندماج الكامل، وفضلوا أسلوب التنسيق.

– هل تنظيم الأخوان القطرى فى سوريا رفض مثلاً قرارات القيادة العالمية؟

* لا نقول أننا رفضنا بل حصل خلاف على تفسير النصوص الدستورية، عند وضعها موضع التنفيذ.

– على أى أساس وافق تنظيم الأخوان فى سوريا على السماح لقيادة الأخوان العالمية التدخل فى شؤونه واملاء القرارات عليه، مع إنك

سبق وقلت أنها قيادة غامضة؟

* القيادة العالمية للأخوان موجودة داخل البلاد العربية وليس خارجها، ونحن لا نشك في نياتهم ونثق بدينهم وصدقهم، ولكننا نتذمر أحياناً من القصور فى الرؤية الذى يؤدى إلى مثل هذه الخلافات. ولكن ما زالت تجمعنا معهم أخوة الإسلام ورابطة العمل الإسلامى.

حسن البنا بشر بالوحدة العربية فى الثلاثينيات:

- يصور البعض تنظيم الأخوان العالمى على أنه اشبه بالتاريخ الأسود للماسونية العالمية من حيث السرية وتدفق الأموال بين يديه بالملايين.

* لم اسمع بمثل هذا من قبل. وإذا كان الماركسيون هم الذين يقولون ذلك فإنهم يفكرون بعقول غيرهم عادة وليسوا مستقلين فى الرأى. وهذه التهمة تنقصها الرؤية والموضوعية، وهذا كلام غير صحيح. وحركة الأخوان كانت دائماً مطاردة فى البلاد العربية، وخضعت لضغوط تنوء تحتها الجبال. ولو تعرضت الأحزاب الأخرى لجزء يسير من هذه الضغوط لتلاشت واختفت من الوجود، بينما حركة الأخوان ازدادات رسوخاً وقوة وصلابة وتماسكا، وقدمت تضحيات قل نظيرها. والأخوان لا يؤمنون بالعمل السرى ويرفضونه رفضاً تاماً (فاصدع بما تؤمر)، ولكن الحركة تضطر أحياناً للعمل السرى كارهة وغير مختارة، «وإذا لم تكن الأسنة مركباً فما حيلة إلا ركوبها». وأى مكان يتيح للحركة الأخوانية أن تظهر فإنها تعلن فيه عن نفسها، لأنه ليس لديها ما تخفيه أو تخجل به، ومبادئ الإسلام واضحة، وعلينا أن نحملها ونبلغها للناس كافة.

- بعد ظهور حركة الخمينى فى إيران أخذ بعض الكتاب القوميين

يقولون أن التوجه الإسلامى بصورة عامة فى الوطن العربى بغالبيته السنّية هو توجه مدجّن ومساير للحكم، واحياناً إلى درجة خطيرة كما حصل عندما اصدر الأزهر فتوى بتأييد كامب ديفيد. ويضيف هؤلاء الكتاب أن طبيعة السنّة ليست مقاتلة ولا ثورية وحتى انتم كتنظيم أخوانى فى سوريا لم تستخدموا العمل المسلح إلا فى وقت متأخر.

* هذا الكلام هو أقرب إلى الكلام الانشائى وليست فيه حتى جزئيه صغيرة من المصداقية، وهو تكرار لما يلوكه الخمينى وجماعته المنحرفة. ولاحقيقة أولاً أننا حين نتحدث عن المسلمين والسنة فإن الأمة كلها تنتسب إلى أهل السنّة وذلك بعد مخاض استمر فى الف سنة، وبعد تمحيصات فكرية وفقهية ودراسات عميقة. وأثر ذلك التقت مذاهب المسلمين فى نطاق السنة والجماعة على أفكار محدد ورؤية واضحة. والمسلمون السنة يشكلون ٩٥٪ على الأقل من المسلمين فى العالم. ونحن لسنا مدرسة جديدة وإنما مدرسة تابعة، وتنظيمنا يدين بالولاء والتبعية والاقتناع إلى مدرسة حسن البنا وشخصيته، وهو العالم المجاهد والإمام بحق، والمجدد لمبادئ الإسلام ولرسالة الإسلام. وقد بدأ حسن البنا رسالته وهو فى العشرين من العمر واستشهد وهو فى الثانية والأربعين، وكل أموال الأرض لا تشغله ساعة فى الليل أو النهار لأنه كان مشغولاً بما هو أعظم، وبناء أمة عظيمة وتجديد تاريخ وضاء وتحرير شعوب من الاستبداد الخارجى والداخلى، ومن الفقر والمرض والتخلف، وحسن البنا قدم روحه وهو يبتسم.

– لماذا إذن توجه تهمة الرجعية والعمالة لأميركا إلى الأخوان؟

* نحن فى واقعنا وحقيقتنا، وسرنا وعلننا لا نتبع إلا الله جل جلاله، وليس لأميركا

أو الإتحاد السوفياتي أو الصين أو اليابان أو الهند أو الإنكليز. ولكن نقول أيضاً بصراحة أننا نحاور أهل الأرض جميعا، ونحاور الأميركان والروس، ونريد أن نسمع صوتنا للجميع، وأن نصغي إلى تجارب الآخرين. وفي حقيقة الأمر فإن تنظيمنا يتحدى أهل الأرض إذا كان للدول يمينها ويسارها صلة أو علاقة أو فضل أو تسهيلات ممنوحة للأخوان... وعلى العكس، فإن كل هذه المراجع صمتت وسكتت على ذبح التيار الإسلامي وذبح عشرات الالوف من المنتسبين إليه في سوريا، فكيف تفسر ذلك؟

– صدرت كتب ودراسات في الغرب تقول أن وقف المد الشيوعي في العالم الإسلامي لا يمكن وقفه إلا بإقامة حزام من الدول ذات الحكومات الأصولية الإسلامية وهذا ما يفسر تأييد مراجع نافذة في أميركا للخميني وبعض التقدميين يقولون أن الأخوان طابور خامس في العالم العربي، وأن كل ما تدعونه من طهر وتأييد للقضايا العربية ما هو إلا محاولة لذر الرماد في العيون، وإنكم حين تصلون إلى السلطة ستقيمون نظاماً يكون أسوا من نظام الخميني.

* الغاطس في السياسة أكثر من الظاهر، وهذا ما تستطيع أن تقوله الدراسات الأكاديمية في أميركا، والحقيقة هي عكس ذلك، فالحركات اليسارية في العالم العربي والإسلامي تجد التشجيع والتأييد والدعم لدى أميركا لتكون عامل هدم في بلادنا، وهذا ما كان يفعله الإنكليز، وهذه هي مدرستهم. ففي عدن صنع الإنكليز اليسار، وفي العراق صنعوا عبد الكريم قاسم. وهذه أصبحت الآن لعبة مكشوفة، وأميركا هي من أسوأ الدول في العالم بهذا الشأن. والمجتمع الأميركي ينقصه الكثير من الاصالة والعراقة والقيم، ولذلك تنشغل الولايات المتحدة دائماً بتقسيم المجتمعات وتمزيقها.. فإذا كان اليمين مسيطراً أيدت اليسار. وإذا كان

اليسار مسيطراً أيدت اليمين وغايتها الوحيدة هى تمزيق المجتمع من الداخل.

ونحن، منذ عام ١٩٨٠ ، وقبل اندلاع الحرب بين العراق وإيران، وقبل نشوب الخلافات العربية- الإيرانية، أعلنا منذ ذلك الحين أن التوجه الذى يمثله الخمينى خطر على الإسلام والمسلمين. ولم نعد نلمح فى الثورة الخمينية ظهيراً أو دعماً للإسلام بل نجد فيها ثورة على الإسلام والمسلمين.

- كيف تفسر إذن أن تلميذكم فى الأخوان عدنان عقلة، تدخل نظام الخمينى لارجاعه إلى سوريا حيث يعيش فيها الآن مرفهاً؟ وكيف تفسر أن عناصر مؤثرة من الأخوان فى مصر وتونس والسودان تعاملت مع نظام الخميني؟ فهل يمارس الأخوان الباطنية القاتلة؛ يد مع الرحمن ويد مع الشيطان؟

* هذا كلام يدخل فى خانة الافتراء على الأخوان، وقد تجد فرداً أو خمسة أو عشرة تعاونوا مع الخمينى، لكن لا يجوز أن تعمم الحكم على عشرين مليوناً من البشر.

- هل تعنى أن عدد الأخوان هو ٢٠ مليوناً؟

* أننى أتكلم عن شعوب عربية إسلامية. فى مصر مئات الألوف من الأخوان، والانتخابات أظهرت قوة التيار الإسلامى فى الجامعة والنقابة والشارع. أقول لك بصراحة وأتحمل مسؤولية هذا الكلام: لا يوجد تنظيم واحد من الأخوان فى العالم يؤيد الخمينى أو مقتنع به أو يدين له بالولاء، أو لا يشجب تصرفاته. والأخوان فى مصر هم أوضح الناس فى هذا الأمر. ربما كان هناك تقصير فى بعض القضاى، ولم يصدروا بيانات أو يحددوا مواقف فيها، أما أن يكونوا مع الخمينى فلا...

في تونس هناك شخص اسمه الحبيب المكني اتهم بأنه باع كتباً وثارت ضجة حوله، مع أن هناك عشرات الخطب والتصريحات تشكل موسوعة ضد الخميني. والمسلمون في تونس سنيون ومالكيون، وليسوا مستعدين حتى للتحول إلى المذهب الحنفي، فكيف ينتقلون إلى حركة لا تترك شيئاً إلا وتحيله إلى رميم؟ أقول لك هذا لأنن أعرف، ونحن على صلة بالتنظيم الأخواني في تنس. وكذلك فإن ما يقال عن حسن الترابي في السودان فإنني أشجبه وأكذبه. ولكنني أعترف بأنه تشكل تيار في السودان مع الخميني في بادئ الأمر، وظلت له بقية صغيرة في الجبهة الإسلامية وخارجها.

العمل المسلح:

– لننتقل إلى موضوع آخر، قضية العمل المسلح في الساحة السورية لقد انتقدتم في البداية المعارضة التقدمية عندما لجأت إلى هذا الاسلوب... فمتى ومن وكيف قرر الأخوان حمل السلاح ضد السلطة في سوريا؟

* حمل السلاح لم يتخذ بقرار، وإنما اضطرت الناس إلى حمله في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات. فمثلاً، ألقي القبض على مروان حديد ومات في السجن عام ١٩٧٦، وهناك دلائل تشير إلى إنهم حقنوه في رقبته وسمموه وقتلوه، إذ كان قبل وفاته بساعات في حالة طبيعية. وبعد ذلك، عندما دخلوا عليه وهو يحتضر لاحظوا وخز الابر في رقبته. وكذلك أخونا حسن عصفور وهو من شبابنا في حماه قتل في السجن. وجرت عمليات تصفية كثيرة في الشارع وهذا ما دفع الشباب للتسلح دفاعاً عن النفس.

– من أين حصلوا على السلاح؟

* أنت حموي وتسأل هذا السؤال؟

– انا اسأل كصحافى وأريد جواباً.

* السلاح موجود فى الأسواق، وهناك عناصر فى لبنان تصدر السلاح للكرة الأرضية كلها، وهى تجارة رائجة أكثر من تجارة الفجل والبقدونس، وليست هناك حدود بين لبنان وسوريا.

– هل حصلتهم على مدافع هاون؟

* الآر. بى. جى موجودة بكثرة ولم نستخدم الهاون. وفى مناطق الريف والبادية فى سوريا من تقاليدها اقتناء البندقية والمسدس.

– إذن مقتل حديد وعصفور دفعكم إلى إقامة معسكرات التدريب في الدول المجاور لسوريا؟

* كل هذا حدث فى وقت لاحق للصدام وبعد الاعدامات وبعد أن أعدم على المشانق من هم من زينة الشباب مثل الأطباء والمهندسين وبروح انتقامية.

– لكن عمليات الاغتيال التى نسبت إلى الأخوان لها وقع طائفى مكروه كأختيار أهداف من الطائفة العلوية حتى ولو كان هذا الهدف بواباً لبناية حزب البعث، أو أستاذاً فى جامعة، أو ضابطاً فى مدرسة المدفعية.

* بعد ما اختلط الحابل بالنابل، وانتشر حمل السلاح بين الناس وشمل عناصر إسلامية من مختلف المشارب مثل الصوفيين والسلفيين والأخوان وتلاميذ المشايخ، كان لابد أن تحدث أخطاء، وكنا كقيادة نحذر مها.

– ما ذنب الصغار لاختيارهم كأهداف، لا الكبار مثلاً؟

* هذا يدل على أنه لا يوجد لدينا توجه نحو الاغتيالات، لكن الضغوط التي تعرض لها الشباب حملتهم على الرد والدفاع عن النفس. وفى شباط (فبراير) ١٩٧٩ شنت الحكومة السورية حملة ظالمة اتبعتها بحملة أوسع فى نيسان (إبريل)، وألقت القبض على قيادات الصف الأول والصف الثانى، وبعدها صار كل شاب يتصرف من تلقاء نفسه وبدون ضوابط قيادية. وأقول الآن بصراحة أنه لم يصدر من القيادة أمر شفهى ولا خطى باغتيال أحد.

- هل يعنى هذا أن عناصر القواعد فى الأخوان ليس لديها الوعى الكافى لإدراك أن قتل بواب بناية لايؤثر على النظام؟

* يجب أن توجه إليهم هذا السؤال فى الآخرة لأن أكثرهم استشهد (!) وكما تعلم فإن عدنان عقلة كان أكثر المندفعين فى هذا التيار، وكان دائماً على خلاف مع القيادة التى حاولت أن تتغلب على الخلاف معه عندما خرج من سوريا، ولم تنجح مما أدى إلى فصله. وهذا يتضمن استنكاراً للأسلوب العشوائى الذى ابتعه.

- كم كان عدد المقاتلين من الأخوان الذين تدربوا فى القواعد؟

* لا يوجد تنظيم يتكلم عن عدد المقاتلين.

- تقريباً؟

* لا تقريباً ولا تحديداً.

- أقصد عدة مئات أم عدة آلاف، لنعرف مدى التأثير على النظام.

* سيعرف كل ذلك فى ما بعد، والأمر يحتاج الآن إلى السرية.

- يقول البعض أن كل العمليات نفذها عدد محدود من الأفراد من

المتحمسين جداً بعد أن غسلتم أدمغتهم ودفعتم بهم إلى الموت. وانتم الآن بلا جناح عسكرى وليس لكم نشاط حقيقى فى الداخل، وتعيشون فقط على "أمجاد الماضى" كما يقال.

* أغلب الظن أن الذين يتحدثون عنها بهذا الشكل لا يملكون لا ماضياً ولا حاضرا. ولا أريد استعجال الأحداث، والتجارب تعلم الإنسان الحنكة.

— هل تعنى إنكم ستصعدون ضرباتكم العسكرية فى الداخل كنوع من إثبات الوجود؟

* هذا سابق لأوانه، رغم أن تهديد النظام هو أمر مستمر لآن الحوار لا يجدى معه. أن تنظيمنا موجود.

— تعنى تنظيمكم العسكرى؟

* تنظيمنا فى الداخل لا فرق فيه بين عسكرى وسياسى عندنا كل شاب وشيخ مقاتل.

— وحتى النساء من الأخوات المسلمات؟

* تنظيم الأخوات المسلمات قديم وعريق ومنتشر فى سوريا. والقتال فى الداخل من أوله إلى آخره كان دفاعياً وللضرورة. ولا استبعد ان تقاوم المراة إذا حاولوا الاعتداء عليها، لكننا لم نزج النساء فى القتال.

— لم يكتب عن أحداث حماه حتى اليوم من منظور تارخى وحيادى، فما مسؤولية الأخوان التاريخية فى التسبب بمجزرة حماه ١٩٨٢؟

* ثلاث جهات تتحمل مسؤولية المجزرة:

الجهة الأولى: هى الحكومة السورية التى كانت تقوم دائماً بعمليات استفزاز لجر الناس إلى هذه المجزرة بقرار سياسى أبلغ إلى الأجهزة الأمنية، فى منطقة تخضع للأحكام العرفية. وتم اختيار أفراد من عائلات محددة للتنكيل بهم ويكونوا عبرة لسواهم.

الجهة الثانية: هى عدنان عقلة الذى تسلل إلى سوريا خلسة ونثر الوعود إلى الأخوان فى الداخل، وادعى أن لديه قوات كبيرة فى الخارج تستطيع حسم المعركة، قوامها مئات السيارات والوف الشبان، وأنه يستطيع فصل شمال سوريا عن جنوبها فى ساعات. وقد اكتشفنا كل ذلك فيما بعد، إذ أرسل شيفرة كان متفقاً عليها عبر إذاعتنا، فخدع الناس وورطهم.

والجهة الثالثة: هى قيادة الأخوان. ودعنى أفسر لك هذا الدور... فى مطلع كانون الثانى (يناير) ١٩٨١ شعرت القيادة بأن عدنان عقله يعد لقيام حركة ما. وقد جاء واجتمع مع القيادة والمح إلى أن هناك حركة ستقوم فى حماه، وكان وقتها مفصولاً من الحركة وكان حسن هويدا هو المراقب العام للأخوان وكنت أنا نائبه.

وفى ضوء ما قاله عدنان عقله، عقدت القيادة جلسة فى ١٩٨١/١٢/١٤ فى عمان واستمرت حتى ساعة متأخرة من الليل. وتقرر اصدار قرار وابلاغه إلى قواعدنا فى الداخل بعدم التحرك لئلا يجرهم النظام إلى معركة خاسرة، وأن العناصر التى كشفها النظام عليها الانسحاب غرباً أو شرقاً أو جنوباً، وحذرنا من كارثة محتملة. وأرسلنا مندوباً خاصاً حاملاً هذه الرسالة. ولكن هذا المندوب لم يوصل الرسالة إلى صاحبها لأنه لم يكن لديه الوقت الكافى لتسليمها كما إدعى فى ما بعد.

وفى أيار (مايو) ١٩٨٢ ، أى بعد كارثة حماه بشهرين، اجتمع مجلس الشورى فى تنظيم الأخوان وناقش هذا الأمر مع المندوب الذى كلف بنقل الرسالة، وقال أنه لم يسلمها بسبب ضيق الوقت مع أنها سلمت إليه فى ٨٢/١/٢٤، وقال أنه استلمها فى ٢٧ منه.

وقلنا له إن بين هذا التاريخ الذى يدعيه وهو ٨٢/١/٢٧، وتاريخ بدء المجزرة فى ٨٢/٢/٢ مدة أسبوع كامل، بينما قطع المسافة لا يحتاج إلى أكثر من أربع ساعات، أو ٨ ساعات فى حالة الاسترخاء. ووقعت مشادة وانفضح موقف هذا الشخص أمام مجلس الشورى وقد حجب هذه الرسالة أما لغرض فى نفسه وأما لخبثه. وقد ظن الشباب أن كلمة السر التى بثت من الإذاعة هى بمثابة أمر من قيادة الجماعة لأن رسالة التحذير لم تصلهم. وهكذا وقعت المأساة. والمندوب الذى لم يسلم الرسالة لا يزال على قيد الحياة.

– ما هى الدوافع الحقيقية لدى عدنان عقله ولدى هذا المندوب للتصرف على تلك الصورة؟

* تصرفات عدنان عقله كلها يتحكم فيها الطيش والاندفاع والتهور. أما المندوب فإننى لا اتهمه بسوء النية، ولكن تصرفاته الإدارية كانت استبدادية، ولعله لم يسلم الرسالة لأنه لا يريد أن يملى عليه احد رأياً، ولم يكن يتوقع حدوث الكارثة بسبب عدم تسليمه الرسالة.

– متى فصل عدنان عقله من تنظيم الأخوان ولماذا؟

* عقله غير منضبط، وفصل قبل هذه الفترة، وقد أمضى حوالى ستة أشهر معنا فى عام ١٩٨١ ثم فصل لعدم انضباطه. وكان يرفض تنفيذ القرارات، وهو مصاب بالغرور ويظن نفسه أنه يقود العالم.

– "أبو بكر" القائد العسكرى للأخوان فى حماه لم يكن يعرف أن عقله مفصول.

* لقد خدعه عقله وخدع الجميع وأوهمهم بأنها أوامر القيادة.

– فى الأسبوع الأول من أحداث حماه إدعى أحد قادة الأخوان أنه

تمت السيطرة على السد وعلى مطار حماه العسكرى مع أن ذلك لم يكن صحيحاً.

* كانت المخابرات السورية وراء هذا التضليل لتبرير البطش الذى مارسته الدولة، والذى ضللنا هو عبد الحميد الزعيم، وارجو إلا تنشر اسمه.

- بل سأنشره...

* (متابعا) كان عبد الحميد يتلقى أخباراً من الداخل ويقول أن ضابطاً سوريين كانوا يرسلونها له بالشيفرة، تبين فى ما بعد أنه على صلة بالمخابرات العسكرية السورية.

- لماذا لم تنسحب قواتكم من حماه لتجنب المجزرة؟

* لقد طوقت حماه بثلاثة اطواق ولم يكن هناك أى منفذ. وكان قد تم سحب القوات السورية من الشمال والجنوب وطرابلس لتطويق المدنية، وتم استخدام راجمات صواريخ وطائرات هليكوبتر وسلاح المدرعات على نطاق واسع. والاحياء التى تتمكن القوات السورية من اقتحامها لبسالة المقاومة عنها، هدمتها على رؤوس اصحابها. ولم يكن الأخوان وحدهم فى المعركة بل كل أهالى حماه؟

- كم قتل من الأخوان فى حماه؟

* قتل عدة مئات من الأخوان، وعشرات الألوف من أبناء المدينة. وأقيمت معتقلات جماعية فى مصنع البورسلان على طريق حمص الذى يبعد ١٠ كيلو مترات عن حماه، وكذلك فى خان الشعبة وفى المدرسة الصناعية. لقد القوا القبض على الجميع، ولم يعرفوا بالتحديد المقاتل من غير المقاتل، واطلق سراح اعداد كبيرة بقيت مستورة وتمكنت من الانسحاب. وبعض الأشخاص اختفوا داخل بيوتهم

ولم يُعثر عليهم فى حملات التفتيش وهؤلاء تسللوا خارجاً بعد انفراج الأزمة وانسحاب الجيش.

– هل قتل العديد من الحزب الحاكم وأقرباء المسؤولين الحزبيين؟

* هذا حدث يقيناً.

– لماذا لم تأمروا الأخوان فى بقية المحافظات بتخفيف الضغط عن حماه؟

* لم يكن ذلك ممكناً لأن طرق الاتصال كانت ضعيفة، وضُرب نطاق على الحدود وكانت الناس تُقتل لمجرد الاشتباه.

– ألم تكن لديكم خطط طوارئ؟ والإذاعة التى لديكم ما كان دورها؟

* الوضع كان صعباً، ونحن لسنا جيشاً أو حكومة بل جماعة من المطاردين.

– لماذا لا تهب المحافظات الأخرى عندما تحدث انتفاضة فى حماه ضد النظام؟

* سنة ١٩٦٤ انتفضت حماه وتجاوبت معها دمشق، وحصل ما حصل فى المسجد الأموى، وهو مشابه لما حصل فى جامع السلطان فى حماه، ومسجدخالد بن الوليد فى حمص. والحركة فى حماه كانت عفوية وغير منظمة أو متصلة بغيرها. وكان هناك تعتيم على الأحداث ولو أنها استمرت شهراً.

– ولكن بعد أن عرف كل شئ لماذا لم يستنكر أحد فى المحافظات الأخرى؟ هل لأن المركنتيلية لها جذور قاتلة فى أوساط الشعب؟

* ماذا تقصد بالمركنتيلية؟

– أى الروح التجارية الانتهازية...

* لست مقتنعاً بهذا الكلام. عندما تحركت الناس فى حى من أحياء حلب، انزلوا الناس من بيوتهم وهم بملابس النوم وقتلوهم فى الشارع. وعندما تحركت البلدة الصغيرة التى اسمها الجسر جاؤوا حتى بأشخاص كانوا فى القيادة القطرية واقاموا محكمة مدنية وأعدموهم. وهكذا حصل أيضاً فى جبل الزواوية. والناس عزل، ولا شئ فى العالم يضاهى حقد هذه الحكومة، وقد ارتعبت الناس لرؤية الجثث فى الشوارع تنهشها الكلاب. فى حمص حصلت مجزرة من أجل الاحتفال بعيد المولد النبوى، وكذلك فى اللاذقية وبانياس.

التغيير يقترب

– إذن، لا أمل فى قيام انتفاضة سورية واحدة؟

* لكل أجل كتاب. الضفة الغربية انتفضت بعد مضى ٢٠ سنة على الاحتلال. ولكل ظالم نهاية. ولدينا مؤشرات تقول أن التغيير قد اقترب كثيراً. والحياة الآن فى سوريا لا تطاق وتقترب من حافة الانفجار.

– بعض رجال المعارضة السورية يقول أن الأخوان قدموا خدمة رائعة للنظام السورى. فلماذا لا تعترف بأن مسؤولية الدماء فى حماه تقع فى رقبتكم؟

* أنت الآن تتحول من صحافى إلى قاض، وتصدر أحكاماً ينقصها الدليل، وتتجاوز حدودك. وهذا الكلام لم أسمع به ولم أجد الرجل الشجاع الذى يقوله. وكان البيت الواحد. يفتش ١١ مرة، والعجوز يضرب بالبسطار (حذاء الجندى)، وكانت القوات السورية تدك بنايات بكاملها إذا قيل أن فيها رجلاً واحداً معارضاً، وهذا هو

الاسلوب الإسرائيلى. والبعض فى المعارضة السورية لا ينتظر سوى اشارة من النظام حتى يتهاوى على أقدامه...

– يقول حمود الشوفي إنكم جررتم إلى لعبة النظام في حماه.

* كلام حمود الشوفى فيه الكثير من الصحة لأنه كان متابعاً للأحداث، وفيه الكثير من الموضوعية أيضاً. والنظام لم يفرق بين مسلم ومسيحى من أهل المدينة ولا بين جامع وكنيسة.

– أحداث حماه هل عززت ولاء الطائفة العلوية للنظام؟

* هذه اللعبة قديمة، ومورست حتى داخل الحزب الحاكم. وقد اصبحت مكشوفة الآن، ولابد أن يدرك أخواننا العلويون خطورة هذه اللعبة.

– هل ستيعدون النظر بأسلوب الكفاح المسلح بعدما جرى فى حماه؟

* الكفاح المسلح للدفاع عن النفس والوطن تحلله شرائع السماء والأرض. وإذا كانت هنالك مجموعات تعبت من الكفاح المسلح وأعادت النظر فى مواقفها، فإننا كتنظيم نأخذ بكل الأساليب المشروعة بما فيها الكفاح المسلح إلى جانب الوسائل السياسية والفكرية والجماهيرية وغيرها.

– كيف تفهمون الكفاح المسلح؟ اغتيالات؟ عمليات عسكرية؟ كيف؟

* لست عسكريا لأشرح أسلوب عملياتنا الكفاحية، والكفاح المسلح هو الذى تدل عليه هذه التسمية بمعناها المتداول.

– ولكن لم نسمع "باعمالكم العسكرية الضخمة" بعد مجزرة حماه...

* في عام ١٩٨٣ أخذ النظام يصرح من وقوع أحداث اتهم بها الأخوان، وفي عام ١٩٨٥ أثرت هذه الأحداث على سير العمل في الدولة.

– إذن لا يمكنك أن تحدد نموذجاً لعملكم المسلح؟

* ما هكذا يكون الحوار، وأنت تشوش أفكاري. ولاكفاح المسلح ليس هو عملنا الوحيد، وهو ترتفع وتائره وتنخفض، ويشتد ويضعف ويتوقف ويستأنف، والثورات هي هكذا، في أميركا اللاتينية والبلاد العربية والإسلامية والأفريقية، كالثورة الاريترية والثورة الفلسطينية.

– هل يعني هذا إنكم اليوم في مرحلة هبوط سياسي وعسكري؟

* فسرك الكلام كما تشاء. أنا أوردت عشرة نقاط وأنت اخترت التوقف عند نقطة واحدة منها. وهناك تقارب بين دول المنطقة ويتم الاتفاق على محاصرة النشاطات من الشمال والجنوب والشرق والغرب، وأنت تعرف الصفقات السياسية التي تعقد ضدنا...

– تعترف بأن الطريق مسدود أمامكم في بعض الدول التي تحالفت معكم؟

* نعم، ولكن تلك الدول التي لم تكن متحالفة معنا، ولكننا نحن استطعنا التحرك في ظل ظروف معينة، والآن نحن محاصرون، ولذلك نفتش عن جبهات آخرى. وليس معنى هذا أننا تحولنا إلى عملاء وبيادق وفقدنا قرارنا السياسي.

– اجتمعت مع بعض الأخوان في دولة عربية يُقدر عدد الأخوان فيها

بخمسة الاف وقالوا لى إنكم فقدتم حرية الحركة وهم فى حالة تذمر شديد... فكيف تواجهون الأفكار السائدة بين الأخوان اليوم؟

* قد يكون هذا الكلام قد صدر عن بعض الأخوان غير المسؤولين، أو ممن ضغطت عليهم الظروف.

– من اين تحصلوا على الموارد للاهتمام بالوف المشردين؟

* كلمة الوف مبالغ فيها.

– مئات إذن؟

* (متابعا) ثم أن الناس تعمل وتشتغل، ودائرة الدعم محدودة، والذين هربوا فى شباط (فبراير) بدأوا يعملون فى آذار (مارس) ...

– هل تجد فى حوادث تفجير الباصات "كفاحاً مسلحاً"؟

* فى الداخل هم يحددون الأهداف، وهذه الباصات تحمل عسكريين ورجال مخابرات، وهى منفصلة عن النقل المدنى، ولذلك قرروا ضربها، رغم أن رجال النظام حصلوا على «اعترافات» اجبارية بأن رجالا من القيادة كلفوهم بالمهمة، وهذا افتراء.

– ما ذنب جندى يخدم فى الجيش وقد ينقل إلي الجبهة للقتال ضد إسرائيل؟

* وما ذنب المدينة حتى يؤتى بهؤلاء الجنود بذبحها. وعلى كل حال أنا أجهل التفاصيل.

– إلا تعتقد أن تصرفاتكم هذه تجعل من المواطن السوري حتى المعارض للنظام يخاف، لأنها تصرفات لا تميز بين المجرم والبرئ؟

* أنك تبنى أحكاماً على مجرد أقوال تقال...

العمليات المسلحة وصلت إلى ٣٠٠ كلم

عن دمشق لسنا عملاء وبيادق ونحن الآن محاصرون

– ألم يحدث انفجار فى ساحة عامة؟

* لا، وإنما حدث على رؤوس الجبال، وكان بعضها فى بعد ٧٠ كيلو متراً عن دمشق، وبعضها على بعد ١٥٠ كلم، وبعضها على بعد ٣٠٠ كلم ووصل إلى صافيتا.

– وتفجير الأزبكية؟

* هذا سقط فيه ابرياء (مستدركاً) ولا علاقة للأخوان له.

– من قام به إذن؟

* يقال أن القائم بهذا العمل قتل فى الحادث وأن الانفجار حدث قبل أوانه. فى ما يتعلق بالأخوان فإن توجيهات القيادة واضحة، ولا يجوز ضرب البرئ أو المواطن لمجرب انتمائه الدينى أو المذهبى، والكفاح المسلح يستهدف اداة الإجرام والمجرمين

الذين يستخدمهم النظام للقتل والاعتداء على الحرمات، وكل ما يقع خارج هذه التوجيهات خطأ.

– ومن يحاسب عليه؟

* من يستطيع أن يحاسب فليحاسب! ونحن كقيادة لم نرتكب خطأ، ولا توجد كلمة واحدة تأمرنا بقتل برئ.

– هل لديكم جهاز لمحاسبة المخطئين؟

* عندما تكون القيادة داخل سوريا تستطيع أن تحاكم وأن تدقق وتوقع العقوبة.

– فى المحصلة النهائية إلا تعتقد أن استمرار الكفاح المسلح الذى يسميه الغرب أرهاباً، من شأنه تقوية النظام وتنفير الناس من الأخوان المسلمين؟

* اليس الغرب هو من اتهم النظام بالأرهاب بشهادة أميركا وبريطانيا والمانيا الغربية وايطاليا وفرنسا؟ إلا يعلم العالم أن النظام يضيق بمراسل رويتر فى بيروت ويعتدى عليه بالضرب، ويقول السفير الفرنسى كلمة فيقتل، ويكتب صحافى فى مقالا فيعدم؟ هل نلوم النظام إذن أم نلوم الناس لوقوع بعض الأخطاء عند الدفاع عن النفس؟ أننى لا أبرر الخطأ، فى ظرف اختلط فيه الحابل بالنابل. والنظام هو الذى بادر إلى ضرب ٥٠ الفاً بدلاً من خمسة اشخاص، وهو الذى اباد مدينة بدلاً من أن يؤدب تنظيماً. وهذا وحده كاف ليعرف العالم أن النظام أرهابى وتسيطر عليه المافيا، وأن هناك عصابات حاكمة وحكم دكتاتورى ابشع من حكم هتلر وموسولينى.

– لماذا لم ينضم اى فصيل فى المعارضة السورية إلى فكرتكم فى

الكفاح المسلح؟

* نظرياً كلهم موافقون، ولكن كلهم عاجز عن القيام بشئ.

– حتى جماعة أبو غدة؟

* هم أولى بالسؤال، وهم في بياناتهم يقولون «نعم»، وفي اساطاعتك أن تسألهم عن تفصيل ذلك.

– لماذا تطلب انشاء " التحالف الوطني لتحرير سوريا" ثمناً باهظاً كتدمير حماه حتى يتم الاتفاق عليه؟

* هذا الربط غير وارد من قريب أو من بعيد. لقد استمرت المفاوضات حول التحالف قرابة السنتين وانتهت في موعد صادف وقوعه بعد أحداث حماه بعشرة أيام.

– كيف بررتم لقواعدكم في الأخوان الدخول في تحالف مع من تسمونهم في ادبياتكم بـ "الالحاديين"؟

* كل الأحزاب في سوريا قالت في بعضها بعضاً ما لم يقله مالك في الخمر، من القوميين السوريين إلى الشيوعيين إلى الشعبين إلى الأخوان والوطني والبعث والاشتراكي. وشهادة كل حزب بالآخر موسوعة من الاتهامات لها أول وليس لها آخر. ومع مرور الأيام يستكمل المواطن وعيه، والأحزاب نضجها ورشدها وتتسع نظرتها إلى الأمور. وجاءت أحداث حماه لتعمق هذا الوعي لدى الجميع. لقد رأوا وطناً يحترق وأمة تمزق، فادركوا بالتجربة والفطرة بأنه لابد من الإتحاد لانقاذ الوطن.

- لماذا انتظرتم ١٢ سنة للاتفاق على انشاء التحالف؟

* الأسد مثل كثيرين غيره من الحكام خدع الناس أول الأمر واوحى بأنه سيأتي بالانفراج ويطلق الحريات ويرفع يد الأجهزة والأحكام العرفية. واستبشرت الناس عندما تحقق شيء من الانفراج النسبي في المجال الاقتصادي. التجار والبرجوازيون لهم تأثير في المجتمع، وكانوا مرتاحين لسياسات النظام، وخصوصاً عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢، حتى تخدر الجميع، ثم كشف النظام قناعة في الجولان ودمشق وحمص وحماه... واتسعت الدائرة حتى شملت كل التيارات الشعبية، وبذلك نشأ التحالف نتيجة حاجة واقتناع.

التأسيس والميثاق:

- ماذا حقق التحالف منذ انشائه عام ١٩٨٢ وإلى اليوم؟

* حقق انجازين هامين: التأسيس والميثاق. ميلاده كان حدثاً سياسياً ليس على مستوى سوريا وحدها، ولكن على مستوى الوطن العربي بأسره. وأظهر أنه بالامكان أن تجتمع التناقضات والأحزاب المتباينة أو المتعارضة على أهداف مشتركة. من قبل كانوا يضيقون بمثل هذا التفكير أو هذه الصيغة، وكان كل اتجاه يحاول أن يفرض نفسه على الآخرين. ومن هنا كان الصراع في الكثير من جوانبه غير واع. أما الميثاق فقد طمأن اصحاب التيارات الاساسية... والبلاد العربية كما هو معروف متأثر بتيارين: الإسلام، والانتماء القومي. وجاء الميثاق ببنود مختصرة وواضحة يطمئن كلا التيارين. من ناحية الإسلام نص بوضوح وصراحة على أن الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وعلى اقامة اوثق العلاقات مع الشعوب الإسلامية. وهذا يدل على تطور عند اصحاب النظرة القومية، وأخرجهم من نظرة سابقة كانت تقول بأن مثل هذه

الصلات ربما تقربنا من الشعوبية. وقد وجدوا اخيراً أن العلاقات الوثيقة مع العالم الإسلامى هى خدمة للشعب العربى وليس طمساً لهويته. وما يرمى إليه اصحاب التيار القومى هو وحدة الأمة. وهذا أمر تلتقى عنده كل تيارات الأمة. وقد نص الميثاق على وحدة الأمة العربية نصاً ورد فى المقابلة التى أجرتها مجلة الوطن العربى فى عددها ٦٣ - ٥٨٩ المؤرخه فى ٨٨/٥/٢٧ كلام يمس فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غده والدكتور حسن هويدا ويعتبرونه كلام مخلوط وعار عن الصحة تقف وراءه جهادت تود تمزيق صفوف الأخوان والمعارضين بسوء نية وبحسن نية؛ ولذا جئت بهذا التوضيح مؤكداً إننى أحمل فى نفسى كل التقدير والتوقير لهؤلاء الأخوة ولا سيما فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غده حفظه الله ولهذا إقتضى التنويه.

* إن المقابلة مع عدنان سعد الدين- مثل كل المقابلات- مسجلة على أشرطه وبصوته وحرصاً منا على الشيخ أبو غدة تحديداً لم ننشر كل ما ذكره السيد سعد الدين. لذلك نرفض عبارته فى التوضيح القائلة أن ما جاء فى المقابلة «كلام مخلوط وعار عن الصحة» ونرجو ألا يضطرنا إلى نشر حرفيه كلامه. صريحاً لا غموض فيه ولا لبس.

وهناك نقطة ثالثة يُعبر عنها بعبارات متابينة تتعلق بتحقيق العدل لأفراد الشعب، وتوصف بالاشتراكية عند هذا الفريق، والعدالة الاجتماعية عند ذاك الفريق. وقد تضمن الميثاق نصوصاً غير مستفزة مثل تأمين الكفاية والعدل ومتطلبات الحياة لكل مواطن فى معيشته وغير ذلك. وهكذا التقت التيارات الرئيسية على المعانى الرئيسية المشتركة.

- هل كان القصد الاختباء وراء هذه العبارات المبهمة؟

* التيار الإسلامى بمعناه الواسع يملك رؤية واضحة ربما هى اسبق من اصحاب النظرة الاشتراكية فى تحقيق العدل للإنسان أياً كان مذهبه أو أنتماؤه، من متطلبات تتعلق بمعيشته أو حريته، وهذا ظاهر بوضوح فى أفكار حسن البنا، وتنظيم

الأخوان المسلمين فى مصر.

– لماذا إذن يقول عنكم بعض التقدميين أن وصولكم إلى الحكم سيكون كارثة عليكم وعلى الآخرين؟ وإن نظرياتكم سطحية؟

* هناك ثلاث نقاط فى هذا العجب العجاب الذى تقوله الآن. النقطة الأولى فى كلامة هى كمن يقول: أن من لم يحكم لا يُصدق! وهذا يعنى أن الذى يحكم واحاداً بالمليون أو واحداً بالالف علينا أن نصدقه، ونكذّب الـ ٩٩ بالمائة من الناس الذين لم يحكموا. والنقطة الثانية فى كلامك أنك تنسب الاقول إلى مجهل مثل: «يقولون» وغير ذلك. والنقطة الثالثة أن فكر حسن البنا سطحى. ولوَ قرأت كثيراً لخصوم حسن البنا لأدركت كم يقدرونه ويوقرونه، ويقولون أنه أعطى هو وتلاميذه من بعده مثل سيد قطب، الناحية الاجتماعية بعداً عميقاً تجاوز به طروحات الكثيرين.

– ولكنها لم تطبق؟

* نهنئ الذين وصلوا وطبقوا من اصحاب المذاهب الاشتراكية. والناس فى سوريا وخارجها خبرت فحواها ومضمونها وجدواها «وبركتها» التى عمت الجميع.

– إذن كيف تتحالفون مع من تتباعدون فى الأفكار معهم؟

* وأنت يا صحافى لماذا تكره وحدة شعبنا وتتفاءل بتمزيقه. كنت استغرب هذا الموقف من الصحافيين الأجانب أما الآن، أن يقول هذا صحافى عربى سورى مسلم؟...

– أننا نتكلم عن الواقع، فماذا قدمتم فى التحالف؟

* هل التحالف وحده لم يستطع أن يقدم شيئاً أم أن الأحزاب الأخرى وحتى الدول

لم تستطع أيضاً؟ أن هذا النظام يعيش بدعم مكشوف من أميركا والصهيونية، وهما يدغدغانه احياناً كالولد الشقى لكنه دائماً فى الاحضان. والعديد من الدول العربية تنظر إلى هذا النظام بشك لكنها تتعامل معه كما يتعامل المرء مع المافيا لتفادى اسفافها وجرائمها. ويكفى التحالف الوطنى تقديم صورة تآلف قوى بين تيارات كانت متنافرة، ثم التقت على أهداف مشتركة على أن يحتفظ كل تيار بمعتقداته وادبياته وأفكاره ومبادئه.

– إذن لماذا لا تقاتلون أميركا والصهيونية فيسقط النظام من تلقائه؟!

* عجيب هذا المنطق الذى تتحدث به... أنك كمن يقول للشعب الفلسطينى لا تقذف بالحجارة على إسرائيل وإنما على أميركا.

– لماذا تحاربون الذنب وتضربون الرأس؟

* عندما نمسك بالذنب نقطع الذنب.

– ولكن ذنب الافعى ينمو من جديد...

* نقطعه قليلاً قليلاً، وعند حد معين تموت الأفعى إذا قطع.

– هل محاولتكم ركوب موجة "التحالف" وسيلة لأنقاذ الأخوان بعد افلاسهم جماهيريا، وانطلاق المدى القومى العربى؟ وبعد أن لامكم الشعب السورى على مواقفكم؟

* تتحدث عن الشعب السورى وكأنك تملك توكيلاً عنه. كيف عرفت أن الشعب السورى لامنا؟ هلى اجريت استفتاء؟!

– التقيت بكثير من السوريين الذين يلومونكم.

* أنا لا أقول أن الشعب السورى كله يمدحنا ولكن من الخطأ القول أن الشعب السورى لامنا.

– أنت بنفسك اعترفت بوجود أخطاء كبيرة وبعدم الانضباط وعدم الانتظام الإدارى...

* أخى، الانضباط صعب مع حكم عصابات المافيا. وأنت، عندما تتنصل الدولة من جرائمها، فإنك تلقى بالمسئولية على الشعب.

– هل تقول أن الشعب لم يوجه اللوم إليكم كتنظيم؟

* الشعب فيه من يلوم ومن يؤيد ومن يستنكر كما يحدث وقوع أى أمر كبير. ونحن التنظيم الوحيد الذى ضحى بأبناء لم يطلبوا أمارة ولا وزارة، بعد أن خضع وركع الآخرون.

– ماذا تقول قواعدكم فى سوريا؟

* المصيبة ليست خاصة بالأخوان وحدهم وتشمل الشعب والأحزاب التى معنا والتى ضدنا. والشيوعيون الذين عارضوا النظام يموت أناس منهم تحت التعذيب. والحركات السياسية لا تكتمل فجأة. باباندريو امضى ١٦ سنة فى فرنسا. وأنت تمسك بميزان الحرارة وتريد أن يحدث كل شئ فجأة. الشعب السورى كله الآن فى حالة ركود، والشوعيون الذين شاركوا فى الحكم قتل العشرات منهم تحت التعذيب.

– أنت آخر من يحق لك التكلم عن الشيوعيين الذين تصفهم بالالحاد...

* هناك شيوعيون مؤمنون، ولا يحق لى أن اتهم كل شيوعى بأنه ملحد. هناك

شيوعى ملحد، وهناك شيوعى توقف عند الجانب الاقتصادى فقط... وأقول لك أن الخط البيانى لشعبية الأخوان كان فى صعود وهبوط بعد أحداث حماه مرات عديدة. وقبلها كانت غالبية الشعب مع الأخوان، وحدثت صدمة بعد أحداث حماه. وبعد مضى ست سنوات على ذلك أدركت الناس الحقيقة، ومدى ظلم النظام وتجويعه الناس، وتفهمت موقف أحزاب المعارضة والصدام المسلح مع النظام.

– هل تعتقد أن الشعب العربى سينجر وراء التيارات الدينية بعد ما حدث فى إيران؟ وهل ستعود سوريا إلى الوراء لتسليم الأمور إليكم؟

* لا أعرف من يبتعد عن الواقع، ولكنى سأجيبك. اغمض عينيك وتذكر أى انتخابات اتيح فيها قدر من الحرية، وسترى أن التيار الإسلامى هو الذى يتمتع بثقة الشعب دون سواه... فى السودان ومصر واليمن والجامعات العربية فى الكويت وسوريا وغيرها.

– كلامك غير دقيق... اعط بعض الأرقام.

* إذا كان لدينا خمسة مقاعد فى السودان فأنها ستصبح خمسين مقعداً. للخط البيانى يرتفع. وكان عدد نوابنا فى البرلمان عشرة فاصبحوا ستين، رغم وجود قوانين الانتخاب التى تعرفها. أن الحزب الإسلامى حرم من الحرية ربع قرن، واتيحت له الفرصة منذ سنتين فحصل على عشرة نواب ثم ازداد العدد مرة أخرى بنسبة ٤٠ بالمائة.

– لعل المثل السودانى ليس الأمثل... حين الترابى ممثل الأخوان هناك كان حليفاً لجعفر النميرى.

* ما أريد قوله هو أن الخط البيانى للأخوان فى صعود، ولم يشتركوا فى معركة سياسية بحرية إلا وحازوا ثقة الشعب فى أى بلد. اكتسح الأخوان الانتخابات الجامعية وهزموا سبعة أحزاب مجتمعة فى السودان.

- تعنى أن المد السلفى ينتشر والمد القومى العربى يتراجع؟

* لماذا تضع الأمر فى هذا الإطار وتحرص على أن يكونا تيارينا متعارضين؟

- لأن لكم تاريخكم الأسود فى مقاومة القومية العربية.

* لا أريد الدخول فى هذا اللغط. هذا يثير الفتن. وأنت تستفزنى لذلك لا أجيب.

- هل الأخوان قوميون عرب؟

* حسن البنا قال فى المؤتمر الخامس أنه إذا اراد المسلمون أن يكونوا مسلمين حقاً فعليهم أن يبدأوا بالوحدة العربية. هذا الكلام قيل فى الثلاثينيات، وقبل ولادة بعض الذين يتحدثون بالقومية العربية الآ، والذين يدافعون عنها أمام «تاريخنا الأسود».

- كيف تفسر إذن أن اتباع البنا حاولوا اغتيال عبد الناصر فى عز المد القومى لإنشاء دولة الوحدة؟... فهل خان الأخوان وصية البنا؟

* عندما وقعت محاولة اغتيال عبد الناصر لم يكن يتحدث آنذاك عن الوحدة العربية، بل كان يتكلم عن (مقلداً عبد الناصر...) : تاريخنا وحضارة الخمسة الاف سنة». (متابعا) نحن أعرف بعبد التاصر. أقرأ التاريخ حول الصراع على المعاهدة التى وقعها عبد الناصر مع بريطانيا، وكيف كانت نظرة الأخوان لها بالمقارنة مع نظرة الأحزاب الأخرى. لقد زج بالأخوان فى السجون ثم أخرجهم، وكان هناك صراع داخلى بين الطرفين، وأنت حولته إلى قضية قومية عربية... لقد حملنا

وحدة امتنا قبل عبد الناصر وبعده، ونعتبره جزء من عقيدتنا.

ابتعدنا عن "التحالف" حتى لانفجر أزمة مع أبو غدة:

- كيف تتفقون مع الأحزاب البعيدة عنكم في جبهة "التحالف"، ولا تتفقون مع جماعة الأخوان بقيادة أبو غدة؟ ولماذا لم تتخلفوا عن اجتماعات التحالف إلا عندما حضر أبو غدة ممثلاً للأخوان؟

* عبد الفتاح أبو غدة لم يقبل من جديد. أن التحالف الوطنى لتحرير سوريا يجب أن يعد النظر فى تركيبته وبنائه. والتحالف يبحث عن أسباب ضعفة منذ أربع سنوات. حزب أبو غدة موجود فى التحالف، لكن بيننا بينه أزمة ولا نريد أن يكون وجودنا فى التحالف سبباً لتفجيرها. ولهذا قررنا الابتعاد حتى لا يحدث احتكاك يؤدى إلى تفجير أزمة. ونحن نريد معالجة الأمور بهدوء.

- ماذا يضيركم أن تمثلوا الأخوان فى الشق السياسى- العسكرى، وأبو غدة يمثل الشق المشيخى، فى التحالف؟

* بيننا أزمة معلنة ومكشوفة، ولا نستطيع التغلب عليها بوضعها فى وعاء أو فى حلبة مشتركة. لذلك ابتعدنا عن الدورة الثامنة للتحالف تلافياً لتفجير هيئتها.

- إذا كنتم ترفضون التعددية داخل الأخوان فكيف تقبلون بها في الإطار السورى الأكبر؟

* تقول أزمة فتقول أنت تعددية. إذا وقعت مشكلة بين زوجين فهل معنى ذلك أن نرفض فكرة الزواج نفسها؟ إذا حصل خلاف داخل الحزب العمالى البريطانى فهل نتهمه برفض التعددية؟

– أنتم لم تسمحوا للتحالف بأن يضم إلا تياراً دينياً واحداً هو أنتم.

* هذا موضوع آخر...

– بل هو الموضوع الأساسى.

* ليس الموضوع الأساسى قضيه اتجاه وخلافه، بل هى قضية أزمة عمرها سنتان واصبحت مستحكمة وجوانبا متعددة.

– هل يعنى هذا انكم لن تشتركوا فى التحالف إلا إذا خرجت مجموعة أبو غدة؟

* مشاركتنا لن تتم إلا بعد تجاوز الأزمة معهم، داخل التحالف أو خارجه.

– متى؟ فى أشهر أم فى عقود؟

* أشهر أو عقود لا فرق، واصحاب الأمة اقدر على تقديرها تقويمها.

– إلا تعتقد أن المصلحة النهائية للانشقاقات داخل الأحزاب سببها الفردية القاتلة والتنافس على الرئاسة؟

* ليس دائماً. اقرأ تاريخ الحزب الشيوعى، أو حتى تاريخ الأخوان فى مصر. قد يكون الفرد من اسباب المشكلة، ولكن هناك توجهات وأفكار ومبادئ، والسلم والحرب، والسرية والعلانية الخ...

الفصل السادس

التفاوض مع النظام

الفصل السادس

التفاوض مع النظام

– هل التفاوض مع النظام السورى هى إحدى العوامل لتفجير حركة الاخوان فى سوريا؟

* هذا يمثل جانباً كبيراً من القضية.

– فى التحالف من أكد لى أن محاضر الجلسات تشير إلى أنك كنت موافقاً على المفاوضات مع النظام؟

* هذا الأفك غير صحيح. من اللحظات الأولى كان لى موقف معلن من المفاوضات، وادى إلى كثير من الأزمات، ويأتى واحد جاهل أو بعيد عن تنظيمنا ويقول لك هذا الكلام. وهذا الشخص الذ أعرفه قال لى مرة: أن المشكلة بين الأخوان ليست بسبب التفاوض بدليل أن الجماعة فاوضت عندما كانت كلا واحداً...

وقد أجبته: هذا كلام صحيح، واتخذ قرار التفاوض ووقفنا ضده وأدى إلى الأزمة التى ترونها.

– دخول النظام فى المفاوضات مع الأخوان، هل هو علامة قوة أم ضعف؟

* فى عام ١٩٨٠ جاءنا عشرون رسولاً من النظام لشعوره بضعفه وقوتنا. وضعنا شرطاً هو إلا نبدأ التفاوض قبل قيام النظام بتراجعات والافراج عن السجناء، وفعلاً افرج عن البعض. هذا الموضوع دخل فى منعطف أخر بعد أحداث حماه

١٩٨٢ . وشعر النظام بعقدة الذنب فاراد شهوداً من المدينة نفسها ليغسل يديه من الجريمة. وكان تحليلنا أن المفاوضات تعطى النظام شيئاً يفتقده لأنه وصل إلى طريق مسدود. وعندما غيرنا رأينا اراد غيرنا أن يجرب وقال أنه «يريد أن يسبر غور النظام» وهذا هو تعبيرهم. ثم عادوا وقال إن النظام يريد أن نعيش تحت سيطرته، وقدموا بذلك تقريراً إلى مجلس الشورى. وقرر المجلس بالأجماع اقفال باب التفاوض. وكانت نظرتنا اسبق وحجتنا أوضح. وهكذا أنقسمنا. وأرينا أنهم مستمرون فى هذه المفاوضات، والاتصالات لم تتوقف.

– إذن ماذا حصل يومها؟

* عندما كان منير الغضبان هو المراقب العام للأخوان قال للتحالف في جلسة مجلسة: لقد اعلمتكم بالمفاوضات وأخذت رأيكم. فقال محمد الجراح: أنا كنت غائباً. وقال آخرون: نعم قلت لنا وبصورة إجمالية. قال الغضبان: بل قلت لكم، هذه أخر فرصة، فهاتوا ما عندكم من مطالب وأراء، فاحضرتموها وسجلتموها وحملتها معى...

وأنا حضرت فعلاً هذه الجلسة واستغربت. اذهب إلى التحالف واطلب المحضر الثانى الذى استأذن فيه الغضبان من التحالف للتفاوض مع النظام.

– هل طلب الغضبان الأذن بعد بدء المرحلة الأولى من المفاوضات؟

* لا ، قبل بدئها. يومها ذهب الغضبان إلى التحالف وقال: يا أخوان، أن النظام أوفد لنا أخاً... وكان هذا الكلام بحضور شبلى العسيمى وأمين الحافظ. وجلبوا ورقة من الطابق الثانى فيها الطالب ومنها إلغاء الاحكام العرفية، واجراء انتخابات عامة، وحل البرلمان، واعادة المسرحين العسكريين واستقالة الحكومة دون استقالة الأسد.

وعندما قال التحالف: لماذا تفاوضتم مع النظام؟ أجاب الغضبان: لقد استشرتكم فى الأمر ووافقتم. واحضروا نص البيان الذى كتبه عبد الله خوجة هذه الشروط (أبو مصطفى). واضاف الغضبان: لقد اخذت هذه الشروط منكم... فسكتوا. وقال محمد الجراح: يجب أن اتحمل المسؤولية حتى ولو كنت غائباً لأنه كان من المفروض أن اسأل. وكان الجراح قد أنكر كل ذلك انكاراً تاماً.

– لماذا لم توجه الانتقادات الآن إلى التحالف؟

* التحالف تجمد منذ عام ١٩٨٣ واستفد اغراضه.

– وماذا عن الطائفة العلوية؟

* نحن لم ندخل فى صراع عقائدى مع العلويين. وخلافاتنا معهم تعالج بالحوار والحسنى والدعوة الصادقة لله تعالى، وليس بالصراع والدماء... وجادلهم بالتى هى احسن. وكانت المدارس قبل هذا العهد تتبع منهجاً دينياً واحداً فيها جميعا. وأنا درست التربية الإسلامية فى مدينة مصياف للعلويين والإسماعليين، ودرستها فى مكان اخر للسنة، وكان المنهج واحداً لكل أبناء سوريا. وهذا يكفى لتحقيق وحدة فى الفكر والاعتقاد بين أبناء البلد الواحد، بلا صراعات طائفية مدمرة لا يجنى ثمارها سوى أعداء العروبة والإسلام من الصهاينة والمستعمرين...

(وعند هذا الحد انتهى الحوار مع عدنان سعد الدين)

مقابلة ناقصة مع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة،

بعد الحوار مع عدنان سعد الدين توجه موفد «الوطن العربى» تمام البرازى إلى الفريق الآخر من الأخوان المسلمين، وقام بزيارة المراقب العام الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. واستقبله مساعده على البنايونى: وخلال الانتظار وقبل الدخول على الشيخ ابو غدة جرى هذا الحوار

مع البنايوني.

– ما قصة الانشقاق داخل الأخوان؟

* هذا موضوع صار تاريخياً (يضحك).

– ماذا حدث؟

* الكتابة عن الانشقاق ليست مطلوبة في هذه المرحلة. اقراء البيانات.

– ليست هذه مهمة الصحافة. ما وقائع الانشقاق؟

* التحالف جمع بين البعث والناصريين والأخوان وبين الذين كانوا مختلفين فكرياً وسياسياً. والحديث عن انشقاق الأخوان الآن ليس مناسبا.

– إذن لم يحضر عدنان سعد الدين اجتماعات التحالف؟

* سيحضر اجتماعات الأمانة العامة.

– من يمثل الأخوان: انتم أم سعد الدين؟

* الموضوع بدأ في نيسان (إبريل) ١٩٨٤ في أثناء انتخابات المراقب العام. وتوجه الأخوان نحو اثنين: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والأخ عدنان سعد الدين. ووقعت الأزمة عندما جاءت النتائج لصالح الشيخ أبو غدة.

– لماذا لم يجر الأنتخاب في مجلس الشورى كالعادة؟

* جرت الأنتخابات على مستوى القواعد وحصل أبو غدة على ٥١ بالمئة.

- كم كان عدد المنتخبين؟

* العدد سرى والنسبة كانت ٥١ بالمائة. وهذا ما اعلنه مكتب الارشاد، وإن سعد الدين حصل على ٤٦ بالمائة. وبمجرد إعلان النتيجة جاهر سعد الدين بانفصاله عن الجماعة وشكل مجلس شورى وقيادة وحاول معه مجلس الشورى والتنظيم العالمى، ووجهوا إليه كتاباً للحضور فرفض. ثم وجهوا إليه كتاباً بالتراجع والعودة عن الخطوة الانفصالية ولم يستجب. تنظيم الاخوان ليس سورياً فقط، وهو فى الاصل ينسب للإمام حسن البنا. ونظامنا الداخلى ينص على أننا جزء من التنظيم العالمى، ويقضى بأن يعطى المراقب العامالبيعة إلى المشرف العام. ومكتب الارشاد ومجلس الشورى أكدا وضعنا التنظيمى، ولذلك فنحن من ينطق باسم الأخوان، وإذا كان الأخ سعد الدين يصر على موقفه فإننا لا نعترض، ونقول فقط أنه لا يمثل الأخوان الذين يرتبطون بالتنظيم العالمى. وهو على كل حال لا يقول أنه يمثل التنظيم العالمى بل يقول أنه يمثل جماعة الأخوان السوريين الذين يؤيدونه.

- لكن انتخاب سعد الدين جرى فى مجلس الشورى السورى التابع للأخوان...

* جرى انتخاب فى مجلس الشورى وتعادلت الاصوات ولم يفز أحد. وبناء على طلب الطرفين جرى الانتخاب على مستوى القواعد.

- يقول سعد الدين أن من اسباب الخلاف الجوهرية تفاوضكم مع النظام السورى.

* ابداً، فعندما حدث الانشقاق لم يكن وارداً التفاوض ولا عندنا ولا عند النظام. ولما فاوضنا كان ذلك بحضور سعد الدين وبقرار تم بالاجماع.

– هل حضر سعد الدين المفاوضات من سنة ٨٤ إلى سنة ٨٧؟

* نعم، منذ عام ٨٤. ومرة أيضاً جرت مفاوضات عام ٨٠ وكان سعد الدين مراقباً وكنت أنا نائباً له.

– مع من تفاوضتم عام ٨٠؟

* تفاوضنا عن طريق أخواننا فى الداخل، وهذا أمر سرى.

– تقصد تفاوضتم عن طريق أمين يكن؟

* نعم، عن طريق أمين يكن.

– اين هو الآن؟

* انه فى سوريا، وهو الآن لا يمثل شيئاً، وكان سابقاً فى التنظيم واختاروه كوسيط. المهم أن المفاوضات حدثت ثلاث مرات. مرة عام ١٩٨٠ وافرج أثرها عن ٥٠٠ من الأخوان. ومرتان اعاباراً من عام ١٩٨٤ ، وفى ذلك العام كان سعد الدين رئيساً للمكتب السياسى وأتخذ القرار باجماع، أى بموافقته أيضاً.

– هو يقول أنه عارض التفاوض عام ٨٤.

* هو حر فى قول ما يشاء. عام ٨٤ كان القرار بالإجماع. عام ٨٧ لم يكن هناك اجماع بل شبه اجماع. ولا علاقة للمفاوضات بالخلاف.

– عام ٨٧ تفاوضتم مع لعلى دوبا فى المانيا؟

* هذا ما أعلن...

– والحقيقة؟

* ربما هي الحقيقة.

– هل اجتمعتم مع علي دوبا في المانيا؟

* لست مضطراً للاجابة عن هذا السؤال ولست مفوضاً بذلك.

– من المفوض بالاجابة؟

* اسأل المراقب العام.

– إذا كنت ستقابل الشيخ أبو غدة بهذا الأسلوب فانصحك بعدم مقابلته.

* (وتم الانتقال إلى الغرفة المجاورة حيث كان الشيخ أبو غدة ورفض السماح بالتصوير).

– لماذا لا تسمح لنا يا سماحة الشيخ بالتصوير؟

* مزاجي الآن ليس للصور...

– حسناً، هل نستطيع أن نستمع منك إلى تعريف بالشيخ أبو غدة؟

* إذا كانت لديك اسئلة عن الجماعة فاسأل، ولا تسألني عن عبد الفتاح.

– هل تعتبر نفسك الزعيم الشرعي للأخوان؟

* هم يعتبرونني هكذا، فالأخوان هم الذين اختاروني.

– عدنان سعد الدين لا يمثل إذن زعامة شرعية؟

* (ضاحكاً): لماذا لا يشرح لك هذا الأمر البنايوبي؟

– لقد طلبتك منذ ثلاثة أيام وأنت حددت هذا الموعد.

* أكتب الأسئلة وتجيبك خطياً.

- دعنى اسأل الآن وتجيبنى بما تستطيع. يقول سعد الدين أن سبب الخلاف هو التفاوض مع النظام السورى.

* هذا كلام غير صحيح، وهو أقر التفاوض، وكان فى مسؤولية التفاوض... هذه دعوى لا أصل لها.

- إلا تعتقد بأنكم اعطيتم شرعية للنظام بتفاوضكم معه؟

* يتفاوض الإنسان مع من يحب ويكره.

- هل أثمرت محادثتكم مع على دوبا؟

* لا علاقة للأسماء، وهذا فكر لا يحكم عليه بالثمرة بل بالوسيلة، وهى قد تكون مجدية أو غير مجدية.

- هل برزت اية نتائج لتفاضوكم مع على دوبا؟

* أن لم تبرز الآن فأنها ستبرز بعد خمس سنين أو سنتين أو سنة أو شهر أو ثلاثة. هذه الأمور ليست فورية.

- إذن هناك جدوى من استمرار الاتصالات؟

* ليس من المعقول أن يأتى إليك من يختلف معك ويقول: تعال نتفاوض تجيبه: لا.

- ما هى مطالبكم من على دوبا وماذا كان جوابه؟

* البنايونى يعرف أكثر منى.

– أريد معرفة الجواب نك بصفتك مراقباً للأخوان.

* اكتب الأسئلة فاجيبك من واحد إلى ١٠١. وإذا كنت حصلت على مقابلة مدتها أربع ساعات، فكيف استطيع أن اجيب فى أربع دقائق؟

وتناول على البنايونى التسجيل وانهى الحوار. ووقف الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وقال مع السلامة...

وخرج مراسل «الوطن العربى» وهو يقول: ماهذه الدكتاتورية؟ وأجابه الشيخ: اسكت.. اسكت..

الفصل السابع

رئيس الجمهورية الاسبق

الفصل السابع

أمين الحافظ رئيس الجمهورية الاسبق

لاصلح ولاتفاوض مع نظام الأسد،

الحوار مع رئيس جمهورية سوريا الاسبق أمين الحافظ الشهير بلقب «أبو عبدو الجحشي» ...

معروف بعنترياته الفارغة، وبسماجه للطائفين لاستلام الحكم فى سوريا...

ومعروف بأنه مسؤول عن دماء أهل حماه فى عام ١٩٦٤ وخاصة الشهيد رياض العظم.

– الفريق أمين الحافظ رئيس الجمهورية السورية الاسبق... ما هى الظروف الموضوعية التى حملتك إلى السلطة؟

* الفضل يعود إلى نضال الشعب السورى ضد الانفصال وقادته. لقد كان الانفصال جريمة كبرى فى حق الوحدة، وكنت واحداً من الضباط الذين ساهموا فى صنعها. وكنا دائماً نتعاطى السياسة حتى قبل دخول الجيش.

– بما أنك تتكلم عن مرحلة ما قبل دخولك الجيش، دعنا نعود إلى البداية. مت ولدت وأين؟

* (ضاحكاً) يا سيدى أنا ولدت فى حلب عام ١٩٢١. وانتسبت إلى الكلية العسكرية عام ١٩٤٦. بحسب تربيتنا ونشأتنا، كنا فى الكتلة الوطنية. وكان عمرى ١٢ سنة عندما أشتركت فى حركت الطلاب والتلاميذ والشباب، على قدر مفهومنا فى ذلك الحين، لنقول «لا» إلى المفوض السامى الفرنسى الذى كان يصدر أوامره فى بيروت. وفى

مرحلة التجهيز (ويسمونها الآن الثانوية) اشتركت فى التظاهرات والاضطرابات، وسجنت مرة وصدر عليّ حكم من محكمة مختلطة أجنبية. و«أكلت فلقات» عديدة فى مخفر «الكتاب» فى حلب (الفلق: الضرب بالعصا على الرجلين).

إذن نشأت مع هذا الشعب الذى قاتل الفرنسيين وكنت فى صفوف الكتلة الوطنية التى كانت فعلاً رمز الاستقلال، وكان قادتها من خيرة الناس مثل الجوابرة: شكرى وسعد الله والكيالى وغيرهم. يومها لم أكن مع المقاتلين الذين حملوا السلاح، بل كنا نقاتل بالحجارة كما يفعل الفلسطينيون اليوم، وكان ذلك عام ١٩٣٦. ويومها طردت سنة كاملة من المدرسة، وسجنت فى السجن المدنى، ولا تزال فى مخيلتى صورة واضحة للغرف النفصلة داخل السجن. كان عمرى يومها ١٥ -١٦ سنة وانطبعت فى ذهنى كل تلك الصور.

دخلت الجيش بدافع وطنى، وكانت للجيش مواقف مشرفة فعلاً، ضد الاحلاف، وخصوصاً حلف بغداد أيام ايزنهاور.

– فى أى سنة انتسبت إلى حزب البعث؟

* (يتنهد) تستطيع القول إننى كنت مع البعث.

– أى أنك لم تنتسب إلى الحزب؟

* الجماعة قبلتنا ونحن تشرفنا بهذا القبول، وقاتلنا معهم، اعتباراً من عام ١٩٥٦. والعلاقات مع الاشتراكيين ربما تعود إلى عام ١٩٤٧.

– تعنى مع جماعة الأستاذ أكرم الحوارنى؟

* كنت مع جماعة الحوارنى فى الكلية الحربية.

- وفق الوثائق التاريخية، كان محظوراً على العسكر الانخراط فى العمل الحزبى.

* لم يكن تنظيماً بمعنى التنظيم، كنا معاً وسيفنا مرفوع، وكنا نحن القوة الاساسية فى الجيش. وعندما حدث الانفصال فى ٦١/٩/٢٨ كنت فى بعثة دراسية فى موسكو وعدت إلى دمشق، وتم تعيينى فى هيئة التدريب العامة، ولم يسلمونى اية قطعة عسكرية. وكنت من المغضوب عليهم، لأننى عندما كنت فى موسكو وقفت مع ضباط كثيرين من السوريين موقفاً مناهضاً للانفصال. وبعض الطلاب الذين كانوا معنا هناك ابلغوا رئيس الاركان تامر كمال بموقفنا، وكانت دولة الانفصال تراقبنا، وابعدتنى إلى الأرجنتين بقرار من القيادة العسكرية الحاكمة فى أثناء الانفصال. ولم يكن فى يد حيدر الكزبرى أن يفعل شيئاً، وكان العوبة فى أيديهم.

- من كان الرجل القوى فى دولة الانفصال؟

* عبد الكريم زهر الدين والنحلاوى، مع العلم أن العناصر العسكرية الانفصالية لم تكن سيئة، ولكنها وقعت فى مخطط، وكان الضباط الشاميون من خيرة الناس.

- من استدعاك إلى سوريا بعد ثورة الثامن من آذار (مارس) ١٩٦٣؟

* وصلتنى برقية من الأستاذ صلاح الدين البيطار رحمه الله، وكنت يومها أو ملحق عسكرى فى السفارة السورية فى الارجنتين. وجاء فى البرقية «أن الأخوان فى مجلس قيادة الثورة اقترحوك وزيراً للداخلية ويرجى حضورك بسرعة». وسافرت. واستقبلتنى مجموعة من الضباط وبعض الأخوان فى مطار دمشق يوم ١٣ آذار (مارس) ١٩٦٣، وكان بينهم صلاح جديد وعبد الكريم الجندى.

– وحافظ الأسد أيضاً؟

* لا أتذكر. ولم يكن لدى اختلاط معه قبل ذلك، ولكننى كنت اعرف الآخرين، وكانوا كلهم على صلة بى فى أثناء الانفصال. واوفدوا محمد عمران إلىّ لعدة أيام لمعرفة رأيى «وماذا ينبغى أن نفعل بالانفصال لأننا نثق بك». وبعد أن استلمت وزارة الداخلية، اقترح البيطار وأخوانى فى مجلس قيادة الثورة أن أتولى منصب نائب رئيس الوزراء ثم منصب رئيس الوزراء بعد استقال لؤى الاتاسى أثر خلافاتنا مع الناصريين ومشاكل ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٣، وكنت قد طلبت بالحاح بقاء لؤى الاتاسى، ولكن الأخوان فى مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وشبلى العيسمى والعسكريون وضعوا ثقتهم فى «أبو عبدو». وفضلت أن يتولى الأستاذ البيطار ولكنهم اصروا علىّ، فأستلمت الحكم بعد لؤى الاتاسى وقمت بما يمليه علىّ الواجب حتى وقعت حركة ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦٦ التى قام بها صلاح جديد.

– هذه الفترة من تاريخ سوريا لم يكتب عنها الكثير، وما كتب فهو مجتزأ.

* تاريخ مشوه.. مشوه..

– من شوهه؟

* لا أريد أن احدد وافتح معركة ليس وقتها الآن. الحقيقة ليست ملكاً لأحد، ورأى الجماعة هو الأفضل دائماً. وكنت أفضل أن يكتب بوجدان وعن اطلاع. ومعلوماتنا نحن كانت ضمن حدود وضعنا كعسكريين. وإذا كتبنا فلن نقول إلا الحقيقة التى نعرفها.

– وما هى هذه الحقيقة؟

* الحقيقة هى أن الحكم خلال سنوات١٩٦٣ – ١٩٦٦ كان انظف حكم مرّ على سوريا.

– أحد الذين حاورناهم قال انكم لم توافقوا على إجراء انتخابات تشترك فيها الأحزاب، وخالفتم بذلك مبدأ حزب البعث الذى يؤمن بالتعددية وليس بمبدأ الحزب القائد.

* الحقيقة أن قادة الحزب من الأستاذ عفلق إلى البيطار إلى الآخرين لم يطرحوا قائداً ولا دكتاتورية، ولكن الحزب اضطر أن يقف وحيداً فى الساحة. الناصريون والاشتراكيون كانت لهم مواقف. وقد شاركت فى وزارة البيطار التى جمعت أكثر العناصر الوطنية. ولكن بعض العسكريين البعثيين الذين ساهموا فى ضرب الانفصال. هذا لأقول أن وزارة الأولى بعد ٨ آذار اعطت صورة تجمع وطنى.

– أنك تتكلم عن وزارة قصيرة العمر...

* الوزارة الأولى لم تعمر طويلاً لأنه حدث لعب....

– أى لعب؟

* هنا تدخلنى فى مشكلة.... أخواننا فى مصر، وعبد الناصر رحمه الله وآخرون اجتهدوا، وكان رأيهم أن للناصرين دوراً أوسع، وبالاصح أننا نحن والناصريون وقعنا فى فخ نصبته لنا فئات ثانية.

– أى فئات تعنى؟

* جماعات ٢٣ شباط (فبراير)، وهى لاتزال تحكم سوريا إلى اليوم.

– ألم تدركوا حقيقة أهدافها فى ذلك الوقت؟

* فى البداية لم يدرك أحد حقيقة أهدافها. وكنا نعتقد أن العسكريين الشباب «اوادم» بمن فى ذلك صلاح جديد ومحمد عمران. ولم يعتقد أحد أن الأمور ستتطور إلى تكتلات طائفية أو عشائرية أو أسرية كما ظهر فى حكم حافظ الأسد وجماعته.

– كان فى استطاعة البعث أن يصر على تعددية الأحزاب فلماذا تراجع؟

* كانت هناك ظروف خلقت أوضاعاً معينة، ودخلنا فى معركة مع الناصريين ولعبت فيها جهات ثانية. وحاولنا بعد ذلك، ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وأنا وأخوان آخرون، وطرحنا الأمر مراراً فى مجلس قيادة الثورة. واستطيع القول أنه كان العهد الوحيد الأقرب إلى الحزم والعفو معاً... الناصريون مثلاً، بعد أن حكموا بالاعدام، اطلقناهم من السجن بعد سنة وعدة شهور. وكان هناك اضراب الشام. وكان لى دور أساسى فى العفو عن الناس.

مشكلة حماه:

– مشكلة حماه سنة ١٩٦٤ لماذا برزت، وكنت انت على رأس السلطة عندما ضربت المدينة؟

* هناك جهات عديدة لعبت أدواراً. وبعض الذين يتعاونون اليوم مع حافظ الأسد مثل عبد الحليم خدام وجماعته لعبوا دوراً مع المخابرات وارادوا ضرب حماه، وهى المدينة الشهيرة بنضالها فى التاريخ، وحاربت حتى الصليبيين الذين تجرأوا على دخولها. وشبابها اتجاههم وحدوى واشتراكى، وهى بكل فئاتها قاتلت فرنسا مرات

عديدة منذ عام ١٩٢٥ . وجئت أنا والحاج محمد الحامد وانقذنا حماه، وكان قد دار حوار طويل بيننا واقنعته.

– لكن مدينة حماه قصفت، وتم تدمير جامع السلطان وكنت أنت يومها رئيساً للجمهورية؟

* من أمر بالقصف ليس نحن، وهذه حقيقة تاريخية أثبتها في مذكراتي. الذى قصف المدينة هو عزت جديد وهو الآن في الآخرة.

– لكنك كنت رئيساً للجمهورية، فكيف سمحت بقصف المدينة؟

* عندما عدت إلى الشام قلت يومها أننى أنا الذى أمرت بضرب المدينة تبرئة للآخرين لأنه كانت هناك حرب طائفية. ولكننى فى الواقع أنا من قمع الفتنة مع محمد حامد، وعفونا عن الناس واكرمنا المدينة، وحضر إلى وفد من حماه بعد يومين، وعفونا عن الجميع.

– السؤال الكبير هو: كيف تتحرك قطع عسكرية وتضرب المدينة ورئيس الجمهورية لا يعلم بشئ؟

* لا، لا كل شئ تم بمعرفتى، ومعركة القصف جزئية، والمعركة الرئيسية كانت داخل المدينة حيث أقيمت المتاريس فى كل مكان وقالوا لى أن هناك من يعتصم فى الجامع وخارجه... ولم يحدث شئ إلا بعلمى.

– حتى قصف الجامع تم بامرك؟ لقد أعطيتم بذلك مثلاً للنظام الذى جاء بعدكم...

* هناك عصاة في جامع أو في بيت، والمفروض إخراجهم بهجوم. وثمة أساليب عسكرية تجبر الناس على إخلاء الجامع، مثل ضرب رجل أو قتل آخر، لكن لا يجوز ضرب الجامع، ولكن عندما حدث هذا صارت المعركة طائفية: هذا علوى أو درزى أو مسيحى، ولذلك حملت المسؤولية على كتفى. وحتى الآن يقول من قسم من أبناء حماه: «أبو عبدو حل المشكلة بالحسنى».

- مكثت في السلطة ثلاث سنوات كحاكم عسكرى فلماذا لم تعزل هذه الفئة؟

* نحن شباب حزبى، وكان هؤلاء أعواننا واصدقاؤنا، وكانوا معنا فى مجلس قيادة الثورة ولهم فضل فى حركة ٨ آذار (مارس). هكذا كنا ننظر إليهم وقتها. وتبين فى ما بعد أنهم ملغومون وحاقدون. لقد حاولنا معالجة ما شاهدناه قبل ٢٣ شباط ٦٦، والعلاج لا يتم بالحسم والبتر بل الحسنى، ولم نكن نتصور وجود أشخاص مثل هؤلاء بيننا لهم علاقات صهيونية، ووقعنا فى هذا المخطط نحن والناصريون.

- لكن رواية الأستاذ شبلى العيسمى تختلف عن روايتكم...

* وأنا أختلف معه فى كثير من الأمور. ولكنى أقول كمسؤول وكرئيس سابق للدولة أننى كنت عند ظن الحزب والأخوان والجميع، ولكن عن يوم ٢٣ شباط ١٩٦٦ قلت لهم: «لقد نبهتكم». وطرحت فكرة حل اللجنة العسكرية مع أننى كنت رئيساً لها، وذلك لتجنب قيام قيادتين. وأن تكون مهمة اللجنة فى حال استمرارها إجراء مناقلات الضباط وتعيينهم. ولم يوافق السياسيون على رأيى وقالو أن على العسكريين العودة إلى الثكنات. واجبتهم: هذا كلام غير واقعى، فكيف يرجع عضو مجلس قيادة الثورة إلى الثكنات. وهو الذى عين الوزراء ورئيس الوزراء؟ ويقول البعض أنه لولا العسكر لما جاء المدنيون، وأن العسكرى لا يمكن

أن يرجع إلى الثكنة بل يبقى فى عضوية مجلس قيادة الثورة أو فى القيادة القومية أو القطرية، لأنه إذا عاد إلى دبابته فإنه سيقوم بانقلاب جديد. وقلت لهم ولمنيف الرزاز بعد انقلاب حمص: أننى قادر على تغير الوضع بشرط أن تكون القيادة معى وأن أقود لواء دبابات .

– لكن من هو الذى تراجع؟

* هو أمين عام الحزب منيف الرزاز. وكان فى استطاعتى أن أفعل ما أريد لو كنت وحدى وأعمل لنفسى فقط لأن المراكز كانت فى يدى.

ما أوقفنى أمر واحد هو الوجه الطائفى الذى برز يومذاك بشكل مخيف. وقلت لمنيف الرزاز أننى مستعد وقادر لتنفيذ ما تقررة القيادة فى وجه أى فئة كانت، لكنه أعتذر وقال لى: هذه حرب وأنقلاب، ونحن لا نقبل بذلك. غير آن «الشياطين» قاموا بانقلاب عسكرى فى حمص وكان يومها ضد الشعب والجيش والحزب، وفشلوا، ونحن نداركنا الأمر بسرعة...

وتبع ذلك تطويق القيادة القومية واهانتها وهى الحاكمة. وسألنى الدكتور منيف الرزاز عن رأيى فقلت له: الحل الوحيد هو أن نحرك اللواء ٧٠ وهو مازال فى يدى. لقد أتيتم بمحمد عمران وزيراً للدفاع رغم معارضتى والتزمت كحزبى.

– لماذا رفض فكرة الانقلاب العسكرى مع أن فكر البعث فكر انقلابى؟

* هذه أمور يشرحها القادة الحزبيون. أنا عسكرى وقرارى مثل حد السيف، ولولا خوفى على سوريا من حرب طائفية لتصرفت بطريقة آخرى. هناك من استغل الطائفة العلوية وهى من أطيب الطوائف وأفضلها، والضباط العلويون من أشرف الناس وأنظفهم، ولكن النظام أفسد الطائفة والضباط. ولو وافقت القيادة معى لما

جرى ما جرى.

– ماذا فعلت بعدم جابهوك بالرفض؟

* قلت لهم أننى سأقعد فى بيتى، ولكن الانقلاب اتٍ أما صباحً وإما مساءً...

– وكيف حدثت المعركة مع "الشياطين"؟

* كان لدى حرس، وجماعتى من الضباط مثل مجمود موسى وغياث سلطان، وجنود شعان يعرفون كيف اقاتل. وقلت لهم: لا يأتى احدا إلى بيتى أو إلى قصر الضيافة. واتوا وقاتلوهم. واصبت برصاصة فى ركبتى، واصيبت ابنتى فى عينها وجرى ولدى. وبعد كم ساعة طلبوا منا الخروج، واخرجنا الاولاد، ثم عادوا وضربوا من جديد، وحدثت خسائر مدنية وعسكرية كثيرة. وأخذونا إلى سجن المزة وبقينا هناك سنة وأربعة اشهر. وشعرنا بأن الناس استقبلت انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ أسوا استقبال. وكان هذا الانقلاب جريمة كبرى بحق الوطن والجيش والحزب.

– لماذا اطلقوا سراحك بعد ذلك، وكيف عاملوك؟

* سجنونى أنا ومحمد عمران لوحدنا، وزارنا صلاح جديد وحافظ الأسد. وقال لنا الأسد أنه سيتم الافراج عنا بعد عدة أيام. وسيرسل إلينا خياطاً لتفصيل «كم بدلة». وليلة الافتراج عنا اعلنوا سقوط القنيطرة كان السفير الإسرائيلى فى الأمم المتحدة ينفى ذلك...

لقد افرة عنا على أساس أن نقابل ولكنهم لم يسلمونا أى سلاح. ذهبت وأستاجرت شقة فى الطابق الرابع، وعند منتصف الليل حضروا واعتقلونى من جديد، وابعدونى عن عمران إلى لبنان وحذرونا من العودة.

قصتى مع كوهين

– بث التلفزيون الأميركى مراراً قصة الجاسوس الإسرائيلى ايلى كوهين وقالوا أنك أنت من اصطحبه إلى الجبهة، ولولا المعلومات التى حصل عليها بسببك لما سقط الجولان...

*** طبعاً، وقالوا أكثر من ذلك وأكدوا أنه كان صديقى من أيام الأرچنتين... وبديهى أن يقولوا أكثر من هذا وإلا كيف يبررون سقوط الجولان؟**

– ما حقيقة صلتك بكوهين؟

*** كل ما صدر فى الكتب والاقلام عن علاقتى به كذب مائة بالمائة مراجعهم الرسمية وغير الرسمية تؤكد أن ايلى كوهين كان فى الارچنتين بين آذار (مارس) وآب (أغسطس) ١٩٦١، ومنها ذهب إلى أوروبا، وسافر فى أول عام ١٩٦٢ إلى لبنان، ثم توجه إلى سوريا. وفى تلك الفترة تحديداً لم اكن لا فى مهمة ولا فى زيارة ولا فى وظيفة فى الارچنتين، بل كنت فى سوريا. وعندما حدث الانفصال فى ١٩٦١/٩/٢٨ كنت فى موسكو. أى أننى كنت فى القطب الشمالى فى موسكو خلال تلك الفترة، وكان ايلى كوهين فى القطب الجنوبى فى الارچنتين. وفى عام ١٩٦١ لم تكن فى الارچنتين سفارة سورية ولا سفير ولا ملحق عسكرى طبعاً، لأن**

الوحدة المصرية- السورية كانت قائمة. وأنشئت السفارة السورية فى الارجنتين بعد الانفصال أى بعد ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١. وسافرت إلى هناك فى أول عام ١٩٦٢، وكان كوهين- حسب مصادرهم- فى تلك الفترة فى لبنان. وحضرت حفلة عيد الميلاد فى الارجنتين وكان معى ثلاثة من أعضاء السفارة هم: المستشار عبد الرحيم الكناني، وعبد الغنى وعبد الودود الاتاسى. وكانت هى أولى ليلة امضيتها فى الأرجنتين. وتشير السجلات الرسمية إلى أن كوهين وصل إلى دمشق يوم ١٠ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٢. وعدت أنا إلى سوريا فى ١٣ آذار (مارس) ١٩٦٣. وهذا يعنى أنه خلال سنتين كان فى قارة وأنا فى قارة أخرى.

- تدعى الروايات الإسرائيلية أنه كان يتردد على الأرجنتين.

* حسب مصادرهم قيل أنه ذهب مرة واحدة إلى الارجنتين، وكنت أنا يومها فى الحكم. وجمع كوهين تبرعات، وقالت كتبهم أنه جمع ٩ الاف دولار واضاف هو إليها الف دولار واعطانى المال تبرعاً للحزب، وقالوا أننى «أكلت» هذا المبلغ... «تصور شلون الكذب لوين»... رئيس دولة يسرق تبرعات ويقبلها من شخص لا يعرفه!

- ماذا عن الهدايا والفراء والصور؟

* هذا من صنع الموساد. عندما عدت إلى سوريا فى ١٣ آذار (مارس) ١٩٦٣ كان كوهين فى دمشق. وهو لم يكن عضواً فى مجلس القيادة ولا أى شئ من هذا القبيل، وأنا لم أعرف شكله إلا بعد القبض عليه بيومين. وإسرائيل تحاول استثمار قصة كوهين

باستمرار، وكل سنة يصدر كتاب أو كتابان عنه. وقمت بالرد على أول كتاب صدر عام ١٩٦٨. ولكن ماذا افعل بطوفان الكتب التى تصدر بكل اللغات عن كوهين؟ عندما أبعدونى إلى لبنان كنت انتقل بواسطة التاكسى والسرفيس. وعرضت دولة عربية استضافتى، واستضافنى الأخوة اللبنانيون.

وعندما كنت فى مثل هذه الحالة المالية الزرية، كانوا يشيعون عنى شائعات الثراء. ومرة كنت أنتقل بالتاكسى مع بعض الأخوان فى بيروت وكنت اعتمر بكوفية بيضاء، سألنا سائق التاكسى: «من أين الأخوان؟» وقلنا له من حمص... ومر السائق أمام بناية من عشرة طوابق وقال لنا: انظروا.. هذه البناية لرئيسكم أمين الحافظ!

شائعات علاقتى بالجاسوس كوهين
دعاية أسر ولم أعرفه إلا بعد اعتقاله بيومين

- ألم ترافق ايلى كوهين بجولة ف الجولان؟

* أنشا كوهين علاقات مع بعض الضباط مثل معزة زهر الدين وهو ضابط احتياط من ادلب ولا يُعرف أشياء كثيرة عن اسرار الجيش السورى. أما بالنسبة للجولان فقد كان الوضع أنه حتى رئيس الجمهورية لا يستطيع ادخال أى مرافق له إلى هناك إلا بأذن من المخابرات، وفى هذه الحالة فإن مرافقين من أربعة اجهزة مخابرات سيرافقونه فى الجولة. وحتى لو اردتُ ادخال أخى إلى الجبهة فإن

خمسة من المخابرات سينامون معه.

- كيف القيتم القبض عليه؟

* اخبروني بأنه منذ أيام الانفصال هناك اضبارة ولا يعرفون من أين أتت. واشتكت عدة سفارات أجنبية من وجود تشويش في الاتصالات. واتصلنا بالسوفيات وحصلنا منهم على جهاز دقيق يرشد إلى مصدر التشويش. وكان وداد بشير مسؤولاً عن الاجهزة والتقط مع جماعته بعض الاشارات. وغلط أول الأمر في الشقة، ثم فتشوا الشقة الثانية وضبطوه بالجرم المشهود وهو يبث الرسالة. وضبطوا لديه جهازاً ثانياً للارسال.

- لماذا قررتم اعدامه بسرعة؟

* نحن تصورنا أنه عربي وخان بلده. وفي تقديري أن معلوماته كانت أتفه منه ومن الذي أستلمها. وإسرائيل تشن علينا حرباً نفسية مستمرة منذ أيام مؤتمر بال ١٨٩٧. وتركيزهم عليّ بالذات القصد منه تشويهي. وزعم كوهين في التحقيق أنه كان يصلي معنا في الأرجنتين مع أنه لم يكن هناك جامع وقتذاك. وقال أنه لم يكن هناك جامع وقتذاك. وقال أنه «جامع الإسلام»، والمسلمون لا يسمون الجوامع بهذا الاسم. وكشفنا أموراً كثيرة، وتبين أنه يهودي. ونحن لم ننتزع منه الاعترافات بالقوة، بل هو اعترف بكل شئ من تلقائه بعد القاء القبض عليه. لقد تصرف الموساد بمنتهى الغباء عندما أوفدوه كمسلم وهو لا يعرف حتى سورة الفاتحة.

لنتحدث عن مرحلة نفيك إلى خارج سوريا، في لبنان وغيره.

* لقد بعث إليّ الرئيس عبد الناصر يدعوني للاقامة في القاهرة.

- مع إنك هاجمته بمرارة عندما كنت في الحكم.

* هاجمته في أمور سياسية تتعلق بفلسطين والوحدة. وأنا احترم الرجل لأنه قدم خدمات لمصر والعرب، ولكنه أخطأ بالنسبة للديمقراطية وفي ضرب التيار الإسلامي بعنف رغم أنه كان تياراً وطنياً.

- هل صحيح أنك قلت له أن في مقدورك تحرير فلسطين في عدة ساعات؟

* محمد حسنين هيكل حددها في «ثلاث ساعات». لا... الصحيح هو ما كتبه شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية عندما حدثت مشادة كلامية بين عبد الناصر وأبو عبدو. وذكر شارل حلو أنني قلت: يمكن تحرير فلسطين في ثلاثة أيام. وهذا هو الصحيح وهذا ما قلته. واذاع راديو إسرائيل أنني قلت يمكن تحرير فلسطين في ثلاث ساعات. وسألني الضباط في السجن عن صحه نسبة هذا القول إلي واجبتهم أنني قلت: في ثلاثة أيام. ويمكن في ثلاث ساعات إذا كان لدينا طيران قوي قادر على ضرب كل مطارات إسرائيل في وقت واحد. وفي حرب ٥ حزيران (يونيو) طبقت إسرائيل هذا الكلام على العرب وانهت حربها في ثلاث ساعات و٢٠ دقيقة. وإذا استمر العرب على ما هم عليه الآن فإن إسرائيل قادرة على أنهاء حربها في دقائق.

تحالف المعارضة:

– لماذا لم نسمع بأى نشاطات لك منذ ١٩٦٦ وإلى ١٩٨٢ تاريخ إعلان الميثاق الوطنى لتحرير سوريا؟

* لم أخلد إلى الراحة قط، ولن أفعل حتى ولو بلغت المائة من العمر. فى لبنان اشترى لى منصور الاطرش مسدساً بـ ٣٠٠ – ٤٠٠ ليرة لا حمله. وقبلها الحاج أمين الحسينى بعث بأسلحة وبحراس.

– لماذا لم تقيموا أى تنظيم حتى عام ١٩٨٢؟

* أتصلت بالأستاذ اكرم الحوارنى وجماعته وبالقوميين العرب أعتباراً من عام ١٩٦٨ . ثم قامت ثورة الابطال فى العراق بقيادة أبو هيثم (أحمد حسن البكر) رحمه الله، وأبو عدى (صدام حسين) الذى لن يجود الزمان بمثله خلقاً وشهامة وكرماً ومروءة وعروبة. أنه بعثى أصيل. وتلقيت رسالة تدعونى إلى العراق ولبيت الدعوة.

– سؤالى هو: بين ٦٨ و٨٨ لم يقم تحرك جدى للمعارضة السورية، لماذا؟

* هذا موضوع آخر. التحرك الجدى ليس بيدى.

– تاريخياً، من كان أول من طرح صيغة التحالف الوطنى فى عام ١٩٨٢؟

* الأحزاب طرحت الصيغة، ودخلت كعضو عادى لا أكثر ولا أقل.

– لماذا لم يحقق التحالف ما توقعه البعض؟

* اسأل قادة التحالف وزعماء الأحزاب ومن يملك الدبابات والمدافع.

– لماذا أسقطتم الكفاح المسلح من الميثاق، ولم تعتمدوا هذا الاسلوب فى المعارضة؟ أننى اسألك بصفتك عضواً مؤسساً...

* أنا لم أكن مؤسساً، والفضل فى التأسيس يعود إلى البعث والناصريين والأخوان. ودخلت فيه كعضو عادى، واخرج منه كعضو عادى.

– هل ما زلت فى التحالف؟

* يعنى...

– كيف "يعنى"؟

* أنا فيه إنسان فرد، وليس لى دور ولا أتولى قيادة، وحتى لست عضواً فى التحالف حالياً.

– لماذا خرجت هذه الفترة بالذات؟

* لقد تشكلت قيادات جديدة.

– هناك تحفظ على العسكريين يصل حد الفيتو فى معظم الأحزاب. وحجتهم أن العسكر، مهما كان حجم الخدمات التى قدموها للوطن، إلا انهم هم سبب بلاء الوطن نتيجة لتدخلهم فى السياسة، فاضاعوا فلسطين والجولان ونحروا الديمقراطية فى سوريا.

* العسكر مظلومون، وهم «مأكولون مذمومون» كما يقول المثل. والعسكر السوريون مناضلون ومن اشرف الناس، وليس الذنب ذنبهم إذا طلع من بينهم خونة وتسلطوا على البلد. ومن المفروض الأحزاب أن تقف بوجههم وتسقطهم. الديمقراطية ليست كلاماً، وهى تحتاج إلى من يحميها. ومن يدعى من الأحزاب السورية أنه

ديمقراطى عليه أن يحميها. ومن يدعى من الأحزاب السورية أنه ديمقراطى عليه أن يحميها وينزل إلى الساحة كما فعل المدنيون من حزب البعث أيام أديب الشيشكلى، ونحن العسكر وجهنا إليه الضربة الأخيرة. هناك عسكريون اودام وعسكريون ارذال، وكذلك هم المدنيون.

– أنت رمز لتدخل العسكر فى السياسة. إلا تعتقد أن تسييس الجيش السورى اضاع الروح القتالية عند قادته؟

* نحن مسيسون قبل الجيش، ويوم وقفنا فى انقلابات عسكرية فعلنا ذلك لتصحيح وضع. وأيام أديب الشيشكيلى قام البعث بدور مشرف، وكنت أنا فى درعا، وانسحبنا ولم نطلب مراكز. وعندما وقعت حركة ٨ آذار (مارس) ٦٣ اقترحت أن يتحول العسكريون إلى مدنيين. فرنسا أم الحرية مع أن الچنرال ديجول عسكرى.

– لكن ديجول انتخبه الشعب وليس بمسرحية ٩٩،٩٩ بالمائة...

* انتخب كعسكرى شريف.

– تاريخياً، عندما طلب حزب البعث منكم العودة إلى الثكنات رفضتم...

* لم يُطلب منى، وإنما عُرض رأى خاطئ، والأمور لا تحل بكلمة. عبد الناصر ضرب مثلاً صالحاً. قال لجماعته: هذا الفريق يبقى فى الجيش، والآخرون يتحولون إلى مدنيين. أنا عرضت عليهم بوجود صلاح الدين البيطار وقلت لهم: اليوم احضرتم أمين الحافظ وصار وزيراً للداخلية وهو عميد ركن فى الجيش، ثم تقولون له: ارجع إلى الثكنة... هذا صعب.

– صعب لأنكم ذقتم حلاوة السلطة؟

* لا، أبداً. الحل الامثل، إذا جئت بالعسكريين ليشتغلوا فى السياسة فأنهم يستمرون كسياسيين.

– من المسؤول تاريخياً عن توريط الجيش بالسياسة؟

* اكرم الحوارنى قائد سياسى وطنى شريف ويجب أن يسأل عن ذلك. أنا جئت قبل اكرم الحوارنى ونظمت مظاهرة عام ١٩٤٥ كمعلم مدرسة. وعندما التحقت بالكلية العسكرية عام ١٩٤٦ وتعرفت على الاشتراكيين والبعثيين وجدنا الآراء متضاربة.

– إلا تعترف موضوعياً وبنقد ذاتى أن العسكر ساهموا فى خراب سوريا وساعدوا فى ظهور نظام حافظ الأسد؟

* (مقاطعاً بحدة): اسمح لى، العسكر أبرياء عندما ينتصر العسكرى يقطف ثمار النصر المدنيون. وإذا فشل العسكريون توجه التهمة إليهم. ضباط الجيش السورى بمن فيهم الضباط الانفصاليون هم من اشرف الناس واطهرهم. مرة واحدة ارتشى ضابط واحد بكيس سكر فخربت الدنيا وسرح من الجيش.

– انظر إلى تجربة سوار الذهب فى السودان... فهو لم يجد "صعباً" العودة إلى الثكنات بعد اعادة السلطة إلى المدنيين.

* أنا تعاونت كوزير مع الحزب وأنا فى تكوينى ديمقراطى.

– لا تعترف بمسؤولية العسكر؟

* هناك مسؤولية تاريخية على الجميع كما كل دول العالم الثالث.

كنا آخر من يعلم بمفاوضات الأخوان المسلمين مع النظام:

– وماذا عن قصة المفاوضات بين المعارضة والنظام؟ هل أنت معها أم ضدها؟

* أي نظام؟

– النظام السورى؟

* أنه نظام مجرم.

– قال لنا عدنان سعد الدين المراقب العام للأخوان أنك كنت موافقاً مبدأ التفاوض فى عام ١٩٨٤ حسب المحضر الثانى.

* ليس صحيحاً. وقلنا أننا ضد المفاوضات، ولكن يجوز الاتصال بأى حكم حتى ولو كان خائناً عن أى طريق ما عدا طريق الحزب، ونصحت بذلك. وقلت أوفدوا من تريدون لمعرفة ماذا يريد النظام واخبرونا. معرفة ما يدور فى رأى الخصم شئ والتفاوض شئ آخر.

– قال لنا عدنان سعد الدين ان قبلوكم لجماعة ابو غدة جاء نتيجة لاستمرارها فى التفاوض مع على دوبا.

* قبلنا بـ«أبوغدة» والآخرين لأننا ننظر إلى مصلحة سوريا. وعدنان سعد الدين له يد فى التحالف وهو مشكور، وله صفات طيبة. وأبو غدة عالم فاضل ولم نر منه إلا كل الخير. وبعد انشقاق الأخوان كنا همزة وصل للاصلاح. التحالف رفض التفاوض وكنت أنا يومها عضو امانة عامة. وكان لدى الأخوان اجتهاد خاص وهذا شأنهم. نحن رحبنا بالأخوان لنكسبهم بدلاً من أن يكسبهم النظام السورى.

التفاوض "والأخوان":

– لكنكم اعطيتم الضوء الأخضر للتفاوض واستشاركم منير الغضبان وأبو غدة.

* لا نعطى ضوءاً اخضر، ولا نقبل ولم يستشرنا احد، وهذا كذب. وهم فاوضوا ورجعوا وقالوا: هذا ما حصل معنا. وقلنا لهم فى التحالف: هذا لا يجوز والاتصال يجب أن يتم بطريق غير مباشر.

– ماذا نقل إليكم الأخوان المسلمون بشقيهم عن نتيجة المفاوضات مع علىّ دوبا والمخابرات السورية لمدة ثلاث سنوات؟

* قال الأخوان أنهم قدموا مطالب واخلاء سجناء والعفو العام وعودة الغائبين، وأن المخابرات وعدتهم... ولكن جماعة أبو غدة وجماعة سعد الدين اتهموا بعضهم بعضاً. ونحن لا نريد لجماعة أبو غدة حتى ولو كانوا مائة شخص أن يتحولوا إلى النظام السورى السياسة فن الممكن، وعندما يأتى إلينا شخص كان من اعوان النظام فهذا كسب لنا. ونحن فى الأمانة العامة اجتهدنا حتى لا نخسر الفئتين من الأخوان.

– لماذا لم تنذروا الاخوان بشقيهم بوقف التفاوض؟

* عندما حدثت المفاوضات كنا آخر من يعلم. ودخلتُ التحالف وكان هدفنا الاساسى جمع الناس. وسعد الدين مناضل ولا نريد ان نخسره. وأبو غدة «خرب الدينا» بتفاوضه، ولكننا لا نريد أن نخسر احداً.

– ما هى مسؤولية الأخوان فى انتفاضة حماه؟

* فى رأيى أن جهات عربية ودولية والنظام السورى اثاروا المدينة لذبحها، ولعبوا على الأخوان.

– هل أتصل بك أحد من النظام السورى؟

* لا، ولكن أريد أن أروى لك هذه المحادثة... عندما كنت فى القيادة القومية حمل فلسطينى اسمه عبد الله خريس رسالة إلى أبو هيثم (احمد حسن البكر)، فاتصل بى أبو هيثم من حديقة القصر واطلعنى على الرسالة وهى من حافظ الأسد وطلب رأيى. وقلت له رأيى بصراحة، وقلت لو أن المحيط الهادى مر على يد النظام السورى لفشل فى تنظيفها...

– لماذا اختار الأخوان طريق التفاوض، هل بسبب ضعفهم؟

* فى رأيى أن الأحزاب التقدمية السورية لو أخذت دورها كما يجب لما كان للأخوان هذا الدور لأن شعبنا ليس أخوان مسلمين...

– لماذا لم يطرح البعث الكفاح المسلح كوسيلة للتغيير؟

* أنا سألتهم قبلك هذا السؤال.

– ماذا كان الجواب؟

* الظروف... وكنت أتمنى أن تنزل جميع الأحزاب إلى المعركة.

– لماذا يدخل الشيوعيون المكتب السياسى فى التحالف؟

* أبو كامل (محمد مخمل) وجماعته من خيرة الناس وهناك تنسيق بينهم وبين التحالف، ولم يضع أحد فيتو عليهم حتى عدنان سعد الدين.

– ما هو السيناريو الذى تتصوره لتغيير النظام؟

* لا أفضل من جمع الناس من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بقيادات نظيفة وحازمة بشرط الا يدخل المترددون. قيادة التحرير يجب أن تكون فى أيدى المثابرين

على النضال وليس المذبذبين الذين لهم كل يوم خط. وانا أقترب اليوم من الثمانين من عمرى، ولذا تركت لغيرى القيادة.

– ما هى العوامل التى تقود إلى تغيير النظام من الناحية النظرية؟

* عوامل كثيرة منها العامل الخارجي لأن النظام مدعوم خارجياً، وهناك أتفاقات مكتوبة وغير مكتوبة وأتصالات مباشرة وغير مباشرة بين النظام وحلفاء إسرائيل. وهناك العامل العربى (...) ودوره فى دعم المعارضة. والجيش له دور وأجهزة الأمن والمخابرات والعمل المسلح. والشرط الرئيسى الا تتصدر قيادة التحالف عناصر غير ثابتة الأتجاه. ومن أستيقظ وجدانه منذ خمس سنوات فقط، يجب الا يوضع فى الصف الأول فى التحالف متجاوزاً من عارض منذ عشرين سنة. وهذه العناصر يجب أن توضع فى النسق الثانى أو الثالث حتى تثبت بنضالها وتضحياتها أنها جديرة بالصف الأول.

– كيف يمكن إزالة التنظيمات العسكرية الطائفية العديدة المسيطرة على دمشق؟

* (متابعاً) أن النظام مدعوم عربياً. وأذكر مرة عندما كنت رئيساً للجمهورية أننا طلبنا قرضاً بخمسة ملايين دولار ولم نحصل عليها بينما يحصل النظام الحالى على أكثر من مليارى دولار.

– ماذا عن تقارير عودة رفعت الاسد إلى دمشق؟

* رفعت وحافظ شئ واحد.

أنا والأسد وديجول،

– عندما كنت رئيساً للجمهورية كيف كانت علاقتك بحافظ الأسد؟

* عندما كان فى مجلس قيادة الثورة كان رجلاً عادياً، وأحياناً كان يغضب بسرعة. ومرة حضر إلى عام ١٩٦٦ وقال لى: يا أبو عبدوكلنا نثق فيك وأرفع يدك من القيادة، وهؤلاء ليس معهم لا مدنى ولا عسكرى، وضع يدك فى يدى ودعنا نتعاون. وأجبته، وقد حضر القسم الأخير من ردى منصور الأطرش، وقلت له: يا أبو سليمان، إن ثقتى بالحزب وبالقيادته المدنية والعسكرية كبيرة، ويجب الا يحدث أنقلاب ضد الحزب. وأجابنى الأسد: أنهم يتأمرون عليك. أجبت: دعهم يفعلون إذا شاؤا، وأنا لا أريدهم إن يقولوا أن أبو عبدو غدر بهم. ونصيحتى لك وللشباب أن تسمعوا كلام القيادة الحزبية، ولا تتورطوا، وقل لهم الا يأتوا إلى البيت وإلا فأننى سأقاتل ولو بعشرة أشخاص!... وضحكنا. ثم حضر صلاح جديد وإبراهيم ماخوس.

– ما الفرق بين صلاح جديد وحافظ الأسد؟

* ثبت أن تصرفات الأسد فى لبنان ومع الفلسطينيين أن النظام عميل وصلاح جديد أشرف بمليون مرة...

– دعنى اناقشك فى هذه النقطة بالذات. انتم تكررون فى أدبيات المعارضة بلا انقطاع نغمة العمالة. والاحظ انكم توزعون التهم بسهولة إلى حد الأسفاف. هل تعتقد أن مثل هذه النغمة تنطلى على الناس؟

* العنصر الأساسى هو تصرف النظام. ومن سلوكه فى لبنان إلى أغتيال كمال

جنبلاط، إلى ضرب الفلسطنيين نرى أنه ينفذ مخطوياً مرسوماً، ولهذا تتدفق عليه المليارات من الدولارات.

– كيف أستمر هذا النظام ١٨ سنة؟

* الأموال تتدفق عليه وتساعده على الأستمرار. وكما يقول المثل من يأكل خبز السلطان يضرب بسيفه. وهو مدعوم من غالبية الحكام العرب. ولكنى متفائل إذا أحسنت المعارضة السورية جمع شملها. وكما يقول الشاعر البدوى: «وأني شقى باللئام ولا أرى شقياً بهم إلا كريم الشمائل».

– هل أقمتم معسكرات للتدريب؟

* أنشأنا معسكرات عام ١٩٦٨، ولكن القيادة الحزبية طلبت وقف التدريب، وأنا ملتزم بالأوامر.

– هل أجتمعت مع الجنرال ديجول؟

* نعم، وسألنى: ما الحل لقضية الشرق الأوسط؟ وقلت له: لا يوجد حل واحد، وهناك عدة حلول. ونحن أصحاب حق. ولو أدعت كل فئة أن لها حقوقاً منذ الف سنة، وجاءت تطالب بها الآن لتغيير خريطة العالم. وعلق ديجول: صح وتابعت: إذا كان اليهود قد حكموا ٥٠ – ٦٠ سنة فى قسم من فلسطين فى عهد سحيق، فكيف يدعون اليوم أن فلسطين لهم؟ والحل سهل ولكنه صعب التطبيق، وهو أقناع الصهيونية وإسرائيل بأن ما أخذوه كاف وأعنى القسم الموجود أثناء الحكم التركى وقبل عام ١٩٤٨. وفى هذه الحالة يمكن أن نقبلهم وأن يعيشوا معنا فى دولة واحدة. ومن أتى منهم بعد ١٩٤٨ يعود إلى بلده الأصلى. والبديل لهذا الحل هو الحرب. وقال ديجول: لو كنت عربياً لفعلت كما تقول

فلا حل غير ذلك عن طريق الأمم المتحدة. ولكن هل تعتقد أن العرب سيقاتلون، وهل لديهم إرادة القتال إذا وقعت الحرب؟ قلت العرب فى مؤتمرات القمة قالوا أنهم يريدون التحرير. وإذا رضى اليهود. بالحسن فأننا مع الآمم المتحدة فى كل شئ. وعاد ديجول يسأل بالحاح: هل العرب سيقاتلون؟ وأجبت: إذا وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا فإن الشعب سيقاتل الحكام. وضحك ديجول. ويبدو لى أنه كان الحكام أكثر منى.

- ماذا قلت فى القمة العربية عام ١٩٦٣؟

* قلت لهم: أنا لم أحضر هذه القمة للبحث فى تحويل روافد نهر الأردن لأن سوريا رفضت مشروع جونستون، ولكننى جئت لأطالبكم بوضع خطة للتحرير. وطلب عبد الناصر تمديد المؤتمر حتى الثالثة بعد منتصف الليل ربما لتمييع المناقشات. وأرتفعت صيحات بعضهم: لقد جعنا.

- وكيف أنتهى المؤتمر؟

* تدخل عبد السلام عارف وطرح خطوطاً عريضة للتحرير ووافق الجميع.

- وماذا حدث فى قمة الأسكندرية عام ٦٤؟

* وقف على عامر وقال أن التحرير يحتاج إلى ٧٠ سنة، وأجبته: بل يحتاج إلى أكثر من ثلاثة أيام...

شبلى العسيمى الأمين

العام المساعد لحزب البعث

حوار مع شبلى العيسمى:

كان يسمى العيسمى فى سوريا «حمار الخرب» ويبدو أنه مازال فى هذا الوضع لأنه حقاً متمرس بمواقفه المعروفه...

شبلى العيسمى مفكر سياسى وكاتب مهتم بالتاريخ وصدر له حتى الآن ١٢ كتاباً تعالج قضايا قومية وتاريخية. مغرق فى جمع الوثائق، وساهم فى اصدار الأجزاء الكبيرة من «نضال البعث». وهو منصرف بدأب لتدوين تاريخ حزب البعث. يخصص معظم وقته للقراءة والكتابة. وآخر ما كتبه هو «المرحلة الصعبة فى تاريخ سوريا وتاريخ حزب البعث بين ١٩٥٨ و١٩٦٨» وهو يحرص على عدم التدوين النهائى قبل مرور ٢٠ سنة على الحدث، حرصاً منه على الموضوعية. وهذا الحوار معه تم فى مبنى القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى. وهو يشغل مسؤولية الأمين العام المساعد للحزب منذ ١٩٦٤ وإلى اليوم.

– لنبدأ بالسؤال التقليدى: من هو شبلى العيسمى؟

* أننى من مواليد محافظة السويداء عام ١٩٢٥. تخرجت من الجامعة السورية. كان بودّى التخصص فى الحقوق لأنها أكثر انساجاماً مع نشاطاتى السياسية التى بدأت مبكرة. تسجلت فى كلية الحقوق وتابعت شهراً ولم أتمكن من الاستمرار لأسباب مادية. وكان معهد المعلمين العالى فى دمشق قد بدأ عمله حديثاً فى ذلك الحين فتحولت إليه لاكمال دراسات عليا على نفقه المعهد مقابل الالتزام بالتعليم مستقبلاً. تخصصت فى مادة الاجتماعيات، أى التاريخ والجغرافية، وأحمل شهادة الليسانس فى التاريخ ودبلوما فى التربية والتعليم تخرجت عام ١٩٥٠. مارست التدريس لعامين، وقبل التثبيت سرحت فى عهد حسنى الزعيم لأننى رفضت القسم بترك الحزب والعمل السياسى.

– متى أنتسبت إلى حزب البعث؟

* كنت اشترك فى الحلقات التى يعقدها الأستاذ ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار ١٩٤٢، وهو تاريخ إرتباطى بالحزب، والحزبيون القدماء بمن فيهم ميشال علفق وصلاح الدين البيطار وأنا أدوا القسم عام ١٩٤٥. أما المؤتمر التأسيسى لحزب بعث فكان فى عام ١٩٤٧. وحضر المؤتمر التأسيسى ٢٠٠ عضواً من أصل ٤٠٠ وجهت إليهم الدعوة ولهذا اعتبر انتهاء المؤتمر كبداية لمرحلة التأسيس الرسمى للحزب.

– من الملاحظ تاريخياً أن غالبية المائتي عضو الذين حضروا المؤتمر التأسيسي لحزب البعث كانوا من المعلمين، لأن فكر البعث بدأ أنتشاره في أوساط هذه الفئة تحديداً... أليس كذلك؟

* صحيح. وكان هذا الأنتشار بسبب طبيعة المبادئ ذاتها، وطبيعة الأشخاص الذين نشروها كفئة تنتمى إلى المثقفين. وفى الوطن العربى فأن طبقة المثقفين هى التى تحمل المبادئ وتبسطها ثم تنشرها فى أوساط العمال والفلاحين. وتنشأ بعد ذلك كوادر من العمال والفلاحين وتصبح هى نفسها قادرة على نشر المبادئ.

– عندما رفضت أداء القسم فى عهد حسنى الزعيم ماذا حدث؟

* تم تسريحى من التعليم. وحدث بذلك نوع من التفرغ مع أربعة أعضاء فقط بينهم واحد من دمشق وآخر من حمص والثالث من دير الزور. وكنا نتقاضى كمعلمين راتباً شهرياً قدرة ٤٠٠ ليرة سورية. وحصلنا بدلاً منه على مساعدة رمزية من الحزب وقدرها مائة ليرة. وتوجهنا إلى مناطقنا. وقمت بالتدريس فى المدارس الخاصة مثل اللعازارية فى القطاع ونلت ٨٠ ليرة بالأضافة إلى المائة ليرة، وسلكت الأمور بهذا الشكل.

عندما يسقط نظام الأسد تقوم وحدة سورية وعراقية وأردنيا،

وكنت أقيم فى السويداء وأمارس نشاطى فيها. وبعد فترة تقدمت بطلب ترخيص لفتح مدرسة فرفض. وقدم زميلى الأستاذ منصور الأطرش الطلب فقبل، وفتح مدرسة لسنتين، وكنت وكنت أتعاون معه، ونجح المشروع. وفى عهد أديب الشيشكلى أنتزعوا منا المدرسة وأعطوها لشخص موال لهم.

وشاركت فى أول تظاهرة ضد الشيشكلى فى السويداء وأطلقوا الرصاص بأتجاهنا ولم يقتل أحد وجرح البعض وبعدها أضررت إلى التوارى بعد أن حمّلونى المسؤولية ولاحقونى. أختبأت فى دمشق لمدة شهر ثم سافرت سراً إلى لبنان وكان فيها الأساتذة الثلاثة: ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحوارنى. ومكثت هناك شهرين ونصف الشهر، وتدربت مع بعض الأخوان على صنع المفرقعات والقنابل الصوتية التى لا تؤذى أحداً عند أنفجارها حتى ولو كان على بعد متر واحد منها. وبعد إنجاز مرحلة التدريب عدت عن طريق حمص متخفياً، وأمضيت ليلتى عند أحد الأصدقاء فى المدينة وهو نجاة الفحام الذى أصبح وزيراً فى ما بعد. ثم توجهت إلى دوماً وتسللت من هناك إلى دمشق. وأتخذنا مخبأ لنا بيتاً يستأجره ناصر الأطرش أخو منصور الأطراش وابن سلطان الأطرش ووضعنا مفرقعات قرب بيت أديب الشيشكلى على بعد ٢٠ - ٣٠ متراً. وبدأت صحف لبنان، ومنها «الكفاح». تنشر بالعنوان العريض الأحمر عن الاضطرابات والفوضى والقنابل فى دمشق. وقد تجنبا كل ما من شأنه الحاق الأذى بالناس، وكنا نستهدف أحداث التأثير النفسى والمعنوى فقط.

وكنا نشكل الخلايا من خمسة إلى سبعة اشخاص، ونذهب إلى مناطق الزحام، وسط سوق الحميدية مثلاً، ويتسلق احدنا على كتف الآخر ويهتف: «ليسقط الدكتاتور الشيشكلى»... ثم نختفى... ورب يوم بكيت منه فلما صرت فى غيره بكيت عليه. فى

ذلك الحين إذا قبض على واحد منا «يأكل الفلق» وينقضى الأمر، أما فى عهد حافظ الأسد؟!

الطربوش الملوث:

– نصل إلى المرحلة التى أنتهت بثورة ٨ آذار (مارس) بواسطة انقلاب عسكرى. فكيف لجأتم إلى الأسلوب الذى قاومتموه بشراسة قبل ذلك؟

* حزب البعث لم يقدّر فى البداية خطورة دور العسكر مع احتمالاته السلبية على الديمقراطية والحركة الشعبية. وخدع الحزب بأول انقلاب قام به حسنى الزعيم، وقد بارك الحزب حركته فى بادئ الأمر. وعندما رأى الحزب أن حسنى الزعيم تحول إلى الحكم الفردى والدكتاتورى، ووقع اتفاقية التابلاين واتفاقية النقد مع فرنسا، قرر الحزب الانتقال إلى المعارضة، وقدم مذكرة شديدة اللهجة إلى حسنى الزعيم فى ٢١ ايار (مايو) ١٩٤٩ . وعلى الأثر اعتقل العديدون من الحزب، واستخدم العنف ضدهم. وبعدها بأربعة شهور ونصف الشهر وقع انقلاب سامى الحناوى، واشترك الأستاذ ميشال عفلق لأول مرة فى الوزارة كوزير للمعارف. واشترك الأستاذ اكرم الحوارنى كوزير للزراعة، وصار الحكم قومياً ائتلافياً تقريباً. وبعدها بأربعة شهور ونصف الشهر أيضاً ذهب حكم الحناوى وجاء حكم الشيشكلى وكان حكماً عسكرياً مطلقاً.

وكانت بعض الأحزاب تساير مثل القوميين السوريين والشيوعيين والحزب الوطنى. ولكن فى مؤتمر، عندما وجدوا أن الأمور أخذت تنضج، بدأوا يتحركون. وذهبت مع أحد الأخوان وهو صالح أبو عسلة وقابلنا هاشم الاتاسى ورشدى الكيخيا وناظم القدسى وحومد. وقلنا لهم أننا نحمل تفويضاً من سلطان الأطراش وحزب البعث، وأننا مستعدون للقيام

بتظاهرات من الجامع الأموى وإلى السويداء، ولكننا نريد أن نعرف رأيكم أولاً.

وأنا الآن لا أريد الدخول فى التفاصيل، لوكن وقتها رفض حزب الشعب المشاركة. قابلنا شكرى العسيلى وقال لنا: أنا لو رأيت هاشم الاتاسى وميشال عفلق وأكرم الحوارنى وسلطان الأطرش وكل أهل دمشق فى المظاهرة فأننى لن أشارك. قلنا له: لماذا يا صبرى بك؟ أجاب: اعتبر أن الأمور لم تنضج بعد. وإذا نزلت قبل ان تنضج الأمور، وجاء شرطى «يدفشنى» ويسقط طربوشى على الأرض ويتوسخ، فأننى اعتبر ذلك اهانة. قلنا له: ولكن هذا نضال وطنى يا صبرى بك. قال: لا وهذا يحتاج إلى... وإلى... وكان صريحاً فى طرح فكرة طلب الدعم من العراق ونورى السعيد يومذاك.

أما هاشم الاتاسى فراح يشرح لنا مواقف السعودية والعراق. ولما حضر أبنه عدنان غير الموضوع. وعندما قابلنا رشدى الكيخيا، وكان ناظم القدسى وحومد موجودين عنده، سألناه عن تقديره لم يمكن أن يكون عليه موقف العراق. وعندها انتفض الكيخيا وقال: ليس لنا علاقة بالعراق ولا ندرى ماذا سيكون عليه موقفه...

- إذن هكذا انكشف موقف الأحزاب البرجوازية المترددة والمتمسكة بطرابيشها وبارتباطاتها الخارجية، مما يتعارض مع التوجهات الشعبية لحزب البعث...

* كان الخلاف نوعياً لأن حزب البعث بنى على أساس فكرى وعقائدى. وفى الأربعينيات والخمسينيات عندما كان عددنا قليلاً ويضم مجموعة من الطلاب والشباب، كانوا يتهكمون علينا ويقولون أننا مجموعة أولاً بلا تجربة ونريد تحرير الأمة. كان هناك استخفاف بنا لأننا ننادى بإيمان مطلق بالوحدة المترابطة مع الاشتراكية والديمقراطية والأخلاقية، والانقلابية التى تعنى الثورية والرسالة الخالدة، بمعنى أن هذه الرسالة ليست شأنا سياسياً عابراً أو طارئاً، بل لها بعد تاريخى

وحضارى ودوافع إيمانية، وليس الأمر مجرد الوصول إلى الحكم أو إلى مناصب نيابية أو وزارية.

بهذه النبرة أنتشرت الحزب فى أوساط الطبقات المثقفة من الطلاب والمعلمين بالدرجة الأولى ثم المحامين، أخذ فى التوسع. وبعد الصراع مع الشيشكلى وعملية الدمج عام ١٩٥٢ صار للحزب وجود وتأثير بين العسكريين، مما حمل الخوف إلى الحزب الوطنى وحزب الشعب. وطبعاً، كان هدف العسكريين هو الحكم وأن يتخذوا من البعث مظلة لهم. وحتى لا نظلمهم نقول أنهم ارادوا التحالف مع قوى وطنية وتقدمية وشابة فى مواجهة الفئات الحاكمة مثل حزب الشعب والحزب الوطنى الطبقة البرجوازية والاقطاعية. وأكبر دليل على ذلك أن الانقلابات العسكرية التى ادعت أنها ستعيد الحياة إلى الديمقراطية لم تفعل شيئاً من هذا، وحكموا فى ظل البعث، وفى داخل الحزب كان للعسكريين شهية الحكم.

– فى كتابك الأخير "تاريخ حزب البعث العربى الاشتراكى: المرحلة الصعبة ١٩٥٨ – ١٩٦٨" تحدثت على قرار حل الحزب وهو الشرط الذى وضعه عبد الناصر ثمناً للوحدة...

* حل الحزب يومذاك لا يؤخذ بمعزل عن ظرفه الذى يعطى بعض المبررات وليس كلها. وعبد الناصر كان يحكم كسخص متفرد. وفرع الحزب فى مصر كان قوياً وحذر من أن عبد الناصر لن يسمح بالديمقراطية وحرية الأحزاب. وفى المقابل فإن عبد الناصر وضع لأول مرة فى الدستور المصرى أن شعب مصر جزء من الأمة العربية وأن مصر هى جزء من الوطن العربى. وتبنى سياسة عدم الانحياز على مستوى رسمى، وقضى على النظام الملكى وحقق الاصلاح الزراعى وأمم القناة، وأخذ ينادى بشعارات البعث بالوحدة والحرية والإشتراكية.

– لكنه لم يؤمن بترابطها التسلسلي.

* نعم، غير ترتيبها. وهذه الأجواء كلها بعد فشل العدوان الثلاثي أوجدت شعبية عبد الناصر وحدث التقارب. وجاءت ضغوط حلف بغداد وضغوط تركيا والائتلاف القومي. وقد اشترط الحزب يومها شرطين: أن تتبنى سوريا الحياد وعدم الانحياز، وأن يتحقق الإتحاد مع مصر. إذن أين الخطأ؟ الخطأ هو أن قيادة الحزب وثقت بعبد الناصر أكثر مما يجب، وكان يفترض أن تدرك طبيعته ونفسيته، وأنه لن يتغير لمجرد الجلوس معه لاقناعه بضرورة الديمقراطية. وكانت طبيعة عبد الناصر العسكرية وترتبيته وأسلوبه فى الحكم بين ١٩٥٢ و١٩٥٨، كل ذلك كان يقدم دلائل واضحة. وفرع الحزب فى مصر، وفرع الحزب فى الأردن لم يوافقا على قرار الحل. وحدث تفرد وخطأ وأدين هذا لاخطأ وخصوصاً فى المؤتمر القومى الرابع عام ١٩٦٠. أدين بصراحة، وقيل يومها أن حل الحزب لا يعكس الإيمان به، وقيل أن الحل مؤقت ويقتصر على الجمهورية العربية المتحدة لا الوطن العربى كله. وقيل أن عبد الناصر تعهد بأن يكون الإتحاد القومى هو حزب البعث نفسه لكن بعد تغيير التسمية، وأن المبادئ واحدة... وحدث انخداع.

– ولكن ماذا كان وضعك الشخصي؟

* تناقشوا فى وضعى وكانوا بين أمرين: إما أن أسجن، وإما أن أنفى إلى القاهرة. والرجل الذى عدّل الموقف لمصلحتى هو الدكتور أمجد طرابلسى وكان بعثياً من جماعة أكرم الحورانى، وكان وزيراً للتربية فى عهد الوحدة، وعندما أستشاره قال أنه من الأفضل الا تتسبب بأزمة مع بداية الوحدة ورجح النفى إلى القاهرة.

الفصل الثامن

الوحدة والانفصال

الفصل الثامن

العناصر الانفصالية فى دولة الوحدة لم تكن سيئة

الوحدة والانفصال:

– معظم الدراسات الغربية التى صدرت عن الوحدة تضخم الخطر الشيوعى، وتتدعى ان شكرى القوتلى هرع إلى عبد الناصر خوفاً من الشيوعية...

* فى تقديرى أن السبب الرئيسى هو «مشروع الفراغ» الذى طرحه ايزنهاور عام ١٩٥٧. وحدثت ضغوط على سوريا بسبب وجود خالد بكداش فى البرلمان وتعاون الشيوعيين فى ائتلاف حكومى. والسياسة الأميركية تعتبر أن وجود شيوعى واحد فى حكومة ما يجعله أقوى من القوى الأخرى، لأن الشيوعيين منظمين وتدعمهم دولة كبرى، وأن الإتحاد السوفياتى يتغلغل بسرعة عبر هؤلاء الأشخاص القلائل. وفى اعتقادى أن الدعاية الأميركية المركزة فى هذا الاتجاه كان هدفها الضغط على سوريا للحد من توجهها نحو الإتحاد السوفياتى. ولا أظن أن الأميركيين فاتهم حقاً تقدير الحكم الحقيقى لقوة الشيوعيين فى سوريا. و الدليل على ذلك أن خالد بكداش هرب من سوريا بعد قيام الوحدة لأن الشعب السورى شعب وحدوى. وكذلك حزب الشعب كان يضم وحدويين والحزب الوطنى ايضاً. وصبرى العسلى كان فى الأصل فى عصبة العمل القومى. قد يكون حزب البعث أكثر حماساً وطليعية فى التخطيط للوحدة على حد تعبير محمود رياض، ولكن الشعب فى سوريا كان مع الوحدة. ولم يكن فى استطاعة الحزب التشبث بموقف متصلب تجاه شرط عبد الناصر بحل الحزب وعدم تدخل العسكر فى السياسة. وقد ارتحنا من عدم تدخل العسكريين إلى يومنا هذا.

– إذن لماذا وقعت اطراف فاعلة فى الحزب على وثيقة الانفصال؟

* الأستاذ اكرم الحوارنى يدافع حتى اليوم عن توقيعه على وثيقة الانفصال، ويقول أن السبب هو الأسلوب الدكتاتورى الذى مارسه عبد الناصر. والديمقراطية فى رأيه هى الأساس وبعودتها تعود الوحدة على أسس مدروسة.

هذه اخطاء تجربة الوحدة مع عبد الناصر:

– لماذا لم يفصل الحوارنى فوراً من الحزب؟

* فُصل... لكن الحزب كان محلولاً ولم يتمكن من إعادة تنظيم نفسه قبل عام ١٩٦٢ . والمعاملة التى لقيها من عبد الناصر رجل مثل صلاح الدين البيطار وكان أكثر من المندفعين والمتحمسين والمخلصين لعبد الناصر، لم تكن لائقه وقد أهمله عبد الناصر اهمالاً كبيراً فى القاهرة، وحتى أكرم الحوارنى سمعته مراراً يقول أن عبد الناصر وضعه كنائب لرئيس الجمهورية ووزير العدل، ولكن كانت تصدر القوانين ومنها ما يتعلق بسوريا دون علمه. وأنه لم يكن يمولنا إلا على فراش كان فى خدمته. وحتى هذا الفراش كان من المخابرات ويتجسس عليه! أى أن الذين وقعوا على قرار الانفصال كانوا مقهورين وتصرفوا بانفعال وعاطفية وبرغبة فى الثأر. وقد ندم البيطار فى ما بعد وحاول اصلاح الخطأ بأن يتحول إلى ناصرى تكفيراً عن خطيئته.

– فى حركة ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ لجأ حزب البعث إلى العسكر الذين التهموه فى النهاية، فكيف وقعتم فى الخطأ نفسه أكثر من مرة؟

* العسكريون فى سوريا كانوا يهتمون بالسياسة منذ الأربعينيات. وفى الخمسينيات وقعت الانقلابات العسكرية المتتابعة. وحزب البعث عندما اعاد تنظيم نفسه بعد

المؤتمر القومي الذى عقد فى حمص عام ١٩٦٢ قرر فقرتين اساسيتين حتى يتمكن من استقطاب الحزبيين مجددا، ومن يقبل بهما أهلاً وسهلاً، ومن يرفضهما يبقى خارج الحزب. وقبل هذا المؤتمر كانت قد عقدت عدة لقاءات تضم حزبيين من كل المناطق دون نتيجة. وحضرتك تلك اللقاءات أمثال محمد عمران وصلاح جديد وربما حافظ الأسد، وكانوا مسرّحين من الجيش.

القرار الأول الذى اتخذه مؤتمر حمص هو أن تتولى القيادة القومية فى العراق اختيار ثلاثة أو أربعة اشخاص من القطر السورى لتشكيل قيادة قطرية مؤقتة تتولى اعادة تنظيم الحزب. والقرار الثانى طرح شعار اعادة الوحدة مع مصر بأسلوب جديد وصيغة جديدة مستفيدين من اخطاء التجربة السابقة.

والذين انضموا إلى الحزب كان عددهم قليلاً ولا يساوى عشر عدد الحزبيين الحقيقى. ولكن اخذنا ننمو رويداً رويداً. وكان على صالح السعدى عضواً فى القيادة القطرية المؤقتة، وكذلك حمدى عبد المجيد وأنا وحمود الشوفى ووليد طالب. وفى عام ١٩٦٣ كان عددنا حوالى ٤٠٠ شخص. وخلال انقلاب ٨ آذار (مارس) قد يكون زاد عددنا قليلاً، ولكننا كنا ضعفاء. والتقينا مع العسكريين الذين كانوا فى القاهرة وقد اصبحوا مدنيين بعد تسريحهم من الجيش. وقالوا لنا أنهم كانوا بعثيين ومرتبطين بالحزب.

وفى الحقيقة لم نراع الدقة فى قبول العضوية، وتوفر نوع من الثقة بالعسكريين الحزبيين مثل بشير صادق وسليم حاطوم الذى كان تلميذاً خجولاً عندى، وانضباطياً طيعاً. وصلاح جديد ومحمد عمران وحافظ الأسد كانوا نشيطين. وقبل ٨ أذار كانوا يزورروننى فى بيتى فى حى الميدان مرة ومرتين فى الأسبوع. ولم تكن الرقابة عليهم شديدة. فصلاح جديد كان موظفاً فى شركة بحرية، ومحمد عمران كان مسرحاً وكذلك حافظ الأسد. وكانوا على وفاق مع القيادة فى التنظيم. وكنا نتشاور مع الأستاذ ميشال عفلق ومع الأستاذ

صلاح الدين البيطار، وقبلوا على هذا الأساس. وفى المؤتمر القومى الخامس أعلن أنه لم تعد لأكرم الحورانى وجماعته أية علاقة بحزب البعث، ولم نقل أنه فصل أو فصلوا.

- ما سبب هذا الإعلان؟ هل لأنه وقع وثيقة الانفصال؟

* لا... فبعد اعادة تنظيم الحزب فى المؤتمر القومى الخامس فى ايار (مايو) ١٩٦٢ قلنا أنه ينبغى حل قضية اكرم الحورانى ومجموعته، لأن الناس بدأت تتساءل.

حافظ الأسد:

- ضعف الحزب فى تلك الفترة هل كان هو سبب اللجوء إلى العسكريين؟

* كانت قناعتنا أن العسكريين حزبيون كغيرهم وجيدون، ولم نكن قد أختبرناهم بعد. وكانوا دمثين ومرنين ولا يفعلون شيئاً دون أستشارتنا. وظهرت أولى أمارات الخداع عندما رفضوا أعطاءنا أسماء كل العسكريين الذين يعتبرونهم بعثيين، بحجة الخوف من أنكشاف أمرهم إذا حدث خلاف فى القيادة. ولعل الثقة بالعسكريين كانت فى بعض جوانبها ناجمة عن الضعف الحزبى.

- ألهذا السبب استدعيتم أمين الحافظ من الأرجنتين؟

* سمعة أمين الحافظ طيبة، فهو صادق وجرئ ويحفظ كلمته وساهم فى أنقلاب الـ ٥٤ مع الحزب وكان فى محافظة حوران، مثلما ساهم وليد حمدون ومصطفى حمدون فى حلب. وكان أمين الحافظ معروفاً ايضاً لدى كبار العسكريين، وأتوا به على أساس أن ملحقاً عسكرياً يتولى وزارة الداخلية ليس بالأمر الكبير. ولم ألتق بالحافظ إلا فى القاهرة، ومعرفتى الوثيقة كانت بالدرجة الأولى مع بشير فاضل كضابط كبير.

– لماذا سرح حافظ الأسد من الجيش خلال الوحدة؟

* لأول مرة أسمع بقصة تسريح الأسد عندما ذهب حافظ الأسد إلى القاهرة كان ملازماً أول. وكنت أنا عام ١٩٦٠ فى مصر الجديدة. وحضر إلىّ سليم حتى (من حوران) وكان يدرس فى القاهرة وقال لى أن حافظ الأسد يريد أن يزورنى للتعارف. وفى تلك الحقبة لم تكن تظهر عليه أمارات الفهلوة والذكاء الشديد، وقد أكتسب القدرة على التكتكة والمناورة فى ما بعد. وقبل ٢٣ شباط (فبراير) ٦٦ بحوالى سبعة أشهر زارنى فى مكتبى فى منطقة السبتى، وكنت يومها أميناً عاماً مساعداً فى القيادة القومية. وروى لى قصصاً اشتممت من خلالها رائحة الغرور. ومرة فى عام ١٩٦٥ أخبرنى حافظ الأسد أنهم شكلوا فى القرداحة فريق كرة قدم. وأنه لم يوافق على الأشتراك به إلا إذا كان رئيساً للفريق «لأننى طموح وواثق من نفسى». وهذا أعطانى فكرة عن حبه للزعامة والبروز. وتأكد لى فى ما بعد أنه من النوع الميكيافيلى تماماً وليس عنده حلال أو حرام . وهو قد أشترط على صلاح جديد، فى مقابل أشتراكه بحركة ٢٣ شباط ٦٦ أن يتولى وزارة الدفاع وإلا يتدخل أحد فيها، لا صلاح جديد ولا غيره. وهذا ما فعله للسيطرة على الجيش.

– وماذا عن بروز الثلاثى عمران وجديد والأسد وسيطرتهم على بعض القطاعات يومذاك؟

* انطلق حزب البعث من رفض مطلق لأى نظرة طائفية أو عشائرية أو أقليمية. والأمور الطائفية لم تظهر إلا بعد تسلم السلطة.

- هل تعتقد أن عمران كان أكثر الثلاثة صفاء كما يظهر من خلال كتابه "تجربتي مع الثورة"؟

* عمران كان خطه الوحدوى واضحاً. هل كان ذلك تكتيكاً منه؟ صلاح جديد كان يتكتك مع القطريين (جماعة دير الزور واللاذقية)، وأبو عبدو (أمين الحافظ) كان يدارى جماعة الحوارنى. وفى تقديرى أن عمران كان مكلفاً بمسايرة الوحدويين الأشتراكيين لكسبهم، أى أنه حصل توزيع أدوار بين العسكريين.

- عندما أستلمتم الحكم عام ١٩٦٣ طلبتم من العسكر العودة إلى الثكنات فرفضوا. فما هي الخيارات التى كانت أمامكم كقيادة مدنية لحزب البعث؟

* كان هناك تباطؤ فى أتخاذ القرارات الحاسمة. وأضرب لك هذا المثل... فى نهاية عام ١٩٦٤ فتحت الأزمة بيننا وبين العسكريين، وأنكشف خلاف عمران مع اللجنة العسكرية، وكشف لنا أهدافها بالتسلط على الحزب والحكم والدولة. وأشتد الصراع، وأتخذنا قرارات تقييد العسكريين وقلنا لهم: من يريد أن يكون سياسياً عليه أن يترك الجيش نهائياً، فرفضوا وأصروا على البقاء فى مناصبهم القيادية فى الجيش مع أستمرارهم كسياسيين.

وفى تلك الفترة من عام ١٩٦٤ أجتمعنا فى بيت كمال حصنى. وحضر الأجتماع ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار عبد الله وعبد الدايم ومجموعة من القيادات التاريخية فى الحزب وأعددنا بياناً قلنا فيه أنه لا علاقة لهذا الحكم بالحزب. وقد شعروا بأننا على وشك أصدار هذا البيان فقاموا بعملية التأميمات. وكان الجو أشتراكياً تطغى عليه الغوغائية وشعارات الفلاحين والعمال والمكتسبات الأشتراكية. وقد أصدروا هذه التأميمات بسرعة وظهر أنها كانت مرتجلة بقصد أحراج القيادة القومية، وأظهارها أنها تخلت عن

الحكم لأنها ضد الأشتراكية. وأحرجنا فعلاً، وأجلنا أصدار البيان... ثم تسارعت الأحداث.

– هل كان صلاح جديد وحافظ الأسد هما اللذان يسيران العسكريين؟

* اللجنة العسكرية كانت مؤلفة من ١٥ – ١٦ عسكرياً، والمشكلة أننا لم نكن نعرف بالضبط من هم؟ وقلنا أن العسكريين أختاروا هذه اللجنة وهذا شأنهم. ولكننا لم نكن نتعاون مع جديد والأسد وعمران فقط. كنا نتعاون أيضاً مع مزيد هنيدى وبشير صادق وسليم حاطوم وغيرهم. واللجنة العسكرية أنتخبت جديد وعمران والأسد للقيادتين القطرية والقومية، ولم يكن فى أستطاعتنا أن نقول لهم لماذا تنتخبون علويين لأن مثل هذا الأمر لم يكن وارداً فى أذهاننا، ولم يكن يظهر أى شئ يوحى بشك من هذا القبيل.

مسرحية ماخوس:

– قال أمين الحافظ فى حديثه إلى "الوطن العربى" أنه حذركم من وجود حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦، ولكنكم ترددتم شهراً فى أتخاذ أى قرار.

* كان فى تقدير كل واحد منا أن أستخدام السلاح لن تكون عواقبه حميدة وستحدث مجزرة. وكانت المجموعة العسكرية مستعدة للتصدى لأمين الحافظ وغيره باسم الشرعية. ومبدأ أستخدام السلاح داخل الحزب لفض الخلافات الفكرية كنا نعتبره سابقة خطيرة ومؤلمة. ومثلاً، قبل أيام من حركة ٢٣ شباط كان إبراهيم ماخوس عضو قيادة قومية، وكنا متواجدين فى مكتب الأمين العام منيف الرزاز. وأقترح ماخوس إصدار تعميم على العسكريين يقول إن من يستخدم

السلاح فى فض الخلافات يكون. خائناً ومجرماً. وقلنا به: هذه فكرة جيدة. وعندما وجد أننا وافقنا تراجع وقال: لكن هذا سينبه العسكريين إلى وجود شئ ما... ولنجعل التعميم شفويا. وقال كلمات لا أنساها. قال: «لو أن أبى سلمنى الوحدة العربية من المحيط إلى الخليج بإنقلاب عسكرى فإننى أعتبر نفسى خائناً لو قبلت» . وبعد أربعة أيام أتضح أنه كان على رأس الأنقلاب ومن الذين خططوا له وأشتركوا فى تنفيذه!

– إبراهيم ماخوس يعيش الآن فى الجزائر ويدعو إلى البعث الديمقراطى...

* بعد شو؟!

– قادة حركة ٢٣ شباط وضعوكم فى السجن فيكف هربتم؟

* وضعونى مع صلاح الدين البيطار فى بيت قائد الجيش فى شارع حلب فى العباسية بحراسة ثمانية جنود، كل أثنين فى زاوية. وكانوا مطمئين، والطقس حار فى شهر آب (أغسطس) ، وكانوا يعرفون أننا ننام فى فترة بعد الظهر. وترك الحراس زاوية دون حراسة. وكنا نرتدى ملابسنا تحت البيجاما. وكان الحراس الآخرون منهمكون فى مراقبة بعض النسوة فى النوافذ المجاورة. وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم ٢٧ آب (أغسطس) عام ١٩٦٦ . وقفزت من النافذة وقفز خلفى صلاح الدين البيطار، ومع أنه كان مسناً فقد وجدته أنشط منى. وفى دقيقتين كنا خارج النافذة. تسلقنا جداراً لا يزيد علوه على المترين، وقفزنا إلى بيت الجيران وخلعنا البيجاما ووضع البيطار نظارة على عينيه. وأفترقنا كل واحد فى أتجاه. وعرفنى بعض المارة لكنهم تجاهلونى عمداً. وذهبت إلى مزيد الهنيدى وكان ضابطاً، وإلى شخص آخر، وأنتقلت إلى كفرسوسة فى عشرة أيام، لأنهم أقاموا

حواجز تفتيش على الطرقات. وبعدها هربنى أحد أقاربنا من الضابط فى سيارة عسكرية من قطنة. وتابعت متوجهاً إلى لبنان. ونمت ليلة فى جبل الشيخ وكان معى مسدس وفراء. وأستقبلنى بعض الأصدقاء فى لبنان.

– وبين ١٩٦٦و ١٩٧٠ أكتفت قيادة البعث بالاقامة فى بعض البلدان العربية....

* قبل وبعد ٢٣ شباط ١٩٦٦ أصيب الحزب بضربات كثيرة وتشتت، مثل أنشقاق الريماوى عام ١٩٥٩ ، ثم أنشقاق فؤاد الركابى، ورغم ذلك ظل الحزب محافظاً على شيء من التماسك. أما حركة ٢٣ شباط فكانت ضربة كبيرة وأثرت على الحزب، ليس فقط فى سوريا، بل وفى المغرب والجزيرة العربية، وحدث نوع من ردود الفعل السلبية فى نفسيات الأعضاء.

وكان نشاطنا مركزاً على كيفية أعادة تنظيم الحزب ومده بأسباب القوة، وكانت مرحلة صعبة. والذين قاموا بالحركة لم يستقطبوا الجميع. وكان هناك من بقى على الحياد، أو كان معنا ولا يدرى ماذا يفعل. وكنا نحن مطاردين، وأخذت السلطات اللبنانية تضايقنا، ولم يكن نشاطنا علنياً. وبدأوا بترحيل البعض مثل وليد طالب وأحمد رستم، بالأبعاد أجبارياً إلى أسطنبول. رغم ذلك تمكنا من عقد المؤتمر القومى التاسع بحضور ممثلين من العراق ولبنان وسوريا وأقطار عربية آخرى. وأتخذ المؤتمر قرارات أبرزها التركيز على الديمقراطية، وشجب الأنقلابات العسكرية والأغتيالات، والتأكيد على العمل الجبهوى، ورفض شعار الحزب القائد وشعار الحزب الواحد.

– لكن ضعف الحزب أدى بدوره إلى ضعف صلاح جديد أمام حافظ الأسد الأقل بعثية منه...

* يقول كثيرون ان لدى الأسد بقية من فكر بعثى.

- لنركز اذن على مرحلة حافظ الأسد.... أولاً، انهاء الحزب هل كان العامل الحاسم فى بقاء الأسد ١٨ سنة فى الحكم؟

وثانياً، كيف بدأت وتجذرت العملية الطائفية فى عهده؟

وثالثاً، هل استخدم الأجهزة للقمع أكثر ممن سبقة؟

ورابعاً، انحسار المد القومى وظهور الحركات السلفية هل ساهما فى تدعيم النظام واطالة عمره؟

الانحسار.... والمد،

* انحسار المد القومى الوحدوى وحصول مد دينى هما أمر ملحوظ. ولهذه الظاهرة أسباب عربية ودولية متعددة ومعقدة، وانحسار المد القومى الوحدوى يرجع بالدرجة الأولى إلى النكسات التى تعرضت لها تجارب الوحدة، ووقوع الانفصال عام ١٩٦١، ثم فشل ميثاق القاهرة الذين أعلن عام ١٩٦٣ بين العراق وسوريا ومصر. وكان القصد من الميثاق خطوة تصحيحية وتجربة جديدة، ولكن الخلافات والخلفيات كانت قوية وحادة وحافلة بالسلبيات بين البعث وعبد الناصر، مما حمله على فسخ الاتفاق. وعبد الناصر بأجهزته أساء كثيراً لحزب البعث وأضعفه. والحزب هاجم دكتاتورية عبد الناصر وفرديته وكشف مواطن الضعف فى تجاربه ومنطقة وفهمه للوحدة والعمل القومى. وفوق ذلك تعثرت التجارب الاشتراكية التى كان يطرحها عبد الناصر والبعث. وحدث بسبب ذلك نوع من الفراغ.

وفى أجواء الأزمات الاقتصادية والفشل السياسى وغياب الديمقراطية والهزائم والنكسات، نشأت حالة جعلت الناس يتعلقون بالمفاهيم الغيبية السائدة لدى القواعد الواسعة والعريضة. واستغلت هذه الحالة الحركات الدينية المنظمة مثل الأخوان المسلمين وحزب

الجهاد وحزب الله، واستثمرت عواطف الجماهير التى كادت أن تكفر بمن ينادى بالإتحاد والوحدة والقومية. وزاد الأمر سوءاً أن عشرات المشاريع الإتحادية بقيت حبراً على ورق. وبعض الوحدات كان يعيش يومين، وبعضها كان يتم بواسطة الهاتف... وإذا أضفنا إلى ذلك وضع الجامعة العربية منذ ١٩٤٥ وهى لا تستطيع حل مشكلة أساسية، يكتمل فهمنا لحالة اليأس التى سادت الناس من الوحدة ودعاتها.

الحكم الدينى لايعيش طويلاً فى أى قطر عربى:

- ولكن تجربة التيار الدينى كانت اسوأ، كما حدث فى إيران مثلاً.

* التجربة الخمينية بدأت تكشف أن حكم رجال الدين بهذا المنطق الغيبى والغبى والمتعصب والمتشنج، لا يمكن أن يكون عامل جذب واستقطاب للجماهير. وكنت أحياناً أقول: لنترك تجربة دينية تحكم حتى يدرك الناس الحقيقة. ونحن فى سوريا جربنا وتعثرنا. وتجربة عبد الناصر لم تحقق للأسف الآمال المعقودة عليها. وكذلك فشلت تجربة الشيوعيين فى عدن وكذلك فى العراق أيام عبد الكريم قاسم. إذن بقى التيار الدينى وحده لم يجرب فى الوطن العربى. وحكم الصادق المهدى فى السودان لا يمكن اعتباره حكماً دينياً وأن يكن يتميز بمسحة تدين محافظة، ولكنه حكم أقرب إلى الديمقراطية.

تجربة الخمينى هى التجربة الحقيقية لرجال الدين، وفيها كل الأمثلة السيئة من استبداد ورعونة وعنف غير مبرر وتخطى جوهر الإسلام. وهذه التجربة بمحصلتها النهائية كلما طال أمدها تكشف جوانب أساسية لم يكن بالامكان كشفها بالتوعية والكلام والمحاضرات. وفى تقديرى أنه لا يمكن أن يعيش حكم دينى وقتاً طويلاً فى أى قطر عربى، والمستقبل ليس له.

– هذا ينقلنا إلى قضية "التحالف الوطنى لتحرير سوريا" الذى أعلن فى آذار (مارس) ١٩٨٢. لماذا لم تفكروا بإقامة هذه الجبهة إلا بعد مجزرة حماه؟

* من الصعب الحديث عن أسباب التأخر فى الإعلان عن «التحالف»، ولم اكن من الأشخاص الذين أجروا اتصالات فى وقت مبكر مع الأخوان. أتيت متأخراً إلى التحالف، وطلب منى حزب البعث أن أكون عضواً فى التحالف، ووافقت كرجل انضباطى. وهناك ضرورة لوضع ميثاق يحدد المبادئ الأساسية سياسياً وفكرياً فى ما يتعلق بالعمل الجمهورى المشترك.

تفوض النظام مع الأخوان المسلمين لاضعافهم وتمزيق المعارضة:

ومن جملة القضايا التى حضرت جانباً منها الهيئة التأسيسية وأبديت رأيى فيها قضية «دين الدولة الإسلام». وكان الأخوان المسلمون مندفعون لهذا الصيغة ولصيغة أن الشريعة هى المصدر للتشريع. وبعد جدال ونقاش اعتمدت الصيغة الموجودة فى الدستور العراقى الموقت وهى أن الشريعة الإسلامية من المصادر الأساسية للتشريع ولكنها ليست المصدر الوحيد. وكان هناك توجس وربما خيفة وعدم رغبة حيال كلمة الديمقراطية والاكتفاء بكلمة الشورى. والأساس هو المضمون، أى دولة دستورية وفصل السلطات والحريات العامة وتعددية الأحزاب. وفعلاً نص الاتفاق على مضمون الديمقراطية دون استخدام كلمة ديمقراطية أو كلمة اشتراكية، وفى المقابل فقد تبنوا موضوع الوحدة تبنياً صريحاً.

– هل عارض الأخوان فى استخدام كلمة الديمقراطية فى ميثاق التحالف لأنها تعنى حكم الشعب بينما هم يؤمنون بحكم الله؟

* فى تقديرى أن الأخوان المسلمين ينقسمون فى هذا الموضوع إلى أكثر من فئة.

بعض غلاتهم المتأثرين بسيد قطب والمودودى عندهم هذه النظرة، وكذلك حزب الجهاد. ولكن هناك فئات أخرى تؤمن بغير ذلك. وحتى الخمينية لم تتمكن من تجاهل العمليات الانتخابية والأحزاب لا يعترف بها الأخوان وكانت موضع نفور. وإذا استثنينا حزب الجهاد وحزب التكفير فإن جناح الأخوان المسلمين فى مصر له نواب، ويتحدثون مثل التلمساني والهضيبى عن الديمقراطية والاشتراكية الإسلامية. وهم يفسرون مضمون الشورى فى هذا العصر بأنه يعنى الديمقراطية.

– فى سوريا فصيلان للأخوان المسلمين يمثل أحدهما عدنان سعد الدين، ويمثل الثانى عبد الفتاح أبو غده أيهما أقرب إلى المفهوم الذى تتحدث عنه؟

* عدنان سعد الدين اختبرناه كشخص من خلال وجوده معنا فى الأمانة العامة للتحالف. ولا شك فى أنه رجل منفتح ومرن سياسياً وفكرياً أكثر من الجناح الآخر فى بعض القضايا الإسلامية.

– إلا ترى أن حركة الأخوان المسلمين فى سوريا تحاول اليوم ركوب التيار فى نوع من المهادنة؟

* لقد قبل الطرفان بالميثاق وهو ينص صراحة على اقامة حكم دستورى وتعددية احزاب وفصل سلطات وحريات عامة. ولا يستطيع أحد الدخول فى النيات. ونحن لنا ما يوقعون عليه والأمور العملية. أما القول أنهم يحاولون ركوب الموجة القومية، فالواقع أن الموجة الدينية أكبر. وربما الأصح أن كل الأطراف شعرت بضعفها وعدم قدرتها على تغيير النظام منفردة، وآثروا الالتقاء لتغيير النظام الذى بطش بهم جميعاً.

– بعد أحداث حماه فإن "الأخوان" تعرضوا إلى اللوم أكثر من النظام لأنه لعبوا لعبة النظام الطائفية...

* لا شك فى أن قضية حماه أضعفت الأخوان كثيراً. وجماعة عدنان عقلة زادت فى انقسامهم. وهذا أضعف التحالف أيضاً الذى كان يحذر من المواقف والتصرفات الطائفية، وينذر من الاغتيالات الطائفية. وحافظ الأسد استغل الطائفة العلوية كما استغل غيرها فى الحزب والجيش والسلطة.

التفاوض ... التكتكة:

– إذن لماذا جُررتم كلكم من بعثيين وناصريين واشتراكيين ومستقلين إلى قبول مبدأ الكفاح المسلح على طريقة الأخوان المسلمين؟

* فى الأصل، مبدآ الكفاح المسلح للتحرير هو بمعنى تهيئة الجو لتمرد شعبى مسلح ضد النظام وليس بطريقة الانقلابات العسكرية المعتادة. وفى الحقيقة لم تعد لى صلة تنفيذية أو تنظيمية فى مثل هذه الأمور لأن للعمر استحقاقاته. ونشاطنا فكرى وإعلامى وسياسى. وليست لدى تفاصيل عن النشاطات العسكرية للأخوان أو غيرهم. وعندما نشاهد عمليات مثل الأزبكية والباصات نستنكرها فيسارعون إلى القول أنهم لم يفعلوها، وجماعة أبو غدة دانت عمليات الأزبكية والباصات. وهكذا هى القضية: فعندما تظهر نتائج سلبية لبعض العمليات فإنهم لا يتبنوها ويقولون أنها عمليات خلايا فى الداخل. لماذا لا تسأل عدنان سعد الدين أنه رجل صريح...

– سألناه وشرحها... ولكن الأخوان المسلمين لم يتقيدوا بتوجهات

التحالف، فهم فاوضوا مثلاً على دوبا...

* النظام الداخلي للتحالف لا يقيد نشاطات الفئات المنتسبة إليه. وهناك اجتهاد لدى الأخوان أن التفاوض مع النظام هو من النشاطات السياسية. وقبل الانشقاق كان لهم مجلس شورى لم يحرم التفاوض مع العدو من حيث المبدأ. ويستشهدون في التاريخ الإسلامي بحلف الفضول وصلح الحديبية، والتفاوض شئ والاستسلام شئ آخر. وكانت هناك معاناة شديدة ورهيبة في الداخل، وكان من شأن هذه المفاوضات التخفيف من معاناتهم. وكانت هذه هي مبررات الأخوان قبل انقسامهم حول التفاوض. جربوا في محاولة أولى وتكررت التجربة بعد الانشقاق مع جماعة أبو غدة. وكنا نبهناهم بعد المحاولة الأولى أن النظام سيستغل المفاوضات، وأنه لا يجوز أن يكرروا الخطأ. ولكن في ضوء التجربة والنتائج اصبح من غير الممكن بعد الآن لأي طرف أن يتفاوض دون موافقة التحالف ككل. وعندما يشعر حافظ الأسد بأنه مستعد للتراجع أو يقبل بخطوة انتقالية عندها يمكن التفاوض كما حدث في فيتنام: السلاح بيد في الداخل، والتفاوض بيد في باريس.

– قال عدنان سعد الدين في مقابلته مع "الوطن العربي" إنك شخصياً وأمين حافظ وافقتما عام ١٩٨٤ على المضي في التفاوض وسلمتما لائحة بالمطالب من النظام...

* لم أسلم لائحة ولم تكن لدي لائحة أصلاً. ولكننا نتعامل في «التحالف» بأسلوب مرن ولبق دون تأنيب أو لوم شديد. ونبهناهم وقلنا لهم أن حافظ الأسد سيستغل الموقف وهو في مركز القوة، وهو قادر على الاستفادة من العملية وأن الأخوان سيخسرون. وكانت النتيجة كما قلنا لهم. ومن يومها اتفقنا على أن من يفاوض

يعتبر خارج التحالف.

– لماذا تفاوض النظام مع الأخوان؟ هل لأنه اصيب بالوهن ويحاول جلب هذه العناصر لتقوية النظام؟ أم أنه قوى وأرسل مخابراته ليجلب هؤلاء الضعفاء ويكون مثالاً لغيرهم؟

* جماعة النظام يجيدون التكتكة. وعندما يتمكنون من اصابة خصومهم بالشلل فإنهم لا يترددون. قادة الأخوان ليس لديهم الدهاء والخبرة السياسية. وقد يكون الاحتمالان واردين. وقد يكون النظام شعر بأن الوقت ملائم بعد قضية حماه وانشقاق الأخوان وظهور جماعة عدنان عقلة. والنظام أوفد رسلاً إلى جماعات من التحالف وقالوا: «تفضلوا نتفاهم».

– هل تلقيت شخصياً عرضاً من هذا النوع؟

* لا، ليس شخصيا، ولكن وصلت عروض إلى أشخاص مقيمين فى القاهرة وبغداد ورفضوا. ويبدوا أن مبادرة النظام بالتفاوض مع الأخوان كان بهدف اضعافهم، وكل لقاء حدث كانت تبث حوله الشائعات لأحداث البلبلة فى صفوف الأخوان والمعارضة، ويزداد الأذى خصوصاً فى الداخل. ورغم تفاوض الأخوان مع على دوبا فإن تعاونهم تعاونهم مع النظام غير وارد فى اعتقادى. وهم يتفاضون من منطق الضرورات القصوى لتخفيف الأعباء عن جماعتهم.

– ولكن إيران هى التى توسطت لأعادة عدنان عقلة إلى سوريا...

* لأول مرة أسمع بذلك. والأخوان المسلمون فى سوريا كانت لهم صلات مع الخمينى عندما كان معارضاً، وفى السنة الأولى بعد وصوله إلى السلطة، ثم اختلفوا بعد الحرب.

– تحدثت فى التحالف عن الأخوان دون سواهم... فماذا عن الفئات الأخرى؟

* الناصريون عددياً كثيرون ولكن قياداتهم متعددة كمجموعة جمال الاتاسى مثلاً. وهم غير قادرين على التحرك والاستقطاب والتوسع، مثل جماعة صلاح جديد والحزب الشيوعى. ونظراً لطبيعة الحكم الأرهابى فى الداخل لا توجد قوة أو حركة بارزة بين الجماهير. وحتى البيانات يتم تداولها على نطاق محدود.

الحورانى يعتقد أن صيغة المعارضة لن تحقق نتائج:

– لماذا خرج أكرم الحورانى من التحالف؟

* اسأله...

– سنحاول، ولكن إلا تعرف لماذا خرج؟

* عندما تسأل اكرم الحورانى يقول لك أن الأسباب صحية. وفى اعتقادى أنه بعد التحليل وصل إلى اقتناع بأن مثل هذه الصيغ لا تحقق نتائج. وهو عادة يريد أن تتم الأمور بسرعة.

– الم يطرح بدائل؟

* لم يحدد البديل بالضبط. ومع تقديرى للأستاذ اكرم الحورانى، فإنه يقيم وزناً كبيراً للظروف العربية والدولية وفى تحليله أن النظام مدعوم عربياً وشرقاً وغرباً.

– وجود مصطفى حمدون فى الأمانة العامة للتحالف إلا يعتبر أنه يمثل الحورانى؟

* لا أظن، مصطفى حمدون ليس تابعاً للحورانى، وهناك طبعاً صلات ود واحترام

لا صلات بالمعنى التنظيمى أو الحزبى.

– مصطفى حمدون عسكرى، فلماذا تعيدون تجربة ادخال العسكريين إلى الأمانة العامة للتحالف؟

* أنه مدنى الآن...

– ألم تشترك فى انقلاب عسكرى؟

* معليش... وأنا سمعت منه نقداً شديداً للانقلابات العسكرية والتدخل العسكرى.

– لماذا لم توجهوا الدعوة إذن إلى عبد الحميد السراج للاشتراك فى التحالف؟

* عرضوا عليه ذلك، لكن ظروفه ولا أوضاعه الصحية تسمح بالقيام بأى نشاط.

– لماذا لم يدخل الحزب الشيوعى (المكتب السياسى) فى التحالف؟

* هناك مساع لإدخالهم.

الحوارنى والآخرون:

– مضت ست سنوات ولم تنجحوا فى ادخالهم بعد...

* العقبة ليست منا، وهم لهم ظروفهم. ونحن نتحاور مع الحزب الشيوعى (المكتب السياسى)، ونلتقى مع أحمد محفل عندما نذهب إلى باريس ونتشاور ونتبادل الرأى وهو معارض، ونلتقى معاً فى أمور كثيرة.

– وماذا عن جماعة "البعث الديمقراطى" فى الجزائر أى جماعة إبراهيم ماخوس؟

* أعتقد أنه لم يعد لهم وجود أو تأثير شعبى، ولا أدرى ما إذا كانت لهم اتصالات مع بعض الضباط العلويين، ولكنهم تعرضوا لانشقاقات كثيرة.

– أنهم يحاولون اقامة جبهة معارضة...

* نحن نشكرهم على هذه الجهود...

– هل جرى حوار بينكم وبينهم؟

* حدث لقاء معهم ومع إبراهيم ماخوس منذ عدة سنوات من أخوان كانوا يترددون على الجزائر. ويتبين من خلال تصوراتهم الجديدة أنهم جنحوا أكثر نحو الماركسية سياسياً وفكرياً. أما تنظيمياً فينتابهم الضعف أو تخلت قيادتهم عنهم. وحبيب حداد اختلف مع ماخوس، وهناك حمود القبانى وغيره...

– هل طلبتم منهم الانضمام إلي التحالف، أم أنهم طلبوا ورفضتم؟

* حدث حوار، وتبين وجود خلاف فى نقاط كثيرة وكانوا متشنجين ضد العراق وضد «الأخوان» وكانوا سلبيين عموماً. ونحن نحملهم مسؤولية أمور كثيرة. والآثار القديمة لا تساعد على اللقاء.

– شعارات حزب البعث هي: الوحدة والحرية والاشتراكية. لا الوحدة تحققت، والحررية داس عليها العسكر، والاشتراكية تمركست وفشلت. ما تعليقك كأمين عام مساعد لحزب البعث؟

* تعثر تطبيق المبادئ لا يعنى أن المبادئ غير صحيحة. وإذا انتكست الوحدة أعوام

٦١ و٦٣ و٦٨ وغيرها فهى لم تكن كلها من صنع البعث. ويحدث أحياناً أن يتغير الأشخاص عندما يصلون إلى السلطة، والحكم له مغرياته وتتراجع حينذاك الاعتبارات العقائدية. وكما قال عبد الناصر مرة: عندما ننادى بالوحدة ونتفق لا نتعرض لأخطار ثورة الاستعمار والصهيونية. ولكن عندما نحقق ولو خطوة عملية واحدة تتجه إلينا كل السهام بقوة وعنف... وما قاله عبد الناصر صحيح لأن الوحدة العربية هي الخطر الحقيقى فى نظر إسرائيل وأميركا.

زعماء إسرائيل يقولون أنهم لا يحاربون إلا عند أحياء الجبهة الشرقية، أو عند اسقاط نظام صديق لهم، أو عند اقامة خطوة وحدوية. والمصيبة أن معظم الفائات الحاكمة فى الوطن العربى هى من أصول عسكرية.

أن الديمقراطية والوحدة هما من القضايا الخطيرة فى نظر إسرائيل والاستعمار والحكام المستمتعين بالبقاء فى إطار قطرى والشرعية القطرية. والحالة القطرية صار لها تقاليدها وقوانينها واشخاصها وطبقتها وحكامها. وطبعاً لا يخطر فى بالهم أن أى دولة قطرية لن يكون فى وسعها العيش وحدها حتى فى مدى عام قريب هو العام ٢٠٠٠ ، ولن يكون فى مقدورها ضمان أمنها وغذائها وكيانها السياسى أو الثقافى أو...

الحاكم القطرى يفكر فقط فى كيفية بقائه فى السلطة لعشر سنوات أو لعشرين سنة. وحتى المشاريع الإتحادية التى يفكرون بها تكون تضامنية لحماية أنظمتهم وبقائهم فى السلطة. وتنازلاتهم فى خطوات وحدوية تكون شكلية فقط وهم غير مستعدين لاقامة دولة واحدة ذات شخصية دولية واحدة، وأن تتحول بقية الاقطار إلى ولايات... مع أنه فى الصيغة اللامركزية أو الإتحاد الفدرالى يبقى الحاكم فى قطره كنائب للرئيس، ولكنهم يريدون أن يكونوا كل شئ فى السلطة.

أما الاشتراكية كما طرحها حزب البعث فمن الصعب أن تتحق وتعطى ثمارها التى

تجذب الجماهير، ما لم تتم فى إطار قومى. الاشتراكية فى كل قطر وحده غير ممكنة. الاشتراكية فى معناها التخطيط والعدالة وتكافؤ الفرص، ولكن الاشتراكية فى التجارب القطرية إلى اشتراكية– راسمالية الدولة، أى رأسمالية الحكام. وجاء العسكر فأفسدوا القضية. عام ١٩٦٤ أممنا فى سوريا ٩٨ شركة وكان أمين الحافظ رئيساً للجمهورية. ولا يزال أبو عبدو يدافع عن ذلك القرار ويقول أنه لم يكن ارتجالياً. وأنا أقول أنه كان أكثر من ارتجالى إذا تبين أن هناك ٢٨ شركة من التى أممت لم يكن لها وجود، ومسجلة فقط فى دليل الهاتف.

عندما كنت وزيراً للاصلاح الزراعى ذهبت فى زيارة إلى الجزائر. وكان الأستاذ ميشال عفلق وصلاح جديد ومحمد عمران قد اتفقوا على تعيين أحمد أبو صلاح وكلاً لوزارة الزراعة وكان ميالاً للعسكر، وأمروه بأن يصدر قرار الاصلاح الزراعى فى غيابنا الذى اعددته أنا بصفتى وزيراً للزراعة.

– إذن فشل التطبيق الاشتراكى فى سوريا؟

* ليس تماماً. بل تعثر، رغم أن التطبيق الاشتراكى بمفهومه المثالى فشل حتى فى الإتحاد السوفياتى، خصوصاً فى ما يتعلق بالصناعات. عدم التركيز على الحواجز الفردية كان خطأ كبيراً. البيطار انتبه إلى ذلك، فكانوا يضايقونه ويتهمونه باليمينية والرجعية. وكانت المزايدات هى السائدة للاحراج.

النظرية والتطبيق:

– هل هناك اعادة نظر جذرية فى مفاهيم البعث بعد أن اتضح أن التطبيق فى الماضى كان لمصلحة الطبقة الحاكمة؟

* لا، لا هي اعادة نظر جذرية ولا هي لمصلحة الطبقة الحاكمة. عند التطبيق تظهر عقبات كثيرة فنية ومالية وإنسانية بالدرجة الأولى. وليس كل من تحمس للشعارات الاشتراكية قادرة على تطبيقها. المصانع تحتاج إلى الأفراد وإلى الخبرة أيضاً مع وعي عقلاني لمفهوم الاشتركية. مثلاً: عين العسكر محافظاً لحمص هو هلال رسلان، وأول عمل قام به هو تأميم... الأفران! وخطط لتأميم الفنادق والمطاعم والدكاكين. وكان وراء ذلك مفهوم يساري طفولي وعدم نضج وتكتل ومزايدة بقصد التنافس على مراكز الدولة. لذلك اختلط الحابل بالنابل وسادت الفوضى. ولم تكن في الحزب الكوادر الكافية لاملاء المراكز الشاغرة في المصانع والتعاونيات. ودخل الحزب في دوامات المظاهرات والخصومات مع الناصريين والقوى الرجعية والأخوان المسلمين وقضية حماه وقصة الشام... وكانت العناصر القيادية قليلة، واضطررت إلى استلام ثلاث وزارات هي الاصلاح الزراعي والتربية والتعليم والثقافة في وقت لم يكن يتجرأ أحد على استلام وزارة. وكنت في عضوية قيادة قطرية بعد فترة عضوية في القيادة القومية. ولم يكن في استطاعتي القيام بكل هذه الأعباء على الوجه الأكمل.

— نقرأ في أدبيات المعارضة اليوم أنه لا يوجد حزب بعث في سوريا حالياً. كيف تفسر ذلك؟

* البعث هو الوحدة والحرية والاشتراكية. وهو الحد الأدنى من الاخلاق والمصداقية. والنظام السوري دعوته إلى الوحدة لفظية وفي التطبيق يفعل العكس. وكل خطوة وحدوية قابلة للتحقيق يحبطها ويفشلها. والتضامن العربي الضروري لأية خطوات إتحادية يفشله أيضاً. وأي معنى لموقف نظام «وحدوي» مزعوم أن يدعم دولة أجنبية مثل إيران معتدية على دولة عربية مثل العراق، وهو البلد الذي كانت له مواقف

وطنية وقومية واضحة واشتراك فى القتال إلى جانب سوريا عام ١٩٧٣ ، وقبله. هذا الموقف السورى غير مبرر لا قومياً ولا وحدويا، وهو مناقض لأبسط مبادئ الحزب.

وحزب البعث مع القضية الفلسطينية، وكلنا يعرف موقف النظام السورى من منظمة التحرير ومحاولات شقها متذرعاً بخصومته لأبو عمار. وياسر عرفات مرن ولكنه اصطدم برغبة النظام السورى فى وضع الفلسطينيين تحت ابطه، ويساوم عليهم.

أما الحرية فليس لأحد أن يدعى بوجودها فى ظل النظام السورى. ومجلس الشعب السورى اشبه بالمجلس أيام الأتراك ومهمته أن يقول «نعم افندم». وليس له أو للوزارة أو للجبهة الوطنية إلا الموافقة فى إطار الشكليات. فضلاً عن أنه نظام غير رحيم قصف شبعه براجمات الصواريخ فى حماه وسقط أكثر من ثلاثين الف ضحية. وعندما يدعى أنه يحارب الفساد ويظهر أن اركان النظام هم اركان الفساد، يلفلف القضية.

– لماذا يصر النظام السورى على القول أن زكى الأرسوزى هو مؤسسى حزب البعث؟

* ذلك حتى يقال أن للعلويين أيضاً دور فى تأسيس الحزب وهذا استغلال طائفى بشع. وزكى الأرسوزى رجل وطنى وقاد الحركة الوطنية لمنع سلخ لواء الاسكندرون، ولكن ليس له أى دور فى بناء حزب البعث وتأسيسه اطلاقا. كان موجوداً فى دمشق، وكل الذين انتسبوا إلى الحزب فى محافظة اللاذقية من المتأثرين بالأرسوزى، فعلوا ذلك أفرادياً مثل صدقى إسماعيل وفايز إسماعيل. ثم أن الارسوزى لم يكن يدعو إلى الاشتراكية ولا يربط بين الحرية والوحدة والاشتراكية. وإذا كان أحد طلاب الأرسوزى قد أنشأ جريدة حائط اسماها البعث، فليس معنى ذلك أنها تعنى الحزب، وكلمة البعث موجودة فى اللغة وفى القرآن الكريم. ولساطع الحصرى فضل كبير على الأرسوزى وسمعت من الأستاذ

عفلق أن الارسوزى كان يرى أن الوحدة العربية لا تتحقق إلا بدعم دولة أجنبية كبرى.

وكان حزب البعث يدعم ثورة رشيد عالى الكيلانى عام ١٩٤١ ويدعم حركة نصرة العراق، بينما كان الارسوزى يعتبرها حركة انكليزية مشبوهة. والاوسوزى يعتبر أن الجاهلية هى العصر الذهبى للعرب، بينما يعتبر البعث أن الإسلام هو الذى وحد العرب والإسلام.

– هل الأرسوزى عنصرى؟

* قد تكون عنده مفاهيم عنصرية، وجاء فى كتبه أن مفهومه للقومية العربية يقوم على أساس العرق.

ليس مستحيلاً أن يختلف العلويون عمران اغتيل وجديد فى السجن ورفعت فى المنفى

– كيف تتصورون سيناريو سقوط النظام السورى ما دمتم تستبعدون فكرة الانقلاب العسكرى والعمل المسلح؟

* هذا النظام أنكشف بالنسبة للشعارات التى يعلنها. واستمراره فى سياسة البطش بكل القوى يكسبه عداء تلك القوى. وهناك الأزمة الاقتصادية المتفاقمة، وحالة التأكل من الداخل. وهناك المنافسات داخل النظام والخلافات بين أقطابه كما حدث مع رفعت الأسد الذى اضطر إلى مغادرة سوريا وهو نائب للرئيس وشقيق له، مما يعنى أن الأزمة حقيقة.

وهناك من يقول أنه من المستحيل أن يختلف العلويون وهذا غير صحيح. والدليل أن

عمران اغتيل وصلاح جديد وجماعته فى السجن منذ ١٨ سنة، ورفعت الأسد فى المنفى. وهذا الوضع لا يحتاج إلى ثورة مسلحة عارمة، بل يحتاج إلى أن تظهر المعارضة نفسها مترابطة ومتفاهمة وتنشط اعلامياً وسياسياً. وعند الضرورة تقوم بتحركات شعبية عندما تسمح الظروف بذلك، وهذا ممكن وليس مستحيلاً. من كان يعتقد مثلاً بإمكانية حدوث الانتفاضة الفلسطينية الشعبية؟ ومن كان يظن أنه يمكن الاطاحة بنميرى فى السودان بحركة شعبية؟ أو بالسادات؟

هناك بوارق أمل. وعندما يتحسن الوضع العربى يتحسن وضع المعارضة. وإذا نجحت بتغيير النظام السورى فإن الكثير من القضايا القومية والوحدوية سيتغير. وأى حكم وطنى وحدوى بين سوريا والعراق والأردن، وهذا يقطع يظهر إسرائيل.

بعد عودة رفعت الأسد إلى دمشق ستنفجر أوضاع كثيرة:

- لكن ما هى نقطة الفصل فى سقوط النظام؟

* البعض ينظر إليه الأوضاع الصحية المتدهورة لحافظ الأسد. وهناك من يراقب عودة رفعت الأسد إلى سوريا، لأن ذلك يعنى توافر قوة ضاغطة تمكنه من العودة وتحميه وعندها قد تنفجر أمور كثيرة.

- هل اتصل التحالف برفعت الأسد؟

* لا، لم يتصل به...

الفصل التاسع

تغيير النظام السورى

الفصل التاسع

محمد الجراح الأمين العام للإتحاد الاشتراكي الناصريون

تغيير النظام السوري ممكن بانتفاضات شعبية متتابعة:

الجراح كان يعرف بأنه نابليون دمشق.... وكان كل يوم في عزة عسكريته يصطف له الجند لتحيه وعندما انهار حكمه ضرب قفاه بالكندره... أو البطار...

– من هو محمد الجراح؟

* سؤالك عام وغامض....

– أعني: من أنت، متى ولدت، كيف كانت نشأتك، وما هو مستواك الثقافي.. نظرة سريعة عن حياتك.

* محمد الجراح مولود في التل في دمشق عام ١٩١٨. أصلي فلاح وأكملت الدراسة الثانوية في دمشق. دخلت مدرسة دار المعلمين، وبعدها مدرسة ضباط الدرك. ودرست الحقوق في جامعة دمشق. وعملت في سلك الدرك قائد فيصل. دخلت السلك عام ١٩٤٤ وبقيت فيه إلى ١٩٥٤. ونقلت إلى ملاك الجيش لأن الشيشكلي جعل الدرك تابعاً للجيش. وكنت النائب العام العسكري بين ١٩٥٤ و١٩٥٨. وفي أثناء الوحدة أعدت إلى ملاك وزارة الداخلية واستلمت قيادة قوى الأمن في سوريا وكانت تتألف من رجال شرطة للمدن ورجال درك للأرياف، وبقيت في هذا المنصب حتى وقع الانفصال. وانخرطت في العمل السياسي مع فريق الوحدويين الذي اطلق عليه «الجبهة العربية المتحدة» كتنظيم

لأنها لم تكن حزباً فى الأصل. وكان هدف هذا التجمع العمل على اعادة الوحدة. وعندما سقطت حكومة الانفصال الأولى فى ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ نشب خلاف مع الحزب الحاكم فى سوريا، وقامت حركة ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٣ التى قادها الأستاذ جاسم علوان، فتم اعتقالى وبقيت فى السجن، وخرجت فى أواخر حزيران (يونيو) ١٩٦٤.

- وجاسم علوان؟

* التقينا فى السجن، وصدر أمر بالحكم علينا بالاعدام غيابياً، وتم رصد جائزة قدرها عشرة آلاف ليرة سورية لمن يأتى بأى واحد منا حياً أو ميتاً. وقد أخرجوا المسجونين على دفعات وخرجنا معهم، وأبعد جاسم علوان إلى خارج الحدود مباشرة.

فى ١٩٦٤ أعلن عن قيام الإتحاد الاشتراكى العربى فى مؤتمره التأسيسى فى بيروت، وتولى رئاسة المكتب السياسى الأستاذ نهاد القاسم رحمه الله. وانضم إليه افرقاء من القوميين العرب والجبهة العربية المتحدة والوحدويين والاشتراكيين وعناصر منفصلة عن البعث بينهم لؤى الأتاسى.

- بعد الإفراج عنك ماذا فعلت؟

* بقيت فى سوريا. وعندما أعلن عن قيام الإتحاد الاشتراكى انتسبت إليه مع جمال الأتاسى. وأقمنا الإتحاد الاشتراكى داخل سوريا وانتخبنا قيادة موقتة. وبعد سنة تلقينا دعوة إلى أول مؤتمر للإتحاد الاشتراكى فى القاهرة، ولم نتمكن من ايفاد أحد لأن من يخرج لا يعود. وفى هذا المؤتمر انتخب جاسم علوان أميناً عاماً للإتحاد، واعتذر نهاد القاسم عن عدم متابعة مسؤوليته كعضو فى الإتحاد.

بدأ التفكير بانشاء الإتحاد بعد ستة شهور من الانفصال تقريباً من عناصر القوميين العرب وبقايا البعثيين مثل جمال ولؤى الأتاسى. وخرج من الإتحاد فى البداية الوحدويون الاشتراكيون مثل فايز إسماعيل.

– لماذا؟

* لم تسخن الأرض تحتهم. اجتهدوا وقالوا أنه من الأفضل الرجوع إلى حزب البعث والعمل من الداخل، بدل الممارسة من الخارج. وقد استخدموا الكلمة الدارجة «التأوير» وهى الكلمة التى تطلق على عملية افراغ الكوسى عند تجهيزه للطبخ. والبعض اتهم هذه الحركة بأنها تخريبية. وقواعد الوحدويين الاشتراكيين لم تكن بعثية بل ناصرية. وحدث التمزق. والبعض اجتهد من مصلحة فكرية، والبعض الآخر من مصلحة وظيفية، وأخيراً عادوا.

– فى أى سنة بالضبط؟

* عادوا بعد عام ١٩٧٣.

– ماذا حدث بعد حركة شباط (فبراير) ١٩٦٦؟

* بعد الوحدويين الاشتراكيين، خرج القوميون العرب من الإتحاد الاشتراكى. وحدث تناقض تنظيمى بعد التناقض الفكرى غير المعلن. وكنا نشاهد فى الممارسة تصادم القواعد ببعضها بعضاً. وكانت هنالك خلافات دائمة بين قواعد القوميين العرب وقياداتهم.

بعد أن تشكلت قيادة فى الداخل مستقلة عن الخارج، لعدم قدرة الخارج على القيادة، بقى نوع من التنسيق السياسى الرمزى. وتشكلت قيادة ثلاثية فى الداخل تضم جمال الأتاسى، وشخص من عائلة الضلى وكان موظفاً فى وزارة التربية، وأنا. وكان

الضلى قد حل محل أسامة الهندى شقيق هانى الهندى، بعد أن أعتقل أسامة عام ١٩٦٥.

– لماذا وقع الانشقاق؟

* الوضع الداخلى كان انفصالياً فكرياً وسياسياً. وعقد المؤتمر العادى للإتحاد الاشتراكى لطرد القوميين العرب، ولم يحضروا المؤتمر، وتغيبهم كان يعنى فصلهم.

القوميون العرب:

– وهذا أحدث هزة فى الإتحاد طبعاً...

* لا شك في ذلك. لكنه فى الأصل لم يكن ممكناً تنظيم القوميين العرب... وقد انتهوا فعلاً.

– كيف؟

* لم يبق شيء اسمه «القوميون العرب». توزعوا بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية. وفى الكويت إنقسموا إلى جناحين أحدهما يسارى متطرف وأقرب إلى الشيوعية، والثانى منطقه ناصرى. وبعد خروجهم من الإتحاد الأشتراكى صدرت فى صحيفتهم «الحرية» عدة دراسات تؤرخ للقوميين العرب. وفحوى هذه الدراسات يقول أنهم عاشوا العمل النضالى فى ثلاثة وجوه: فقد كانوا أمام الجماهير من الناصريين، وأمام القواعد كانوا من اليسار الناصرى، وبين بعضهم بعضاً كانوا ماركسيين. وخلصوا إلى هذه النتيجة، وهى أنه آن الأوان للأعلان عن وجههم الحقيقى... الماركسى! وقلنا لهم: لو أعلنتم ذلك من البداية لخففتم عنّا وعنكم!

القوميون العرب عاشوا النضال بثلاثة وجوه

وبعد خروج القوميين العرب بفترة وقع تناقض داخل الإتحاد الأشتراكى حول قضية جمال الأتاسى الأمين العام المساعد للإتحاد. وقد أتخذنا بالأجماع موقفاً سلبياً من تصرفاته وسلوكه. فمثلاً، قبل حرب ١٩٦٧ بقليل أجتمعنا وقلنا أنه ينبغى أنهاء التناقض موقتاً مع النظام لأن المعركة قادمة. وخولت اللجنة المركزية جمال الأتاسى صلاحيات إستثنائية بصفته الأمين العام المساعد. وقررنا بعد التداول توجيه مذكرة علنية إلى السلطة نقول فيها أن النظام فى سوريا لا يستطيع خوض الحرب بهذه التركيبة وهذه القيادة. وقدمنا المذكرة فى أواخر أيار (مايو) وقبل حوالى ١٢ يوماً من بداية الحرب فى ٥ حزيران (يونيو)، وطرحتها أنا. وطالبنا بإدخال العناصر الفعالة فى المواجهة. وأحضرت مذكرة إلى الدكتور جمال الأتاسى موقعة من ٢٥ شخصاً وأنا منهم ليتولى أمر الصياغة... ولكنه أختفى بعد ذلك ولم يظهر إلا فى اليوم الثالث لبداية الحرب. وعندما سألناه عن الأمر قال أنه لم يقدم المذكرة لأن لؤى الأتاسى لم يوافق عليها. وقلنا له إن لؤى الأتاسى ليس هو مرجعنا. وأختلفنا فى هذه النقطة.

وكانت فى دمشق مجموعة ناصرية برئاسة ثابت المهاينى (التنظيم الناصرى)، والتقينا معها. وكان المهاينى من القوميين العرب وأنشق عنهم فى أيام الوحدة. وبعد الحرب، دخل المهاينى وجماعته فى الإتحاد. وطلبت منا السلطة الأشتراك فى وفد يقوم بجولة فى الدول العربية لتثبيت الحالة المعنوية للسوريين فى الخارج ولجمع التبرعات. وطرحت هذا الأمر على الإتحاد الأشتراكى، وتحملت مسؤولية مرافقة وفد السلطة الذى كان برئاسة عبد الله الأحمر. وذهبنا إلى ليبيا وقلنا للسوريين هناك أن النظام لم يحارب، وأعطينا الصورة الحقيقية للوضع. ثم ذهبنا إلى مصر، وهناك أتصلت سراً مع جاسم علوان وأجتمعنا ساعتين.

أنضمام ثابت المهايني للإتحاد الأشتراكي كان المداخل للقطيعة بيننا وبين جمال الأتاسي. وكان عدد أعضاء اللجنة المركزية للإتحاد عشرة. وعندما عدت من السفر أجتمعت مع جمال الأتاسي، وأبلغني بأنه يرفض الجلوس مع ثابت المهايني عضو اللجنة المركزية. وفي أجتماع اللجنة أنقسمنا: ٦ ضد ٤ مع الأتاسي. وأنتهى الأمر بالأنقسام في أوائل عام ١٩٦٨. وبعدها أستقال جاسم علوان كأمين عام وطالبناه بالرجوع عن الأستقالة. وبعدها بعشرين يوماً عقد جمال الأتاسي مؤتمراً وأنتخبوه أميناً عاماً للإتحاد الأشتراكي (الأمانة العامة). وأستمر الوضع على هذا الشكل. وحاولنا توحيد الإتحادين بعد موت عبد الناصر عام ١٩٧٠.

– وماذا حدث لكم بين ١٩٦٨و ١٩٧٠؟

* طلبنا من جاسم علوان أن يعود لتولي منصب الأمين العام فرفض. ومع ذلك فقد عقدنا مؤتمراً وأنتخبناه أميناً عاماً وأنا كنائب للأمين العام. وقد أصر علوان على الرفض، وأنقسم الإتحاد وتعايشنا مع ذلك.

أذكر أنني زرت جمال الأتاسي مرة، بعد أول خلاف بين حافظ الأسد وصلاح جديد. وتداولت معه في أمر القيام بحركة ما فأجاب أنه لا يستطيع خوفاً من وقوع حرب أهلية.

– ماذا كان موقفكم كناصرين من حركة حافظ الأسد التصحيحية عام ١٩٧٠؟

* كنا نعتبر أن الخط هو نفسه، ولكن عندما دعا مجموعة لوضع ميثاق الجبهة طلبنا أن نكون طرفاً في لجنة الميثاق. ولم نطلب ذلك عن أقتناع بل كنوع من الحماية السياسية وحتى لا نتهم بالسلبية. وكان رأينا أنه إذا جاء الميثاق جيداً نكون وصلنا إلى ما نريد، وإذا لم يكن مناسباً فإننا نخرج من الجبهة ونسجل موقفنا. وصدر

الميثاق ولم نقبله.

وكان حافظ الأسد وقتها رئيس الوزراء، وكان أحمد الخطيب رئيس الدولة. وروى لي جمال الأتاسي أنه التقى مرة مع الأسد وسأله: من أين جئتم بأحمد الخطيب؟ ألم تجدوا شخصية أفضل منه لرئاسة الدولة؟ وأجاب الأسد: من نضع غيره في الرئاسة؟ ورد الأتاسي: بما أنك قمت بالحركة فاستلم أنت رئاسة الجمهورية. ويبدو الأسد كان متردداً في تولي الرئاسة في ذلك الحين ربما لاعتبارات انتمائه الطائفي.

عندما شارك جمال الأتاسي في الجبهة امتعض فريق من القواعد واتصلوا بنا وأبدوا الاستعداد للانضمام إلينا، لكننا نصحناهم بالبقاء في أماكنهم. وبعدها بدأ التحضير لإعلان الدستور الجديد. وفي تلك الفترة توجهت إلى ليبيا لحضور المؤتمر التأسيسي للإتحاد الاشتراكي. واصدرنا بياناً ضد الدستور. واعتقل من تنظيمنا عشرون شخصاً وفي مقدمتهم عدنان عثمان عضو اللجنة التنفيذية. ثم ارتفع عدد المعتقلين منا إلى ٤٠ شخصاً. وصدر أمر باعتقالي. وبعث إلى بعض عناصر التنظيم ينصح بتأخير عودتي إلى سوريا. وبقيت عشر سنوات في ليبيا من ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٢.

الناصرية:

- لماذا غادرت ليبيا؟

* اقمنا في ليبيا على اساس أنها ناصرية، ولكن علاقاتها توثقت مع سوريا إلى درجة طرح فكرة الوحدة. ولم يعد في الأمكان التعايش من هذا الوضع. وغادرت إلى أوروبا.

الناصريه "تهمة" اطلقها الانفصاليون على الوحدويين:

– ولكن تنظيمكم يعتبر الآن فى حكم المنتهى، اليس كذلك؟

* أنه لايزال فى سوريا ويعمل تحت الأرض والقيادات غير معلنة.

– هل اقمتم خطوط اتصال مع جمال الاتاسى؟

* لا، ويمكن أن تكون هناك مشاورات فى الداخل بشكل شخصى.

– هناك من يقول أن الناصرية انتهت فى مصر نفسها فكيف يمكن أن تستمر فى سوريا؟ ثم ماذا عن مشاركة "الناصرية" ممثلة بشخص جمال الاتاسى فى الحكم؟

* نحن اعتبرنا مشاركة الاتاسى أنها تتعارض مع الموقف الوطنى. ونحن لا نطعن بوطنيته ولكن باجتهاده. أما الناصرية فنعتبر أنها أصدق بعد عبد الناصر لأن عبد الناصر كشخص زال، ومن كان يريد التقرب منه أو المتاجرة به فى حياته فقد انتهى، ولم يبق إلا الناصرى الذى يؤمن بناصريته كحل قومى ووطنى.

– الذين ينتقدون الناصرية يتهمونها بالدكتاتورية وعبادة الفرد ويحملونها مسؤولية فك الوحدة؟

* لم يكن هناك شئ اسمه ناصرية فى زمن الوحدة. اخترع هذه الكلمة فريق من الصحافيين الانفصاليين، وكان القصد منها الاتهام والانتقاص واللمز. وراجت الكلمة واصبحت رمزاً لتيار. أما عن الاتهامات الموجهة إلى الناصرية فأقول أن عبد الناصر لم يأت إلى سوريا فاتحاً بقوة الغزو العسكرى، بل أن السوريين من مدنيين وعسكريين هم الذين ذهبوا إليه وطلبوها منه. وعبد الناصر وضع شروطه ضمن ظروفه، ولم يعد بالديمقراطية. وهو الغى الأحزاب وأنا لا أوافق على ذلك رغم أننى ناصرى. وهم قبلوا بحل الأحزاب. وحده الحزب الشيوعى رفض وتحمل

مسؤولية قراره، ورفض التصويت على الوحدة. وكنا نتساءل دائماً: هل الانفصال ثورة أم مؤامرة؟

الشيوعيون روجوا صوراً زورة فاضحة لعبد الناصر وعامر:

وعلى كل حال فإن الأجهزة فى زمن الوحدة لم تفعل شيئاً أكثر مما فعلته قبل الوحدة وبعدها. وكنت أول من دخل السجن بعد الانفصال وتبعنى عبد الحميد السراج، وكان فى السجن ٨٣ شيوعياً بالتحديد. وكان الشيوعيون يتصدون علناً لعبد الناصر بكل الوسائل، إلى درجة أنهم كانوا يروجون صوراً مزورة لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر مع بعض الفنانات.

رصدوا جائزة لمن يأتى برأسى حياً أو ميتاً:

– الأنتقادات العنيفة إلى "دولة المخابرات" لا تزال تتردد حتى اليوم، لماذا؟

* لأسباب كثيرة منها أن الأستعمار وجد فى الوحدة حدثاً خطيراً لا يمكن السكوت عليه. والدليل على ذلك أن الوحدة أستقبلت بمؤامرة لأغتيال عبد الناصر وهى التى كشفها السراج. وقد تكون حدثت تجاوزات فى زمن الوحدة. وأنا أعرف كتائب عام عسكرى حقائق الأمور. وما حدث مثلاً بعد اغتيال عدنان المالكى كان أكثر بكثير مما حصل فى عهد الوحدة، فمثلاً اعتقل منير العجلانى وهو نائب يتمتع بالحصانة.

ثمن الوحدة كان مؤامرة كشفها عبد الحميد السراج:

– إذن ما كتب فى الصحافة اللبنانية عن التذويب بالأسيد وعن

تدخلات السراج كان اختلافاً ضد الوحدة؟

* لقد كنت مسؤولاً عن الشرطة والدرك أثناء الوحدة. وكان جهاز المخابرات مرتبطاً برئاسة الجمهورية وبالسراج شخصياً وليس بصفته وزيراً للداخلية. وسجن السراج سبعة أشهر، وأقيم عليه ما أقيم من الدعاوى. وكان أحمد زهير العابدى مسؤولاً عن التحقيق. والقرار الوحيد الذى صدر ضده هو أن أحد مساعديه أساء استغلال النفوذ مع امرأة. ولم يظهر أى قرار اتهام غيابى أو وجاهى ضد السراج. وأنا لا أدافع عنه وما يعنينى هو الحملة على الوحدة من خلال السراج.

- هل اجتمعت مع السراج؟ وكيف هرب؟

* نعم، اجتمعت به، ولم اسأله كيف هرب. والبعض يقول أن أحد عناصر السجن سهل فراره إلى بيروت.

- لماذا آثر السراج العزلة ولم ينخرط فى العمل السياسى؟

* السراج ناصرى، ولا أعرف لماذا لم ينخرط بالعمل السياسى. وبعد انشاء «التحالف» لم تتح لى فرصة الأجتماع به.

«التحالف»

- لماذا وافقتم على دخول "التحالف" جنباً إلى جنب مع أحزاب كانت مسؤولة عما حلّ بكم؟

* لا ننكر وجود الخلافات والصراعات بين الأحزاب، وبعضها كان دموياً كما حدث فى تموز (يوليو) ١٩٦٣. ونحن نعتقد أن الأخوان المسلمين والبعثيين أطرافاً وطنية. وحزب البعث كان ملغوماً، وأثاره لا تزال بادية إلى اليوم فى سوريا.

وأنا أعرف أن البعث لم يحكم سوريا ولا قياداته. ومأخذنا عليه أنه كان جسراً لوصول الآخرين إلى الحكم. وحافظ الأسد لم يترك شيئاً لأحد. والصراع بين البعث والناصريين لم يكن أصيلاً، ونحن نشترك فى الشعارات نفسها: الحرية والوحدة والأشتراكية.

أما الأخوان المسلمون فقد حاولوا أغتيال عبد الناصر، ونحن الآن نقيم العلاقة على أساس الشخص بل على أساس الوطن.

– هل تعاونتم مع "الأخوان" لأن خليفة عبد الناصر كانت أخوانية؟

* لا، ولست متأكداً من أن عبد الناصر كانت له خلفية أخوانية. وليس من المستبعد أن يكون بعض السياسيين قد تعاطفوا مع الأخوان كفئة متحركة ووطنية ومعارضة للنظام الملكى مثلاً.

– ألا تعتقد أن هناك نوعاً من التضخيم للتيارات السلفية والدينية يجعلها أكبر من حجمها الحقيقى؟

* هناك تسميات خاطئة. وهناك فئات متطرفة فهمت الأسلام فهماً متطرفاً أطلق عليه أسم السلفية. و «الأخوان» حركة سياسية وفكرية معاً، ولكن فهمهم للقضية القومية كان خاطئاً، وبعضهم لا يزال يعتبر أن مفهوم القومية مناقض لمفهوم الدين. عدنان سعد الدين وجماعته توصلوا معنا إلى أنه لا تناقض، وأن القومية مكملة للدين، ويجب أن يكون فى الدين قومية عربية. بعض «الأخوان» أخذوا بطروحات منسوبة إلى الفكر القومى وأعتبروها مناقضة للأسلام مثل الأشتراكية والعلمانية. وهذه الطروحات لا علاقة لها بالقومية العربية القائمة على مفهوم وحدوى. والآن يستشهد «الأخوان» بأقوال حسن البنا حول القومية العربية.

– ولكن مواقف عدنان سعد الدين هذه هى التى قادت إلى أنشقاق الأخوان.

* الخلاف داخل الأخوان هو خلاف تنظيمى رافقته مواقف سياسية، منها مثلاً قضية التفاوض مع النظام، ولكن لا توجد خلافات فكرية. وحدث مرة حوار بحضور جاسم علوان بحضور عدنان سعد الدين وحسن الهويدى. ودار الحديث عن الديمقراطية. وقال هويدى: نحن لا نؤمن بالديمقراطية لأنها مناقضة للأسلام. وقلت له: هذا يعنى قبولاً ضمنياً بالدكتاتورية. رد هويدى: الدكتاتورية تعنى سيادة الشعب والسيادة هى لله. وقلنا: نحن كمسلمين نؤمن بالسيادة لله على الكون كله، ولكن الشورى فى الأسلام تعنى الديمقراطية ذاتها. قال هويدى: ولكن الشعب يواصل إلى السلطة من يقيم أحكاماً تتناقض مع الأسلام. قلنا له: كل ما يتناقض مع الأسلام نرفضه.

– إذن كيف قبلتم الأشتراك معهم فى "التحالف"؟

* فى أوروبا يوجد الأشتراكى والرأسمالى. ونحن نقول أن للأخوان موقفاً متحرجاً من الديمقراطية والوحدة، ونعتقد أن هذا الحرج سيزول.

– تفردهم بالتفاوض ألا يدل على أنهم متفردون بالموقف؟

* هذا الأمر لا دخل للأسلام فيه، وهو موقف سياسى لنقل أنه خطأ. وأخيراً أتخذ قرار بأنه لا يحق لأى طرف التفاوض إلا بقرار من «التحالف». أن عملنا جبهوى وليس حزبياً.

– أحد تنظيمى "الأخوان" أنتخبه التنظيم العالمى للأخوان وهو لا علاقة له بسوريا، فكيف توافقون على قبوله فى الأمانة العامة للتحالف؟

* نعرف جميعاً أن للأخوان أمتداد بسوريا، وعدنان سعد الدين المراقب العام مقيم في مصر. وهو دخل في التفاوض عام ١٩٨٤.

– أنه يقول عكس ذلك.

* لا، أبداً، بل أنه رفض قطع المفاوضات. وحتى مفاوضات ١٩٨٧ تمت بقرار من الأكثرية.

– هل كنت على علم بالمفاوضات بين الاخوان والنظام؟

* الأمور كانت غامضة. وهناك مسؤوليات مشتركة. ويومها كنت مسافراً وعندما عدت وعرفت بها كنت أرى أن نقطعها، لأن قرار السلم والحرب ينبغي أن يكون في يد التحالف. والمفاوضات هّي السلم.

– ما رأيك بأسلوب الكفاح المسلح لتغيير النظام؟

* حتى الأمم المتحدة أقرت بشرعية هذا الاسلوب. وقالت أنه من أجل الحصول على الحرية والديمقراطية فإنه يجوز اللجوء إلى العنف. ونحن لا نريد العنف إلا إذا انعدمت جميع الوسائل الأخرى.

– هل للناصريين قوة مسلحة في الداخل؟

* لا، وهذا الأمر يحتاج إلى أمكانات غير متوفرة لدينا. ولا نريد أن يسقط ابرياء نتيجة حسابات خاطئة.

– وهل حاسبتم "الأخوان" عن الضحايا البريئة التي سقطت بسببهم؟

* لقد قاموا بعملياتهم قبل قيام التحالف، ونفوا أنهم قاموا بعملية الباصات، وقال عدنان سعد الدين: أنني أبرأ إلى الله ورسوله من هذه العمليات.

– إذن من قام بها؟

* لا أعرف. والمعارضة السورية ليست وقفاً على «التحالف». وهناك معارضة معروفة وأخرى غير معروفة.. مثلاً: جمال الأتاسي معارضة، والحزب الشيوعي معارضة...

– لماذا لم توافقوا على دخول جماعة صلاح جديد في التحالف؟

* هم رفضوا الدخول ووضعوا «فيتو» على «الأخوان» وانقسموا على بعضهم.

– قبول النظام بالتفاوض هو اشارة قوة أو ضعف؟

* النظام لم ينته ويجب ألا نخدع أنفسنا. وهو راسخ بقوة الدبابات، والتفاوض خطيئة وليس خطأ وحسب.

– هل تعتقد أن لدى المخابرات السورية معلومات عن المعارضة، وهل انتم مهددون بالاغتيال؟

* نفترض أن لدى النظام معلومات عن الأشخاص، وهو يعرف القيادات العليا والوسطى، ويعرف الجميع.

– لماذا استهدف النظام اغتيال صلاح الدين البيطار دون سواه؟

* لا أعرف أنه استهدف الآخرين. ولعله اختار البيطار لأنه من مؤسسي البعث ولا يستطيع أن يوجه إليه الاتهامات كما فعل مع الأخوان. وكان البيطار ينشط اعلامياً وله تأثير خارجي وتأثير داخلي كحزبي. وما أعرفه أن الحماية ربانية ولا أهمية للحرس.

– لماذا أنسحب أكرم الحوراني من التحالف؟

* ليس لدى تعليل لذلك. وهو ترك فجأة، وكان عضواً في الهيئة التأسيسية والأمانة

العامة، وغاب لفترة طويلة واعتبر مركزه شاغراً.

- الم يرسل للتحالف تبريراً لغيابه؟

* قال: «اتركوني استريح»، ولكنه لم يقطع الصلة.

- لماذا لا يوجد رأس تاريخي للتحالف؟

* لم نجد ضرورة لانتخاب رئيس للتحالف واخترنا القيادة الجماعية.

- كيف تتصورون حدوث التغيير في سوريا؟

* عن طريق الضغوط الجماهيرية، وقد لا تنجح على الفور ولكنها مؤثرة. والسوابق في التاريخ معروفة. والثورة علم، أما ردود الفعل التلقائية فهي ليست ثورة، كما حدث في حماه. وعندما تخسر معركة غير مستوفية الشروط يكون ضررها كبيراً. وعندما يراد لأمر ما أن يكون حاسماً ولا يحسم، فإنه يعطي مزايا للخصم.

أن حدوث انتفاضات شعبية متتالية سيؤثر بالنهاية على النظام.

- هل ساعد الأخوان في اللعبة الطائفية؟

* الأخوان لم يلعبوا لعبة طائفية، والنظام هو الذي اسماها هكذا. وانتفاضة حماه قامت ليس لأسباب طائفية بل لأسباب وطنية ومنها تسليم الجولان وحرب ٦٧. ولا علاقة للطائفة العلوية بجرائم النظام.

- لماذا لم تنزل الأحزاب إلى الشارع أثناء حوادث حماه؟

* عندما لا تكون هناك علاقات نضالية بين الأحزاب فمن الصعب أن يحدث تجاوب. والأخوان كانوا يعتمدون على أنفسهم فقط. ونحن نادينا بقيام الجبهة أو التحالف قبل عام ١٩٨٢.

القذافى بدأ ناصرياً وتغير.. ويعاونه الآن سوريون خبراء فى شؤون المؤامرات.

– عندما كنت فى ليبيا هل أجتمعت مع القذافى؟

* نعم، مراراً.

– هل هو كما يقال عنه؟

* حتى عامى ٧٥و٧٦ كانت الشخصية الناصرية تغلب عليه. وبعد مؤامرة المحيشى ظهر وضع متميز وخاص. وقال أن الناصرية لن تدان ولكنها لن تتكرر. وبعدها بدأ يتبين من خطبه أنه يعتقد نفسه صاحب رسالة. وإذا اعتقد رجل فى السلطة أنه مرسل يصبح الأمر خطيراً.

– هل تناقشت معه؟

* مرة كنا نجتمع معه ومع بعض الفلسطينيين وقلت له أن القضية الفلسطينية إذا لم تصبح سورية– فلسطينية فإن كل جهودهم ضائعة. وقال لى: لماذا لا تذهب إلى سوريا وتقول ذلك إلى الأسد؟

وأنا أعتقد أن مخاوفه من المؤامرات ضده هى مخاوف حقيقية ولهذا انفتح على سوريا، وهو بحاجة إلى الدعم السورى والخبراء السوريين فى شؤون المؤامرات، ولعل السوفيات نصحوه بذلك.

– هل تنظيمكم لا يزال حياً، وما هو عددكم؟

* تنظيمنا حى وعددنا سر.

– لماذا لم يدخل الحزب الشيوعى– المكتب السياسى إلى التحالف؟

* لقد تمت الموافقة على دخوله التحالف، ولكن عندهم نوع من تسوية الأمور،

وفى استطاعة التحالف أن يستوعب كل المعارضة السورية، والباب مفتوح أمام الجميع.

– هل تقبلون الأحزاب السورية التى كانت قائمة قبل الانقلابات؟

* لقد اندثرت هذه الأحزاب والباب مفتوح أمام الشخصيات الباقية منها.

– هل يمكن أن تقبلوا حيدر الكزبرى الأنفصالى فى "التحالف"؟

* نقبله... «ليش لأ» ؟!.

ردود على "ملفات المعارضة السورية".

قرأت الحوار الصحافى بين تمام البرازى وحمود الشوفى عضو التحالف الوطنى لتحرير سوريا الذى نشرته «الوطن العربى» فى العددين ٥٨٧ و ٥٨٨ بتاريخ ١٣و٢٠–٥–١٩٨٨ . ونظراً لاطلاعى على مجمل الأحداث التى تناولها هذا الحوار، الشجاع احياناً، اعرض ملاحظاتى التالية:

١– يقول الشوفى أن التيار الإسلامى لم يتعرض للأرهاب فى سوريا من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٩، والحقيقة هى غير ذلك، فمنذ عام ١٩٦٤ والتيار الإسلامى يتعرض لحملات الاعتقال والسجن والطرد (اقتحام المسجد الأموى واضرابات دمشق المشهورة ٦٤– ٦٥ واعتقالات الأخوان المسلمين المستمرة اعوام ٦٥–٦٦– ١٩٦٧ فى حمص واللاذقية وحماه. واقتحام مسجد السلطان فى حماه ومساجد حماه و حمص واللاذقية، ثم ما بعد عام ١٩٦٧ أحداث واشتباكات حمص واللاذقية فى عيد المولد النبوى الشريف فى عامى ٧١– ١٩٧٢ واعتقال العشرات من قيادات الأخوان المسلمين وانصارهم وطرد المئات من وظائف التعليم والجيش والشرطة.

٢- حركة الشهيد مروان حديد لم تكن فورة وانتهت بل هى جهاد استمر منذ عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٨٤- ١٩٨٥، قدمت فيه سوريا مئات من الشهداء أبناء التيار الإسلامى وانصاره، وتجاوبت مع هذه الحركة الجهادية مدن وقرى سورية.

٣- اتهام المجاهد، عدنان عقله، بالتبعية إلى إيران والتصالح مع النظام السورى والخيانة، اتهامات باطلة وهو المجاهد القائد الذى وجه ضربات شجاعة وقوية وشريفة للنظام الطائفى فى سوريا، وهو المجاهد القائد فى الصفوف الأولى وقد غدر به البعض ولا ندرى أشهيد هو أم سجين! ولو هو عميل لإيران حقاً ومتواطىء معها ومع حافظ أسد لأظهرته وسائل الإعلام السورية كما اظهرت بعض العملاء وبعض الذين تساقطوا ولم يستمروا فى الجهاد والنضال والكفاح! وهاتوا دليلكم على خيانته!

٤- أديب الشيشكلى، رحمه الله، أول من حذّر ونبه إلى مؤامرات وخفايا الباطنية والطائفية والتسلل النصيرى فى الجيش السورى، واعتقد أنه كان الرجل الصادق وأنه كان خدم سوريا لما تنبه له الاستعمار وعملاؤه والطائفيون قاموا بالتآمر عليه، وحفاظاً منه لسفك الدماء وهو القائد المسيطر على سوريا والجيش، تخلى وصان الدماء.

٥- تجاهل حوار القادة الحقيقيين لثورة ٨ آذار ١٩٦٣ فالأكثرية كانت وحدوية ناصرية فالقادة هم: اللواء محمد الصوفى، اللواء راشد قطينى، اللواء زياد الحريرى، اللواء لؤى الاتاسى، العقيد اسعد الحكيم، العقيد فواز محارب، المقدم مصطفى الشريفى، هؤلاء مع غيرهم كانوا فعلا القادة واصحاب الثورة مع بعض البعثيين امثال سليم حاطوم ومحمد رباح الطويل والجندى.

٦- اخفى الحوار حقائق الصراع فى حزب البعث وقياداته منذ عام ١٩٦٥ وحتى

استلام حافظ أسد السلطة عام١٩٧٠ فكان الصراع بين مجموعات وطوائف: مجموعة سليم حاطوم والشاعر (السويداء) ومجموعة عبد الكريم الجندى وسامى الجندى (السليمة) ومجموعة محمد عمران ومجموعة صلاح جديد ومجموعة حافظ أسد (النصيرية). ولا شك فى أن حزب البعث هو الذى جاء بالحكم العسكرى بعد سيطرته على الوضع فى سوريا على أثر حركة وثورة ٨ آذار١٩٦٣ وبعد تصفية الناصرية والوحدوية فى هذه الثورة!

٧- تجاهل الحوار ضربات البعث المتكررة للتيار الإسلامى وللمسلمين فى سوريا منذ عام ١٩٦٥ وفى كل عهود البعث اليمينى واليسارى ابتداء بأمين الحافظ ونور الدين الاتاسى وصلاح جديد ويوسف زعين وسليم حاطوم وعبد الكريم الجندى وانتهاء بحافظ الأسد وطائفته النصيرية.

٨- تجاهل الحوار الحقائق حول حرب ١٩٦٧ وسقوط الجولان واتفاقيات فصل القوات، فإذا كان الأستاذ الشوفى قد نسى دور إبراهيم ماخوس ووزير الدفاع حافظ أسد ومحافظ القنيطرة عبد الحليم خدام فى سقوط الجولان فليرجع إلى كتب وأحاديث سامى الجندى البعثى الكبير وإلى كتب مدير المخابرات العسكرية فى الجولان المقدم خليل بريز رحمه الله.

ردود خاصة:

- عبد الجبار عبد المنتقم (بغداد- الجمهورية العراقية) كم كنا نودّ لو أنك صحّحت أو قارعت الحجة بالحجة فى كتابتك عن الزميلين تمام البرازى وغسان الإمام، بدل أن تعتمد إلى استخدام كلمات غير لائقة.

- محمد أمين (الدوحة- قطر) نعتقد أن سلسلة ملفات المعارضة السورية، كانت

كافية للأجابة على ما طلبت بشأن ما يجرى الآن فى سوريا، وأحداث مجزرة حماة بالذات هذه المدينة الباسلة.

الفصل العاشر



انشقاق الأخوان المسلمين

الفصل العاشر

أحمد محفل (الحزب الشيوعى- المكتب السياسى)

مستعدون للتعاون مع "الأخوان المسلمين":

ة/. شيوعى غير ملحد هذا فى عجائب حلب... لكن فى مشى مع بكداش عقوداً لا يمكن أن يتخلى عن بكداشيته بسرعة..

قبل أن نبدأ بطرح الأسئلة على أحمد محفل (الحزب الشيوعى السورى- المكتب السياسى) بادر بالحديث محذراً فقال: «الحزب الشيوعى يعيش فى إطار سرى داخل سوريا. وهو معرض يومياً إلى ضربات النظام، واستشهد أكثر من رفيق لنا تحت التعذيب. ورياض الترك الأمين العام للحزب استيقظ من الغيبوبة الشديدة منذ شهر واحد فقط. وقد اشارت منظمة العفو الدولية والبرلمان الأوروبى إلى هذه الوقائع... لذلك أرجو أن تأخذ «الوطن العربى» هذا الأمر بعين الاعتبار خلال الحوار».

"الوطن العربى": حسناً... لنقدم نبذة تعريف عن أحمد محفل.

أحمد محفل: فى اعتقادى أن الفرد ليس هو المهم، بل الدور الذى يلعبه فى الحركات السياسية ومدى تأثيره فى حركة التاريخ (...) ولدت عام ١٩٢٣ فى مدينة حلب من عائلة صناعية. وانتسبت إلى حزب الشيوعى عام ١٩٤٥، ودخلت السجن عام ١٩٤٩. وعشت حياة سرية فى عهد أديب الشيشكلى. وأمضيت معظم الوقت سجيناً خلال فترة الوحدة بين سوريا ومصر فى معتقل المزة فى دمشق، أى منذ أواخر عام ١٩٥٩ وحتى آذار (مارس) ١٩٦٢.

- غادرت سوريا عام ١٩٧٦، لماذا؟

* خرجت بقرار حزبى فى مهمة تنسيق بين القوى السياسية.

- هل مارست أى مهنة قبل ذلك؟

* تخرجت من جامعة دمشق عام ١٩٤٥ حاملاً اجازة فى الحقوق، ومارست المحاماة وخصوصاً للدفاع عن الطبقة العاملة والفلاحين فى حلب حتى عام ١٩٧٦.

- فكرة الشيوعى ترتبط بالذهن العربى بثلاثة أمور: الالحاد ومعارضة الوحدة السورية- المصرية، والتبعية لموسكو. كيف تأسس الحزب الشيوعى السورى ولماذا؟

* تأسس الحزب الشيوعى فى سوريا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٤. أسسه المرحوم فؤاد الشمال، وهو من بكفيا فى لبنان، بالتعاون مع عناصر أخرى من سوريا لا أود تسميتها لارتباطها بخصوصيات قد تتعلق بالوضع القائم اليوم.

- حتى بعد مرور ستين سنة وأكثر؟

* نعم... هناك أوضاع خاصة لا أود التطرق إليها. وعندما أنشىء الحزب عام ١٩٢٤ حدد لنفسه عدة مهمات فى مقدمتها الدفاع عن مطالب الطبقة العاملة التى بدأت تتكون من خلال العمل النقابى وتجمعات الدفاع عن الفلاحين، والنضال ضد المستعمر. وشارك الحزب الشيوعى فى ثورة سوريا الكبرى عام ١٩٢٥، وكان أحد الأقنية التى تهرب السلاح إلى جبل الدروز.

- من تجاوب معكم فى سوريا المسلمة التى كانت تفهم الشيوعية بأنها

الحاد؟

* تجاوبت العناصر الوطنية من كل الطوائف فى سوريا ولبنان بنسب متفاوتة، وقسم كبير من المثقفين وليس العمال والفلاحون فقط.

– قصدت بسؤالى الأساسى معرفة ما إذا كان انشاء الحزب الشيوعى هو مجرد صدى لفكرة الأممية التى بشرت بها الثورة البولشفية، وهل تأسس بدافع خارجى أم داخلى؟

* أعتقد أن ديالكتيك تطور العوامل، التاريخية الداخلية والخارجية يصعب فصله. كانت العوامل الداخلية تفترض قيام حزب يدافع عن العمال والفلاحين. وهذا لا يعنى بأن التفاعل على النطاق العالمى لم يكن قائماً، وخصوصاً مع ثورة أكتوبر (تشرين أول) الاشتراكية.

– ما تسميه أنت "تفاعل" يسميه البعض "أوامر" صدرت اليكم من موسكو، وهى التهمة التى ترافقكم منذ أكثر من ستين سنة.

* بالتأكيد لم تكن هناك أوامر من موسكو، وسترى ذلك حين أتدرج فى شرح تطور الحزب. كنا منذ الثلاثينيات أول من طرح القضية القومية العربية طرحاً علمياً كتابياً. وقد أتيت بهذه الوثيقة (وأبرز وثيقة يعود تاريخها إلى عام ١٩٣٣) وهى تثبت أننا سبقنا أى حزب أو فئة فى سوريا ولبنان فى هذا المجال. وما حصل بعد ذلك بتأثير خالد بكداش سنصل إليه رويداً رويداً. وهذه الوثيقة تطرح ضرورة وحدة الأمة العربية فى مواجهة الامبريالية والاستعمار.

الحزب الشيوعى السورى أسسه اللبنانى فؤاد الشمالى:

– فى العشرينيات لم يطرح الحزب الشيوعى قضية القومية العربية، ولم يبادر إلى ذلك إلا بعد أن أبرز حزب البعث هذا الطرح.

* أننى أقدم وثيقة مكتوبة ومنشورة فى سجل الوثائق العالمى وتعود إلى سنة ١٩٣٣، ولا يعنينى بعد ذلك أن أقول متى طرح البعث هذه القضية.

– أرى أن الوثيقة نشرت فى صحيفة "نضال الشعب" عاد ١٩٧٤، فلماذا لم تنشر قبل ذلك؟

* نشرت مراراً، وأعدنا نشرها لمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب.

– أنتم كشيوعيين تدعون إلى وحدة الطبقة وليس إلى وحدة الأمة.

* الوثيقة تتحدث عن وحدة أمة، وما صدر عن مؤتمرنا الخامس، بعد الانشقاق عن خالد بكداش، يؤكد هذا الاتجاه. وهذه وثيقة ثانية (وأبرز محاضر المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى السورى فى كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٩ وقد انعقد تحت شعار:تحرير، ديمقراطية، اشتراكية، وحدة عربية، وتقع فى ٣١ صفحة مطبوعة)... وهذه الوثائق تثبت مواقفنا.

– قلت أن الشخص لا أهمية له فى حزبكم....

* (مقاطعا) قلت أن العامل الشخصى ليس هو المؤثر الرئيسى فى الحزب.

– لكن خالد بكداش صبغ الحزب بشخصيته اليس كذلك؟

* خالد بكداش دخل الحركة عام ١٩٣٣، وعاد إلى سوريا عام ١٩٣٥ من موسكو واستلم الحزب اعتباراً من ذلك التاريخ.

– كيف يمكن لشخص مثل بكداش أن يتولى قيادة الحزب؟ ما هى مؤهلاته وما هى مبررات هذا الاختيار؟

* حتى لا نظلم أحداً نقول أن لخالد بكداش مؤهلات كثيرة ثقافية وسياسية ونظرية. رغم إننى أقف فى وجه الحد من دوره الذى أصاب بالضرر الحركة الشيوعية فى سوريا، لا بل فى العالم العربى. والأجواء عام ١٩٣٥ كانت أممية. ولا شك فى أن دوره فى العمل الأممى بين الأحزاب الشيوعية كان له الأثر فى انتخابه فى سوريا ولبنان. وليس صحيحاً أن «عبادة الفرد» سادت زمناً طويلاً. قد تكون وجدت بعض الوقت، ولولا ذلك لما تم الانشقاق عن بكداش.

– لماذا كان هناك غموض فى نضالكم ضد الاستعمار الفرنسى؟

* فى هذه النقطة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار التركيب الطبقى للمجتمع السورى. الطبقة العاملة كانت ضعيفة جداً فى مرحلة النضال من أجل الاستقلال. والطبقة الفلاحية لم يكن لها دور كبير فى المجتمع. الدور الكبير كان للبرجوازية الوطنية الناشئة. وهذا مفهوم فى كل العالم الثالث، وحتى اليوم لا استطيع القول أن الطبقة العاملة فى سوريا لها الوزن الرئيسى فى تقرير مصير الحياة الوطنية والسياسية.

– ما كان ثقلكم قبل الاستقلال... عشرات؟ مئات؟

* كان العشرات فى سجون المستعمرين فى حلب ودمشق والرقة من رفاقنا. وشاركنا فى كل المظاهرات الوطنية وفى اصدار البيانات. ولدى الوثائق التى تظهر مراحل نضال الحزب منذ ١٩٢٤ وإلى ١٩٧٤.

– ما أريد قوله هو أن دوركم كان هامشياً في نيل الاستقلال. كيف تطور عددكم فى ربع قرن؟

* الحركات السياسية لا تقاس بالعدد فقط. وليس لدى احصاء فعلي بالعدد.

عارضنا انقلاب حسنى الزعيم ليلة وقوعه:

– تقول وثيقة بريطانية تعود إلى عام ١٩٤٩ أن بريطانيا كانت مرتاحة لانقلاب حسنى الزعيم لأنه ضرب الشيوعيين، بينما تعاملت معه الأحزاب الأخرى.

* عشت مرحلة حسنى الزعيم فى سجن المزة وكان عددنا فيه ٢٥٠ شخصاً. وكان هناك أيضاً الأستاذ ميشال عفلق والأستاذ صلاح الدين البيطار وبعثيون آخرون مثل فيصل الركبى. ولا استطيع القول أن الأستاذ اكرم الحورانى تعاون مع حسنى الزعيم بقصد تثبيت الدكتاتورية العسكرية فى سوريا.

– دوافع ضرب الشيوعيين هل كانت خارجية فقط؟

* حين وقع انقلاب حسنى الزعيم اصدر الحزب الشيوعى السورى بياناً فى الليلة نفسها شرحنا فيه خفايا الانقلاب وارتباطاته مع بريطانيا ومع أميركا لاحقاً وأوضحنا مضار الانقلابات العسكرية على الحياة الوطنية والديمقراطية. وطيلة حكم حسنى الزعيم كنا موزعين بين السجن والعمل السرى لاسقاط دكتاتوريته. أما الذين رأوا أنهم يستطيعون عبر الانقلاب العسكرى أن يحققوا بعض أفكارهم وطروحاتهم السياسية، فاترك للتاريخ أن يحكم عليهم.

– ماذا حقق الحزب الشيوعى فى الخمسينيات، بعد سقوط حسنى الزعيم؟

* فى الانتخابات التى تلت سقوط حسنى الزعيم شارك الحزب الشيوعى فيها وحصل على اصوات لا بأس بها وخصوصاً فى المدن الكبرى مثل دمشق وحلب

وطرطوس واللاذقية، ولكن لم يفز أى نائب عن الحزب فى ذلك الحين: – لماذا؟

* ربما لأن الطبقة العاملة عام ١٩٤٩ كانت ضعيفة ولم تأخذ دورها فى المجتمع السورى.

– هل يعنى هذا إنكم لم تجدوا الشعبية إلا لدي الأقليات مثل الأكراد والشركس؟

* الحزب الشيوعى السورى نشأ وانتشر فى الأحياء الشعبية العميقة فى شكل خاص، وكذلك فى المدن الكبرى مثل دمشق وحلب وحمص.

–... وليس فى حماه؟

* تأخرت نشوء الحزب فى حماه إلى مرحلة تالية. وتابع الحزب التركيز على الاحياء الشعبية العميقة حتى لا أقول الإسلامية. وهذه الأحياء هى أفضل وصف لمجتمعنا. وفيها الفقير وفيها من هو من البرجوازية الوطنية الصغيرة. وهى احياء تضم مختلف فئات الشعب. ونجح أول نائب لنا عام ١٩٥٤.

– وكان خالد بكداش بالطبع....

* نعم، وكدت أنجح فى حلب، وكان فارق الأصوات بينى وبين أحمد قنبر من حزب الشعب، ضئيلا للغاية. وحصلنا على نسبة كبيرة من الأصوات فى طرطوس.

– لكنك تعترف بأن الأكراد فى الأحياء الشعبية العميقة كانوا هم اعتمادكم الرئيسى، اليس كذلك؟

* كان الحزب فى دمشق مركزاً فى حى الميدان والشاغور. وقد يكون لوضع خالد

بكداش فى حى الأكراد بعض الأثر. ولنكن دقيقين، فإن حى الأكراد لم يكن له طابع كردى صرف، واقترب من خصائص كل احيائنا فى دمشق العربية.

– خلال ٣٠ سنة من النضال لم تنجحوا إلا بايصال خالد بكداش وحده إلى البرلمان، علي عكس حزب البعث الذى تمكن بين ١٩٤٧و١٩٥٤ من تحقيق انتصارات كبيرة. لماذا؟ هل لأنكم لم تتجاوبوا مع تطلعات سوريا العربية، وتقوقعتم داخل الماركسية– اللينينية؟

* لنكن أكثر دقة. وينبغى التمييز بين حزب البعث والأستاذ اكرم الحورانى وتياره. ولا بد أنك تعلم خصائص الحورانى ونوابه فى حماه وريفها. وأرجو إلا تحرجنى أكثر فى شرح هذه الخصائص.

الوحدة بالاجماع

– تردد كثيراً القول أن السبب الرئيسى للوحدة كان هو الاعتقاد بأن الشيوعيين ابتلعوا البلد. ما تعليقك؟

* هنا ينبغى التفريق بين موقف الحزب الشيوعى وموقف خالد بكداش شخصياً. القرارات المركزية التى إتخذناها حتى على أعتاب الوحدة، كانت واضحة كل الوضوح. وقلنا أن الوحدة العربية ضرورة قومية. والموقف السلبى الذى أتخذه بكداش خلافاً لرأى اللجنة المركزية الحق اضراراً فادحة بالحزب.

– هل جرى التصويت على الوحدة داخل المؤسسات العليا للحزب وفى المكتب السياسى؟

* طرح التصويت فى اللجنة المركزية. وحسب النظام الداخلى فإن اللجنة المركزية هى السلطة العليا والمكتب السياسى تنفذ قراراتها. وكانت اللجنة تضم فى ذلك

الحين عشرين عضواً، وتم التصويت على الوحدة بالاجماع بمن في ذلك خالد بكداش. لذلك افرق بين قرارات اللجنة المركزية وممارسات بكداش.

– لماذا يتهم الحزب إذن بأنه كان ضد الوحدة؟

* لا يمكن الحكم على حزب إلا من خلال وثائقه وبياناته وكتابته. وتاريخياً هكذا كان الموقف. ونحن في الحزب ليست لدينا باطنية. ولم تعرف سوريا الباطنية إلا مؤخراً. والامبريالية كانت دائماً تلوح بـ«الخطر الشيوعي». وفي الخمسينيات لم يكن هنالك خوف من الشيوعيين. ولم يكن من أهداف الحزب في تلك المرحلة استلام السلطة.

– كانوا يتحدثون يومذاك عن مؤامرة شيوعية دولية...

* التهديد الذى كان يواجه سوريا يومذاك كان تهديداً أميركياً– بريطانياً– تركياً. وكان دور الإتحاد السوفياتي دعم النضال الوطني السوري ضد مشاريع البيان الثلاثي وحلف بغداد ومعاهدة الدفاع المشترك ومشروع ايزنهاور.

– لماذا إذن لم تشتركوا مع الأحزاب الأخرى التي ذهبت إلى مصر وطلبت الوحدة؟

* أعلنا موقف الحزب في بيان مركزي، ووزعناه في منشورات، وابلغناه إلى الأحزاب الأخرى. ولا بأس من أن اكشف سراً من اسرار الحزب... عندما دعي مجلس النواب إلى جلسة لطرح مشروع الوحدة، اجتمعت اللجنة المركزية وقررت ان يحضر خالد بكداش الجلسة، وأن يصوت على الوحدة، مع الايضاح بأننا نتمنى أن تعمق الوحدة الخصائص الديمقراطية في سوريا ومصر حفاظاً على الوحدة واستمرارها، وجلباً لبقية الأقطار العربية. وللأسف، فإن ما تم كان مخالفاً لقرار

اللجنة المركزية، وسافر بكداش في الليلة نفسها دون أن يُعلم أحداً منا، وتوجه إلى ايطاليا وخطب في ميلانو وقال كلاماً لا ينسجم اطلاقاً مع قرار اللجنة المركزية.

"عبادة الفرد" كانت سائدة في الحركة الشيوعية

– لماذا لم تفصلوه إذن؟

* هنا نصل إلى نقطة ثانية، وهي «عبادة الفرد» التي كانت قائمة ليس في حزبنا فقط بل في جميع الأحزاب الشيوعية العالمية، واضرت بنا اضراراً كبيراً، ويجب أن نعترف بهذا انصافاً للتاريخ وللحزب، ولما ظهر بعد ذلك من بوادر انشقاق الحزب.

– ماذا كانت حجج خالد بكداش في معارضة الوحدة؟

* لم يستطع بكداش اقناع أحد منا بصواب رأية. وأروى لك حادثة أخرى... في عام ١٩٥٨، وبعد قيام الوحدة، انعقد مؤتمر الحزب الشيوعي البلغاري، وأوفدني الحزب الشيوعي السوري لحضور المؤتمر، وكان هناك خالد بكداش. وتحدثت طويلاً معه، وقلت له أن اللجنة المركزية لا تزال متمسكة بموقفها من الوحدة، وطلبت منه الانصياع إلى توجهاتها، ولكنه رفض، ربما بتأثير ما كان سائداً في الحزب من اجواء «عبادة الفرد».

– كيف برر موقفه؟

* برره بالقول أن هذه الوحدة ستقضي على الديمقراطية، وعلى الدور الوطني لسوريا وعقد اجتماع في بلغاريا حضره خروتشوف وكل أطراف الأحزاب الشيوعية العربية، وقال خروتشوف وكل أطراف الأحزاب الشيوعية العربية، وقال خروتشوف إلى خالد بكداش ما معناه: «على مهلك علينا يا أبو عمار (لقب

بكداش) ... نحن نحاول مع عبد الناصر المساعدة على توطيد العمل الوطني في البلاد العربية، وتحرجنا بمواقفك» . ورغم ذلك أصر بكداش على موقفه.

– لكن الإتحاد السوفياتي وقف ضد الوحدة.

* أنا لا أقول ذلك.

– هل دعمها؟

* أنا سمعت بنفسي خروتشوف يقول ما رويته لك. وقد يكون حدث صراع داخل الإتحاد السوفياتي حول مفهوم خروتشوف لدعم الوحدة، ودعم عبد الناصر وصدرت في الإتحاد السوفياتي إراء لا تنسجم مع الوحدة. ونشرناها مع تعليقات المنظرين السوفيات على الخلاف بيننا وبين خالد بكداش حول مفهوم الوحدة والأمة العربية. وكنا ضد آراء هؤلاء المنظرين السوفيات، وأشارنا إليها في قضايا الخلاف الذي نشرناه في مجلد خاص. لذلك أريد أن أفرق وأميز موقف حزبنا عن مواقف بعض الأطراف السوفياتية.

انشقاق الأخوان المسلمين أسبابه تنظيمية لافكرية:

– لماذا لم يطرد بكداش إذن رغم كل هذه المخالفات؟

* الفترة التي نتحدث عنها كانت فترة سيادة الستالينية على جميع الأحزاب الشيوعية. ولم يطرد بكداش آنذاك لأنه لم يكن في الامكان، تنظيمياً أن يحدث ذلك في ظروف هيمنة الستالينية على الحركة الشيوعية العربية والدولية. كان هناك

وضع خاص قائم فى الحركة الشيوعية العالمية بأجماعها حول «عبادة الفرد». وبعد أن مررنا ببعض المآسى القومية، أدى هذا الوضع إلى زرع بذور الانشقاق فى الحزب الشيوعى السورى. ولم ينشق الحزب مزاجياً عبر صراع حول المصالح الفردية، بل انشق نتيجة خلاف عميق حول القضايا الداخلية والعربية والقومية والدولية. وفى القضايا العربية والقومية، كان هناك صراع قوى بين مفهومنا الذى طرحناه فى المؤتمر الخامس، ورأى خالد بكداش الذى كان يرى أن الاقليمية والانفصالية تتماشى أكثر مع مزاجه السياسي، ولا يزال كذلك حتى اليوم. ولذا نراه مع النظام الحالي بنهجه الطائفى.

– لماذا لم تجتمعوا مع عبد الناصر خلال الوحدة؟

* كيف نجتمع معه ونحن فى السجن؟ كانت غالبية اعضاء اللجنة المركزية فى السجن مثل منذر شمع وبدر الطويل وميشال عيسى وأنا وغيرى من الرفاق.

– هل حقق الانفصال أمنيات بكداش؟

* مع الانفصال بدأ الصراع فعلياً وجدياً. وأخذ طابعه السياسى والعلنى فى المؤتمر السادس ١٩٦٩.

– بين ١٩٦١ و١٩٦٩ وقعت أحداث كثيرة...

* فى هذه الفترة تحديداً كنا نسعى إلى اقناع الأكثرية الساحقة من حزبنا بمفهومنا حول الوحدة والقومية العربية والقضية الفلسطينية والاستقلالية ضمن الحركة الشيوعية العالمية.

– هل وجد الحزب الشيوعى فى ثورة ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ تحولاً جذرياً نحو الاشتراكية، أم اعتبرها مجرد قفزة برجوازية لا تثير الاهتمام؟

* اعتقد أن الطابع الغالب على حركة ٨ آذار هو أنها حركة عسكرية بحته، أو هكذا كانت فى البداية. ولا شك فى أنها أخذت منحى فى بعض القضايا الاقتصادية مثل التأميمات وانشاء القطاع العام. ويؤسفنى القول أنها لم تتم بصورة سليمة ولم يكن لها ضرورة اطلاقاً. وأنا الماركسى أقول ذلك.

– مثلاً؟

* مثلاً، جرى تأميم معمل الكبريت فى حلب، وكان عبارة عن دكان صغير برأسمال لا يتجاوز خمسة آلاف ليرة سورية، ويصنع الكبريت بطريقة حرفية.

التأميمات يجب أن تدرس فى ضوء المصلحة وتطور الاقتصاد. ولكن التأميمات كانت هى البقرة الحلوب لتلك الشرائح الفاسدة والمفسدة المحيطة بالنظام.

– لكنك تعترف بأن الاصلاح الزراعى كان ثورة فى حد ذاته؟

* لا شك فى أن قانون الاصلاح الزراعى كان ايجابياً فى كثير من الوجوه، لكنه لم يتحول إلى حركة ديناميكية للنهوض بالزراعة. فقد جرى تقسيم الأرض دون العمل على انشاء تعاونيات إنتاجية، لا تعاونيات استهلاكية كما كان سائداً.

– ماذا قدمتم فى هذه الفترة؟

* شارك الحزب فى الحكم. ورأيى فى هذه المشاركة يختلف بحسب المرحلة. فى عام ١٩٦٤ – ١٩٦٥ كانت للمشاركة آفاق ايجابية. وشغلنا عدة وزارات بينها المواصلات، وساهم فيها سميح عطية وعمر السباعى وواصل فيصل. ومع ذلك كان يجب أن تكون مشاركة الحزب ناجحة عن دراسة أعمق لتوفر على سوريا بعض

السلبيات. بعض التأميمات كان ضرورياً مثل المصارف، والبعض الآخر كان من الممكن أن ينتظر.

– هل تعمق الانقسام في الحزب بعد حركة شباط (فبراير) ١٩٦٦؟

* بدأ يبرز الانقسام بعمق أكثر لأسباب عديدة. أولاً، لأن الكادر الرئيسي في الحزب بدأ يعي اصالة المجتمع بشكل أعمق. وثانياً، لأن سلبيات ممارسة الحكم تركت أثرها على قواعد الحزب.

ونعتقد أن حركة شباط كانت مغامرة برجوازية صغيرة نجحت في القفز إلى الحكم.

أسباب الانشقاق:

– ما هي العوامل التي دفعتكم إلى رفض الاستمرار تحت زعامة بكداش بين ١٩٦٦و ١٩٦٩؟

* منذ عام ١٩٦٩ بدأ يتضح وجود تيارين في الحزب: التيار الذي نمثله نحن والتيار الذي يمثله بكداش.

– أي جماعة أحمد محفل....

* لا، لا، لا...نرفض القول جماعة أحمد محفل أو رياض الترك. نحن نقول «الحزب الشيوعي». والبعض يضيف «المكتب السياسي» لتمييزنا عن الآخرين.

– بماذا تميزتم عن تيار بكداش؟

* تميزنا أولاً بالقضية القومية ومفتاحها المسألة الفلسطينية. ودعمنا قيام دولة

فلسطينية ورفضنا الأقرار بواقع قيام إسرائيل. بينما كان بكداش يصر على ضرورة الأعتراف بإسرائيل كأمر واقع وانسجاماً منه مع السياسة السوفياتية.

وتميزنا بالتوجه الوحدوى وكان بكداش قطرياً اقليمياً. وعلى الصعيد الحزبى كنا نرى من يضع تكتيك الحزب واستراتيجيته هو الحزب نفسه ودون تدخل أو سيطرة أو وصاية أحد. وننظر إلى الحركة الشيوعية العالمية بما يفيدنا فى قضايانا القومية، دون أن نكون مجبرين على تبنى رؤية الأحزاب الشيوعية الأخرى. ورأينا المعارض للمنظرين السوفيات فى قضية الوحدة العربية كان سبباً من أسباب القطيعة مع الإتحاد السوفياتي. وأخذنا موقفاً من القضايا الافغانية والكمبودية والبولندية.

– لكنكم لم تستطيعوا الاطاحة ببكداش.

* كنا نود لو أننا استطعنا أن نحرك كل كادرات الحزب ونقنعها بمواقفنا ونعزل بكداش. وأقول للتاريخ أننا لم نستطيع. لكننا تمكنا من اقناع الأكثرية الساحقة من الكوادر والقواعد والمكتب السياسي. ومن هنا كانت التسمية «الحزب الشيوعى– المكتب السياسى»، لأن الأكثرية الساحقة من هذا المكتب صوتت مع اللجنة المركزية إلى جانب طروحاتنا.

– لكن تمتعتم في ظل حركة– شباط بحرية الحركة...

* نعم، تمتعنا بحرية نسبية ولكنها تقل عن حريتنا قبل هذا التاريخ. وشاركنا فى الحكم بشخص عمر السباعى كوزير للمواصلات.

– وصلنا الآن إلى عام ١٩٧٠. هل ساهمت حركة حافظ الأسد التصحيحية فى اذكاء انشقاق الحزب؟

* نعم، برز الانشقاق أكثر لأننا وقفنا ضده. التيار الذى كنا نتعاطف معه عام ١٩٦٩ أتخذ موقفاً غير ايجابى من حافظ الأسد منذ البداية. واستغل بكداش الموقف للتحريض ونقل إليه موقف كل واحد منا وأقواله فى اللجنة المركزية من نظام الأسد. وكان هذا مؤسفاً.

– لماذا وقفتم ضد نظام الأسد؟

* كان قد بدأ يتضح النهج الطائفى الذى سيؤدى، فى رأينا، إلى تدمير المجتمع، مع بروز نزعة أرهابية.

– لكن الأسد عرض عليكم الدخول فى الجبهة القومية.

* نعم، وحدث صراع أدى إلى الانشقاق الذى تم فى ٥ نيسان (إبريل) ١٩٧٢.

– كيف حدث؟

* لم نكن المبادرين. وكنا نعمل حتى لا نخسر أكثرية قواعد الحزب. بكداش هو الذى بادر حين رأى أن الحزب بدأ يفلت من بين يدينه. واصدر بياناً فى ٧٢/٤/٥ وحرض علينا السلطة واتهمنا بأننا نغامر بالحزب ومصيره، وبالانتهازية وبالإنحراف عن نهج الشيوعية العالمية ومعاداة النظام. وكان هذا البيان فى

صفحتين. ورددنا عليه بما أسلفت.

– وماذا حدث تنظيماً؟

* حدث انشقاق عمودى: ٦٠ بالمائة من اللجنة المركزية و٨٠ بالمائة من المكتب السياسى أيدت موقفنا. وتجاوبت معنا قواعد الحزب بنسبة ٧٠٪. وانتخب رياض الترك أميناً عاماً، وهو منذ ٨ سنوات فى قبضة النظام ويعانى الأمرين.

– لماذا لم تحاولوا اعادة توحيد الحزب؟

* لأن الأسد لم يعد يسمح لنا بحرية الحركة. وفرضت علينا المراقبة ولكننا لم نوضع فى السجن، واعتقل بعض الأفراد منا. ولكن ما حدث من انشقاقات أخرى لدى بكداش يؤكد أننا كنا على حق. وتيار بكداش اليوم منشق إلى أربعة تيارات اعتباراً من عام ١٩٨٣. والانشقاق الثانى قاده مراد يوسف. والانشقاق الثالث يحدث حالياً ويقوده يوسف فيصل.

وبكداش ثابت فى نهجه الفكرى المرتبط بمواقف السوفيات. وقال فى المؤتمر الأخير: عندما نرى ما يعانيه الشعب يفترض أن نكون فى المعارضة، لكن عندما ننظر إلى مواقف النظام من القضايا الوطنية والقومية والعلاقات مع الإتحاد السوفياتى فلا بد أن نؤيده.

ولكن النظام لم يكن له أى دور فى الانشقاق اطلاقاً، فى ما يتعلق بنا. ولكن النظام نجح فى شق تيار بكداش عبر حركة يوسف فيصل ومراد يوسف. كما نجح فى شق أحزاب أخرى. وهذا هدف دائم لحافظ الأسد.

– لماذا خرجت من سوريا عام ١٩٧٦ وبقى رياض الترك؟

* لم أخرج مزاجياً عام ٧٦. كلفت كعضو فى اللجنة المركزية بمهمة فى الخارج. وبقى رياض الترك لاعتقاده بأن وجوده فى الداخل مع الكوادر يساعد فى دفع النضال إلى الأمام، ويعمل على توحيد القوى الوطنية، وهى رؤية صحيحة. وكان يعرف أنه مهدد بالاعتقال. وفى بداية عام ٧٦ دخل فى حياة شبه سرية، وصلت إلى حياة سرية كاملة عام ١٩٧٨، واعتقل وهو فى هذه الحالة. أما كيف تمكنوا من الوصول إليه فى مخبأه السرى فهذه قصة أخرى.

- هل تم ذلك بسبب وشاية؟

* ارجو ألا تحرجنى، رغم أننا وضعنا يدنا اليوم على البوادر التى تشير إلى من سلم الرفيق رياض الترك.

- يعنى أنكم كنتم مخترقين من قبل النظام...

* لم أقل ذلك أطلاقاً. ولسنا حزباً مخترقاً رغم أن الأسد يسعى إلى اختراق كل الأحزاب.

- ويوسف فيصل؟

* منذ عام ١٩٧٢ كان يوسف فيصل مع تيار بكداش.

- تجارب الحزب الشيوعى فى الحكم لم تكن ناجحة فى اليمن الجنوبى كانت قبيلة. وفى السودان كانت دكتاتورية، كيف تفسر ذلك؟

* الحزب الشيوعى فى السودان كان له دور كبير فى إدراك اصالة المجتمع السودانى. وفى اليمن الجنوبى كانت ممارسة الحزب الشيوعى ممارسة طفولية يسارية. واليمن الجنوبى مجتمع صعب. وتاريخياً فإن الحركة القومية فى عدن هى التى تحولت إلى

ماركسية واستلمت الحكم والقول أن المجتمعات العربية لاتتقبل الشيوعية ناجم فى قسم كبير منه عن ممارسات بكداش وآثارها السلبية.

- هل تعتقد أن التوجه الإسلامى فى الوطن العربى ينمو على حساب كل من التوجه اليسارى والقومى العربى؟

* اطرح القضية بشكل آخر. الحركة التقدمية اليسارية لم تستطيع أن تجد حلولا لتطور مجتمعنا العربى ليكون نموذجاً تتمحور حوله الحركة القومية فى بناء الوحدة العربية. وهذا فشل لنا جميعاً ومن الطبيعى إذن أن تمهض حركات أخرى تستقطب الجماهير وإذا لم تضع فى مقدمة اهتمامها تقديم لنموذج لتطوير المجتمع العربى، فإنها ستفشل كما فشلنا عاجلاً أو آجلاً.

ومن هذا المنطلق، طرح الحزب الشيوعى اعتباراً من عام ١٩٨٠ القضية الوطنية وضرورة صيانتها من التمزق وتلاعب النظام بها. وطرحنا قيام جبهة ديمقراطية شعبية إسلامية.

- ... تجمع الأخوان المسلمين والشيوعيين فى سوريا؟

* نريد أن نجمع من يتفق على الحد الأدنى لانقاذ سوريا من هذا النظام الذى يمثل خطراً على وحدة مجتمعنا السورى وعلى مجمل القضية القومية. وهذا النظام يلتقى فى نظرنا مع أهداف تمزق المنطقة وبلقنتها، دون أن يجلس بالضرورة إلى طاولة واحدة مع اصحاب تلك الأهداف. وهذا هو المخرج لانقاذ سوريا.

- عندما يتحدث الشيوعى عن الديمقراطية والقومية والإسلام يبدو حديثه مستغرباً. كيف تفسر ذلك؟

* أننا نبتة جديدة فى الحركة الشيوعية، وندفع الثمن من الشهداء والمعتقلين. وهى

نبتة وضعنا لها إطاراً نظرياً وسياسياً وتنظيمياً مستقلاً، يقوم على أساس الإيمان باصالة المجتمع والقومية العربية والوحدة العربية والديمقراطية والتحرير والاشتراكية. نحن فيصل جديد بمفهوم جديد.

– هل يعنى هذا إنكم افرغتم الحزب الشيوعى من مفاهيمه التقليدية حول الصراع الطبقى وحكم البروليتاريا؟ وكيف ينسجم ذلك مع حديثكم عن التعاون مع الأخوان المسلمين؟

* الموقف النظرى لا علاقة له بالموضوع الثانى، وهو كيف ننقذ سوريا من هذا النظام. وفى الحركة الإسلامية نفسها اليوم تمايز وتناقض وحوار. والمطلوب أن تشترك الحركة الإسلامية بكل أطرافها إلى اتفاق الحد الأدنى لانقاذ سوريا مع الأطراف الوطنية الأخرى، والاتفاق على مفهوم دستورى للمستقبل.

– أى إنكم تتفقون مرحلياً وتختلفون فى ما بعد؟

* القول أنها مرحلة صحيح. وبالمفهوم الماركسى نسميها المرحلة الديمقراطية الوطنية، وهى قد تستمر نسبياً لفترة أخرى.

– لكن لماذا لا نرى ديمقراطية فى أى دولة شيوعية؟

* الديمقراطية لها مفهومان. ما يتعلق بالشق الاقتصادى وتأمين حياة الإنسان فى العمل والسكن والتعليم وما إلى ذلك، فهو موجود. أما الشق السياسى فأرى أن تجربة الأقطار الشيوعية فى هذا المجال تحتاج إلى مراجعة كبيرة. ولعل ما يجرى اليوم فى الإتحاد السوفياتى يتم فى هذا الإطار.

– من يسمع هذا الكلام لا يمكن أن يتصور صدوره عن شيوعيين. فهل وجودكم فى أوروبا كان له تأثير على تطور أفكاركم؟

* منذ البداية طلبت أن يحكم علينا من خلال وثائقنا. نحن شيوعيون نختلف في نظرتنا عن الحركة الشيوعية العالمية. ولنأخذ الحزب الشيوعي الايطالي مثالاً... فبالرغم من أن حزبهم كبير وحزبنا صغير، وبالرغم من أن قطرهم أكبر من قطرنا، فإننا سبقنا الغير في الحركة الشيوعية العالمية إلى موقف اتخذوه بعدنا. ونحن نعتبر أن الماركسية- اللينينية ليست قضايا جامدة بل معرضة للنقد والاغناء، وفيها ايجابيات وسلبيات.

- لماذا لم يعقد حتى الآن مؤتمر شيوعي عربي لمناقشة هذه القضايا؟

* فعلاً، لم تنجح حتى الآن في نقل تجربتنا إلى باقي الأحزاب الشيوعية العربية. وإذا نشأ مثل هذا التيار في الأحزاب فسيكون ذلك بداية لقيام حركة شيوعية عربية واحدة. والأحزاب الشيوعية لا تلتقي مع بعضها بعضاً بصورة دورية، بل من وقت إلى آخر، في قبرص أو لبنان، وليس بالضرورة على هامش مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي.

التحالف الوطني:

- لننتقل إلى "التحالف الوطني لتحرير سوريا". قيل لنا انكم ستشتركون في التحالف. لماذا لم تفعلوا ذلك حتى الآن؟

* اقول بكل وضوح أن الحزب الشيوعي السوري هو طرف في التجمع الوطني الديمقراطي الذي ضم عندما قام عام ١٩٨٠ الإتحاد الاشتراكي بزعامة الدكتور جمال الاتاسي، والاشتراكيين العرب، وحزب العمال الثوري الذي كان بزعامة ياسين حافظ قبل وفاته وخلفه آخر في القيادة، وتنظيم ٢٣ شباط.

الحزب الشيوعي السوري هو طرف في هذا التجمع وليس طرفاً في التحالف الوطني

لتحرير سوريا. وإطراف التجمع أحزاب موجودة في الداخل ومعرضة يومياً للسحق.

لقد طلب من الحزب الشيوعي مراراً الانضمام للتحالف. والمشكلة ليست أن ننضم إليكم أو تنضمون الينا، بل هي في كيفية عمل «التجمع»، وكيفية عمل «التحالف».

– ما هي تحفظاتكم على ميثاق التحالف؟

* نقوم اليوم بمراجعة نقدية لهذه الطروحات ونسعى إلى بلورتها، وتقديم برنامج حد أدنى. واعتقد أن التحالف يقوم اليوم بمراجعة لطروحاته أيضاً. وما نصل إليه أو يصل إليه التحالف من نتائج لن يكون سراً. ولم أقل أن أي طرف سينضم للآخر، بل قلت أننا نسعى لفتح الحوار بقصد التقاء القوى الوطنية الديمقراطية بكاملها. وهناك قوى أخرى غير التجمع والتحالف، مثل نقابات المحامين والأطباء والمهندسين والعمال والشخصيات المستقلة.

– هل الحوار مستمر بين التجمع والتحالف؟

* الآن ليس هنالك حوار.

– وهل يوجد حوار بين الحزب الشيوعي والتحالف؟

* هناك بعض الاتصالات غير المباشرة عندما يطرح الحزب رأيه على هذا الطرف أو ذاك من التحالف.

– لماذا لا تزال جماعة صلاح جديد خارج التجمع والتحالف معاً؟ لقد كانوا معكم وخرجوا، لماذا؟

* حتى الآن لا استطيع القول أنهم خرجوا من التجمع. حدث انشقاق بينهم. ولا

استطيع الجزم ما إذا كانوا خارج التجمع أو داخله.

- كيف ترى سيناريو سقوط النظام؟ بأنتفاضة شعبية شاملة أو بالكفاح المسلح أو ماذا؟

* فى رأيى أن من يريد تحمل مسؤولية جذرية لاجراء تغيير جذرى، والاطاحة بالنظام، عليه أن يهيىء نهوض حركة شعبية تصل إلى مستوى الانتفاضة. وواجب التجمع والتحالف النظر بشكل رئيسى إلى ما ينبغى عمله لانهاض الشارع من الداخل، ورفع الحركة إلى مستوى الانتفاضة الشعبية الموحدة. وبدون ذلك ستواجهنا مصاعب كثيرة إذا لم نلتفت إلى بناء العمل السياسى من الداخل.

- إذن لا تؤمنون بالكفاح المسلح؟

* هذا الشعار تقرره الظروف الموضوعية الثورية للنهوض بالجماهير، وبدون ذلك تبقى شعارات دون مضمون.

- هل تعتقدون أن الكفاح المسلح الذي قام به الأخوان المسلمون كان حركة نضالية أم دخولاً فى اللعبة الطائفية؟

* أقول، حتى لا أثير حساسيات أحد، أن الأخوان لو عملوا بوعى سياسى أكبر، مع الامكانيات التى كانت متاحة لهم لتوصلوا إلى نتائج أفضل. ولو وافقوا فى ذلك الوقت على الحوار مع جميع القوى الوطنية فى سوريا لكان سقوط الشهداء أثمر أكثر.

وفى تقديرى أن فريقاً من الأخوان كان يعتقد أن لديه امكانية الأنفراد بالحكم واسقاط النظام. ولكن كان عليهم أن يتبصروا أكثر.

- وقضية التفاوض مع النظام؟

* لقد قمنا بابلاغ الطرف الذى تفاوض بأننا ضد التفاوض، فى وضع مثل وضع المعارضة السورية التى لم تستطع أن تلم صفوفها. وهذا مثال بسيط: لقد تفاوض عدنان عقله مع النظام ومصيره معروف فى سوريا. وقسم من جماعته فى الاقامة الجبرية، وقسم تحول إلى مرتزقة. لقد اخترقهم النظام. ولست متأكداً من وضع عدنان عقله شخصياً وهل هو فى الاقامة الجبرية.

قبل أى تفاوض يجب النظر إلى ميزان القوى. وأنا أفهم المبررات والحجج الإنسانية، ولكن أقول أن الطرف الذى تفاوض أضر بنا جميعاً.

- هل حاول النظام التفاوض معكم؟

* لقد حاولوا منذ ثلاث سنوات ووجدوا الطريق مسدوداً.

- هل يطلب النظام التفاوض من موقع قوة أو من موقع ضعف؟

* علينا أن نرى وضع النظام بوضوح وبحسب المعلومات التى تتقاطع عندنا. النظام السورى اليوم معزول عزلة كبيرة داخلياً، وبدأ يبرز صراع مراكز القوى دون الادعاء بأنها وصلت إلى درجة الانفجار. ولو لم يكن النظام معزولاً لما طرح فكرة التفاوض. لذلك أقول: قبل التفاوض يجب أن نرص الصفوف.

- اسمح لى بطرح بعض الأسئلة ولو بدت ساذجة...

* تفضل...

- هل أنت ملحد؟

* أنا مؤمن.

– بمن؟ بماركس ولينين؟

* مؤمن بالله وكتبه السماوية ورسالته. وليس هناك ما يمنع الشيوعى أن يكون مؤمناً ومسلماً يمارس الفروض جميعاً. وكمناضل شيوعى ليست منتهى البحث عما قاله ماركس فى الدين، بل مهمتى النظر إلى اصالة مجتمعى. ولو كنت ماركسياً غبياً لأصبحت مثل خالد بكداش.

– هل تتصور إنك قادر على الجلوس بعد التحرير مع الأخوان المسلمين فى وزارة واحدة؟

* لا أطمح إلى أى وزارة أو حكومة. وقد جلست مع الأخوان المسلمين فى الماضى، واجلس معهم اليوم ومستقبلاً. وإذا لم نتعظ بكل التجارب التى مرت على سوريا والوطن العربى فعلينا أن نزول جميعاً.

الفصل الحادى عشر

الأمانة العامة للتحالف

الفصل الحادى عشر

محمد عمر برهان (من الأمانة العامة)

"التحالف" من الداخل:

هذا الرجل بيروقراطى بعثى مقيم فى بغداد...

عندما إحتججت على عدم ذكر الديموقراطية فى ميثاق التحالف وعدنى أن يضيفها له وفعلاً اضافها فى عام ١٩٨٨ على رغم إحتجاج الأخوان المسلمين ...

الرجل المتحرك محمد عمر برهان هو ممثل حزب البعث العربى الأشتراكى فى الأمانة العامة لـ «التحالف الوطنى لتحرير سوريا». وهوالرجل الذى يتصدى للأزمات ويقرب وجهات النظر، ويطرح الحلول، وهو الوسيط بين الأحزاب والأطراف المختلفة. وهو فى الوقت نفسه مطلع على كل صغيرة وكبيرة، وهو تاريخ متجول للتحالف الوطنى منذ أنشائه فى ١١ آذار (مارس) ١٩٨٢ وحتى هذه اللحظة.

- حول قضية التفاوض فهمنا من المقابلات أن الأخوان المسلمين اطلعوا التاحالف الوطنى لتحرير سوريا عليه، وأنك كنت حاضراً وزودتهم بلائحة المطالب، فهل تشرح لنا ما حدث فعلاً؟

* نحن فى الأمانة العامة لم نستشر اطلاقاً حول التفاوض منذ ١٩٨٤. منير الغضبان ممثل الأخوان المسلمين فى الأمانة العامة تدخل فى أحد الإجتماعات المخصصة لأزمة النظام وقال: «يا جماعة، لدينا الآن بوادر اتصالات، ويحاولون الاتصال بالأردن، ونحن نريد أن نعرف الموقف» وقلنا له: نحن لدينا مبادئ ومتفقون عليها، إذا اتصلت بنا مراكز القوى فى سوريا. وبالفعل جلنا له هذه المبادئ وأخرجناها من الملف السرى.

– إذن لم يقولوا أنهم ذاهبون للتفاوض؟

* لم يقولوا ذلك، ونحن نمانع فى المفاوضات.

– لماذا يكررون القول أنكم وافقتم على المفاوضات؟

* جماعة أبو غده موجودة فى التحالف منذ ١١ أذار (مارس) ١٩٨٢، تحت اسم «الجبهة الإسلامية». وعلى البيانونى كان عضو قيادة فى الأخوان المسلمين، ومنير الغضبان، كذلك وقد قضى البيانونى عمره كنائب للمراقب العام للأخوان المسلمين للشؤون الإدارية والتنظيمية. وعدنان سعد الدين يمثل دائماً الشؤون السياسية. ووجودهم فى التحالف أمر شرعى وقانونى. ولما حدث الانقسام بين الطرفين كان عدنان سعد الدين الوحيد فى الأمانة العامة، وكان الغضبان ذهب ليعمل فى السعودية والجبهة الإسلامية انسحبت من التحالف فى العام ١٩٨٥.

– ولماذا انسحبوا؟

* لأنشغالهم وعدم متابعتهم لقضية التحالف.

– لكن ما هى الأسباب الرئيسية لانسحابهم فى رأيك؟

* لقد وجهنا لهم كتاباً قلنا فيه ما معناه: «هذا لا يصير، وأنتم جماعة مجاهدون مناضلون» فلم يردوا.

– ولكن ما هو سبب الأنسحاب الحقيقى؟

* أن سبب أنسحاب «الجبهة الإسلامية» هوالخلافات الشخصية بين عدنان سعد الدين وعلى البيانونى. وترك أبو غده الجبهة الإسلامية وصار مراقباً عاماً للأخوان المسلمين.

– هل أن التفاوض هو السبب الرئيسى للأنقسام أم أن هناك تنافساً على الزعامة؟

* عندما نسأل عدنان سعد الدين يقول أن السبب الرئيسى هو المفاوضات. وعندما نسأل جماعة أبو غده يقولون: عندما فاوضنا فى ١٩٨٤ كان سعد الدين موجوداً موافقاً. وحسن الهويدى قال أمام الجميع فى اجتماع الهيئة التأسيسية للتحالف: إذا كان موضوع المفاوضات هو المشكلة أو الذريعة للانشقاق، فإن مبدأ المفاوضات قد أقر بالاجماع فى مجلس الشورى فى قيادة الأخوان المسلمين وعدنان سعد الدين قال: أننى مع التفاوض حتى العظم».

ونحن لا نستطيع أن نكذب أحداً. واعتقد أن الخلافات بينهم سببها الرئيسى شخصى. ولا شك فى أن عدنان سعد الدين سياسى ويمكن أن يرضى أى تنظيم.

– هل صحيح أن جماعة أبو غدة وضعت فيتو على كلمة "الديمقراطية" فى ميثاق التحالف؟

* موضوع الديمقراطية غير مستساغ لدى الأخوان المسلمين. والديمقراطية عندهم يعبرون عنها بالشورى وتعطى المعنى نفسه.

– إذن، لم يرفضوا الديمقراطية لأنها تعنى حكم الشعب فيما هم يريدون حكم الله؟

* فى أى حال هذه الفكرة ليست دقيقة لأنهم أقروا مبدأ ميثاق التحالف، وهم من مؤسسيه مثل عدنان سعد الدين وحسن الهويدى وعلى البيانونى ويمكنك أن توجه السؤال إليهم.

اتصالات أم مفاوضات»

– إذن ماذا حدث؟

* لا، لم يخرج أحد. وأختلفوا فقط منذ سنتين. وعدنان سعد الدين كان مراقباً للأخوان أكثر من فترة. أننا فى التحالف نحرص على الأخوان ووحدتهم.

– هل يمكن الأطلاع على محضر ما جرى فى التحالف حول المفاوضات مع النظام السورى؟

* نعقد جلسات مستمرة، كل أسبوع أو عشرة أيام. وإذا قال سعد الدين أنهم استشاروا التحالف فأننى أريد الإيضاح أن منير الغضبان وعدنان سعد الدين كانا فى الأمانة العامة عندما كان حافظ الأسد فى غيبوبة. وقال الغضبان: «ما رأيكم إذا حدث الاتصال بنا؟». وهناك فرق لدينا بين الاتصال والتفاوض. فقلنا له: «أننا وضعنا مبادئ حول أى اتصال مع الأطراف الأخرى وسنطلعك على هذه المبادئ». وأخذ منير الغضبان المبادئ وذهل. وبعد فترة سمعنا من جهات أخرى أن الأخوان المسلمين بدأوا التفاوض فى المانيا. وعندما عادوا قالوا لنا: كيف تتفاوضون معهم؟ فقالوا: لقد استشرناكم. قلنا: أن المبادئ هى حول ما إذا جرى اتصال وليس للدخول فى مفاوضات مع المخابرات السورية وعلى دويا.

– لماذا لم تطردهم من التحالف بعد هذا الخرق الصريح؟

* نعم خرقوا، ولكننا فى الحقيقة حرصنا على وحدة التحالف ووحدة فصائل المعارضة لأننا كحزب بعث نتحمل أعباء الغير ونتساهل معهم. نحن هذا مبدأنا لأننا نحن الذين حققنا التحالف وسعينا له منذ ١٩٦٩ وحتى الآن، لأجل التقاء الأطراف مع بعضها. ولذلك لابد من أن نتنازل احياناً أمام عقبات تعترضنا، ومنها

قولهم أنهم اخذوا رأينا. أن عدنان سعد الدين اصدر بياناً فى ١٩٨٥ باسم المكتب السياسى للأخوان وعرض فيه مواقفهم.

– وجاءت فى هذا البيان عبارة "بعد استشارة حلفائنا"، أى أنتم؟

* نعم قال أنهم استشاروا حلفاءهم وأصدقاءهم. لقد اثبتوا ذلك فى البيان. وهذا من جملة ما تحملناه نحن وقبلنا أن يقولوا أنهم استشارونا، مع العلم أنهم قالوا لنا أن هناك اتصالات وليس مفاوضات ويجب أن يكون ذلك واضحاً.

وعندما قالوا: لا ابداً. استشرناكم قلنا: «معليش». لأننا لا نريد أن نناقش، إذ ما هى النتيجة؟ هل نقول لهم: روحوا مع النظام؟!

– ولكن عندما حصل الانشقاق واستمرت جماعة أبو غده فى الاتصالات فى عامى ١٩٨٥ – ١٩٨٧ فى المانيا، لماذا لم تحذروهم؟

* لما حصل الانشقاق فى صفوف الأخوان بقى عدنان سعد الدين معنا فى الأمانة العامة، بعد أن تركها منير الغضبان وسافر. واصدروا، بعد حصول الانشقاق، بيانات وفصلوا بعضهم بعضاً. وحصلت أمور كثيرة. أما عدنان سعد الدين فاستمر معنا وكان يضع ڤيتو بأنه لن يحضر إذا دخل طرف أبو غده. ومنذ سنة ونصف السنة وجماعة سعد الدين معنا، والآخرون خارج التحالف. كان الآخرون يفاوضون ونحن لم نكن نحاسبهم لأنهم كانوا خارج التحالف.

– لكن أبو غده كان فى التحالف فى الماضى؟

* لقد كان أبو غده يمثل «الجبهة الإسلامية» وقد انسحب من التحالف منذ ١٩٨٥ أو بداية ١٩٨٦.

– لماذا؟

* انسحبت «الجبهة الإسلامية» من التحالف بقرار من مجلس الشورى لا أقدر أن أخوض فيه.

– ألم يبرروا انسحابهم من التحالف؟

* كتابهم موجود فى الأمانة العامة.

– وهل التحالف مقهى يدخل إليه المرء متى يشاء ويخرج متى يشاء؟

* لا، ولكن هكذا هى ظروفهم.

– ماهى ظروفهم؟

* دعنى أقول بصراحة: نحن طلبنا منهم أن يشاركوا بشكل فعلى فى مؤسسات التحالف وشاركوا كجبهة إسلامية، وكان لهم ثلاثة ممثلين منهم محمد أبو النصر البيانونى شقيق على البيانونى الذى كان الأمين العام للجبهة الإسلامية وعضواً فى الأمنة العامة للتحالف. وكان الآخرون يحضرون اجتماعات الهيئة التأسيسية كل ستة أشهر.

للتحالف الوطنى لتحرير سوريا مكاتب ولجان خارجية فى كل دولة تضم عناصر بعثية وأخوانية وناصرية ومستقلة، وطلبنا من الجبهة الإسلامية أن تشارك فعلياً بتسمية ممثلين عنها فى مكاتب التحالف وألححنا عليهم أكثر من سنتين: وسألناهم: أين قوتكم التى تتكلمون عنها؟ فقالوا: أن تنظيمنا سرى ولا نقدر. لكن يبدو أن لهم ظروفهم الخاصة.

– لماذا أدخلتموهم التحالف بعد مفاوضتهم لعلى دوبا وغيره لسنوات

عديدة ؟

* لم يكونوا داخل التحالف وكيف يمكن أن ننصحهم أو نحاسبهم أو نلزمهم بعدم التفاوض إذا كانوا خارج التحالف؟ دعونا الطرفين، أى جماعة سعد الدين وجماعة أبو غده لحضور اجتماعات الأمانة العامة. وإذا كانت لديهم خلافات داخلية فنحن لا نتدخل فى شؤونهم الداخلية. وكل واحد يقول رأيه ويقبل الهيئة التأسيسية كحكم . أما الاستمرار كطرفين، واستمرار طرف أو ادانه طرف، فهو حكم ندعه للهيئة التأسيسية للتحالف التى فيها البعثى والناصرى والمستقل والأخوانى.

- كم عدد أعضاء الهيئة التأسيسية للتحالف الوطنى؟

* ٣٢ عضوا. وقد أبلغناهم هذا القرار لكن عدنان سعد الدين رفض وقال: أنا لا أجلس مع جماعة أبو غده لأنهم تفاوضوا عم النظام. ولا نعرف الخلفيات الأخرى. وفى أول أجتماع للهيئة التأسيسية فى دورتها الثامنة عقدناه فى ١٤ نيسان (إبريل) ١٩٨٨ درسنا هذا الموضوع فى غياب سعد الدين. ونوقش موضوع التفاوض ولم ندخل فى الخلافات الشخصية. وقد بررت جماعة أبو غده موقفها بالقول أنهم تفاوضوا لأن لديهم عناصر مسجونة وطلب الأهالى منهم ذلك. وأضافوا: «حتى لا ندع لهؤلاء الناس الكلام، قرر مجلس الشورى للأخوان أنه لا مانع من حمل السلاح بيد والتفاوض فى الوقت نفسه». هذه وجهة نظرهم. أما نحن فقلنا لهم: «أنكم ضعفاء وعلى ماذا يفاوضكم النظام الذى يريدكم أن تكونوا صاغرين له، ولا يمنحكم أى حق بالكلام أو يقبل مطالب منكم؟».

وبعد المداولات التى استمرت خمس ساعات خرجنا من الهيئة التأسيسية للتاحالف بقرار اجماعى هو عدم التفاوض والكف نهائياً عن المفاوضات وإذا طرح هذا الموضوع

فيجب أن يطرح فى الأمانة العامة والهيئة التأسيسية للتحالف والوطنى. وفى حال اقراره بالاجماع يمكن عندها أن يصير تفاوض.

– وإذا فاوضوا بدون علمكم مرة أخرى؟

* عندها لكم حادث حديث. ونحن الآن متفقون على قرار عدم التفاوض الذى وقع عليه أبو غده وعلى البيانونى، والتزم الجميع بعدم اجراء مفاوضات اطلاقاً، وأن تطرح القضية أولاً على التحالف. وإذا ظهر أنهم تفاوضوا سراً وبدون علم التحالف فستتخذ القرارات المناسبة.

– استمرار عدنان سعد الدين فى رفض اجتماعات التحالف هل يعنى انسحابه منه؟

* لا، لم ينسحب بل رفض الحضور وقال أنه لن يجلس مع أناس تفاوضوا. ونحن نقلنا له قرار عدم المفاوضات وموافقتهم عليه، لكنه مُصر على موقفه. عدنان سعد الدين موجود حالياً فى التحالف مع جماعته ولهم مقعد شاغر حالياً فى قيادة التحالف. وهم اعضاء طبيعيون فى الهيئة التأسيسية ولظروف معينة لم يتمكنوا من حضور الدورة الثامنة، ونتوقع حضورهم فى الدروة التاسعة. ومازال هؤلاء يشاركون فى كل مكاتب التحالف.

الكفاح المسلح:

– لماذا أخرجتم أمين الحافظ (أبو عبدو)؟

* نحن لم نخرج أبو عبدو ابداً بل هو اعتذر عن عدم الاستمرار فى قيادة التحالف لكنه مازال موجوداً فى الهيئة التأسيسية.

- لماذا؟

* له ظروفه الخاصة ووجهات نظر لا تنسجم مع الآخرين.

- مثل ماذا؟

* لديه تصور لموضوع الكفاح المسلح. ونحن هنا الغينا الكفاح المسلح الآن.

- لماذا الغيتم عبارة "الكفاح المسلح" من الميثاق؟

* الغينا الكفاح المسلح واستبدلناها بـ «الكفاح النضالى».

- من اجبركم على هذا؟

* لم يجبرنا أحد.

- إذن من طرح الالغاء؟

* هذه العبارة تؤذينا عندما نكون فى المحافل الدولية حيث يقولون لنا أننا نستخدم الكفاح المسلح وهذا «يخوف الناس».

- هل ازلتم هذه الكلمة لأن الأخوان المسلمين كانوا الرئيسيين فى هذه العمليات؟

* نحن ازلنا عبارة «الكفاح المسلح» لأنهم قالوا لنا أننا أرهابيون فى عدة لقاءات دولية واجتماعات لـ «حقوق الإنسان». ولذلك عدلنا هذه العبارة إلى «عمل نضالى».

- إذن لا يحق لأى طرف فى التحالف استخدام الكفاح المسلح داخل سوريا بعد الآن؟

* حالياً لا يحق لأى فريق أن يستخدم ذلك إلا بقرار من التحالف.

– ماذا يحدث إذا خالف احدهم ذلك؟ هل لديكم مجلس تأديبى.

* لا، ليس لدينا مجلس تأديبى.

– ماذا حذفتم أيضاً أو أضفتم إلى ميثاق التحالف؟

* لا شئ.

– بعض الأطراف طلب حذف كلمة "ديمقراطية" لأنها تعنى حكم الشعب، وتلك الأطراف تؤمن فقط بحكم الله.

* هذا كلام غير صحيح. إن المبدأ الأول للميثاق يقول: «العمل الجاد والدؤوب لاسقاط النظام الحالى باعتماد كافة الوسائل السياسية والإعلامية والجماهيرية والعسكرية، وعلى رأس هذه الوسائل: الكفاح المسلح. ولاحظنا أن هذه العبارة زائدة فاكتفينا باعتماد «كافة الوسائل السياسية والإعلامية والجماهيرية والنضالية» واسقطنا كلمة «العسكرية».

– وماذا عن "الديمقراطية" اين هى فى الميثاق الوطنى لتحرير سوريا؟

* هى فى قولنا باقامة حكم برلمانى دستورى وتحقيق الحرية لكل المواطنين.

– كيف تنازلتم عن الديمقراطية؟

* لا لم نتنازل عن الديمقراطية وعملنا على توحيد فصائل المعارضة التى كان بينها عداء تاريخى، ووضعها فى تحالف واحد.

– كيف تتخلون عن كلمة حكم الشعب، أى الديمقراطية، من أجل

ابقاء أى فصيل؟ وما أهمية أى حزب أو حركة لا تؤمن بالديمقراطية؟

* حسب اعتقادهم أن لفظة ديمقراطية مستوردة.

– لماذا لم تعتمدوا مثلاً عبارة "حكم الشعب"؟

* على كل حال قلنا بنظام نيابى دستورى، والشعب يقرر الدستور ومواده ونحن هنا لا نقرر ما يريد الشعب.

– لكن ألم يطرح احد عبارة "حكم الشعب لنفسه بنفسه"؟

* إذا كانت هذه العبارة هى المشكلة فمن الممكن اضافتها. (وبالفعل بعد أسبوع من هذا الحديث أضيفت كلمة «الديمقراطية» عندما قدم أحد اعضاء الهيئة التأسيسية طلباً بذلك ووضعت فى الميثاق).

– لننتقل إلى موضوع آخر: هناك ٣٢ عضواً فى الهيئة التأسيسية للتحالف. هل تعتقدون أنكم، فى نيسان (إبريل) ١٩٨٨، قادرون على توجيه ضربات للنظام، واصبحت لديكم خبرة أكبر من السنوات الست الماضية؟ وهل لديكم سيناريو لإزالة نظام الأسد؟

* أن طموحنا ليس أن نكون ٣٢ عضواً فى الهيئة التأسيسية، بل أن تكون هذه الهيئة ممثلة لكل شرائح الشعب السورى وأن تكون برلماناً حقيقياً يتألف من ٢٠٠ شخصية سورية تمثل الأحزاب والتنظيمات والمجموعات والاتجاهات. وهذا هو الهدف. نحن مهمتنا الأساسية فى الوقت الحاضر تدعيم هذا التحالف وإضافة عناصر جديدة إليه. والباب مفتوح للدخول فيه. بالإضافة إلى التقاء الزعماء يجب التقاء الناس. فالبعثيون والأخوان موجودون على مستوى القيادة ويجب تثقيف القاعدة على مبادئ التحالف. وهذه مهمة كبيرة، وموضوع الحكم هو فى الدرجة

الثانية لأننا لا نريد أن نقلب نظام الحكم ونبدأ بالصراع داخل التحالف، بل يجب الاتفاق بين العناصر والكوادر فى الأحزاب، أن شعب سوريا لم يعد يحتمل الصراعات الحزبية. واليوم نرى نتيجة فشل تجربة حكم الحزب الواحد. ونحن نقول أن سوريا للسورين كلهم من الصغير إلى الكبير وهذا مبدأنا وهذه قناعتنا كحزب بعث. أن الشعب السورى هو الحكم وإذا فاز الأخوان المسلمون بالأكثرية فدعهم يحكمون سوريا، وإذا فاز البعثيون فليحكموا. أى أننا نترك للشعب الحكم بين الأحزاب عبر انتخابات نيابية. ولا أحد هنا يدعى أو يقدر أن يقول أنه يمثل الشعب السورى. لكن نحن، ضمن امكانياتنا، نرى أن شريحة الأخوان المسلمين والتيارات الناصرية والبعث الموجود فى التحالف مع بعض الشخصيات المستقلة قادرة على كسب أكبر عدد ممكن. هذه امكانياتنا ولا ندعى أن التحالف يمثل كل الشعب السورى.

– تتهم المعارضة السورية بالتبعية لهذه الدولة أو تلك ما رأيك؟

* نشاطاتنا السياسية غير كافية ولعلنا مقصرون، ولم نشكل وفوداً لنعرض قضيتنا على الدول الكبرى. ولكن بعد مرحلة ربما سننشط أكثر.

– لماذا نرى أن شخصية تاريخية مثل اكرم الحوارنى انسحبت من التحالف، وكذلك أمين الحافظ الرئيس السورى السابق، فيما دخلت عناصر هامشية؟

* اكرم الحوارنى كان موجوداً فى بداية التحالف فى ١٩٨٢ واستمر لثلاث سنوات وأكثر. وحتى الآن لم ينسحب من التحالف. لكن وضعه الصحى ووجوده فى باريس لا يسمحان له بالتحرك.

– لماذا لا يرسل إلى التحالف بمبعوث يمثله، هل كل معاونيه مرضى؟

* لا ، ابداً. عندما دخل اكرم الحوارنى التحالف قال: أنا لست داخلاً كحزب وليس لدى حزب بل أدخل بشخصى وباسمى ولا أنيب احداً عنى. هذا كلام مثبت عندنا فى التحالف.

– لماذا لم يدخل كممثل للحزب الاشتراكى؟

* قال أنه ليس لديه حزب. وبعد خروجه من سوريا حدثت انشقاقات فى حزبه وتخلى ولم يعد عنده حزب، ودخل التحالف باسمه الشخصى.

– إذن، مازال فى التحالف؟

* إن اكرم الحوارنى لم يطلب الخروج من التحالف ووضعه الصحى لا يسمح له بالمجئ، وهو خارج التحالف الآن.

– وماذا عن أمين الحافظ؟

* لم يخرج من التحالف ومازال يناقش فى الهيئة التأسيسية فى كل القضايا المطروحة، وله اراؤه فى هذه القضايا. وعندما لا تنسجم معه يقول: «هذه قناعتى...» .

– اراد أمين الحافظ فى نهاية الستينيات انشاء جيش لتحرير سوريا، فهل منع من تشكيل هذا الجيش؟

* لا أجيب عن هذا السؤال لأننى لا أعرف. أن «أبو عبدو» لم ينسحب من التحالف وقد طلب عدم الاستمرار فى الأمانة العامة لأن لديه اعتراضات على مسيرة التحالف. وكان من المصرين على انضمام الشيخ عبد الفتاح أبو غده

مسيرة التحالف. وكان من المصرين على انضمام الشيخ عبد الفتاح أبو غده للتحالف، وعندها خرج عدنان سعد الدين، فذهب أمين الحافظ إلى بيت سعد الدين وكان اكرم الحوارنى هناك، ولم يقتنع معه. كما أن لدى أمين الحافظ وجهات نظر حول الكفاح المسلح وتشكيل معسكرات. لكن الظروف لا تسمح، ولسنا على أرض سوريا. ولك ما يطرح يجب وضعه ضمن ظروفنا، ولا يمكننا عربياً ودولياً أن تنشئ جيشاً لتحرير سوريا فى أية دولة عربية.

سيناريو:

– إذن ما هو السيناريو للاطاحة بالنظام ولو كان نظرياً؟

* أننا نجمع الامكانات لاعداد فصائل جاهزة للعمل النضالى على الساحة السورية. ومن خلال وضع سوريا الاقتصادى، من الممكن تعبئة شعبية للجماهير كتحالف يضم أخواناً مسلمين وبعثين وناصريين ومستقلين، ويعمل كل فى اتجاهه. ونحن لنا تنظيمات على الساحة السورية ويمكن أن نوجهها لتعبئة الجماهير السورية للاطاحة بالنظام وهذا ما نفكر حالياً به، ولن نعدم وسيلة، وحتى العمل النضالى نخوضه إذا تطلب الأمر ذلك.

– حتى العمل العسكرى؟

* ممكن... ممكن.

– لكن السيناريون غير مقنع. هناك من يقول أن السنة تعاملوا مع النظام الحالى أكثر من العلويين؟

* لم نقل سوى أن النظام استغل الطائفية السياسية لحساب مصلحته. وليس كل العلويين يشاركون معه. أن الأسد يحكم سوريا من خلال ما يسمى بحزب

كل الجيش علوياً. لكن المراكز الأساسية التى تمسك بزمام الأمور هى علوية.

– إذن يوجد هناك بعثيون حقيقون فى سوريا؟

* نحن لا نعترف بوجود حزب بعث فى سوريا الأسد يحكم باسم حزب بعث. ونحن نتلكم عن الشرعية الحزبية. ما حصل فى شباط (فبراير) ١٩٦٦ هو أن مجموعة حزبية انقلبت ضد القيادة القومية والشرعية الحزبية، وظل الحزب مجيراً لهم بالقوة.

– فى المستقبل، هل هناك امكانية أن يتحد الحزب الحاكم فى سوريا مع البعث الشرعى؟

* لا اعتقد بوجود امكانية هذا النوع، إلا مع عناصر اساسية حزبية من قبل نكسة ٢٣ شباط (فبراير)، مازالوا فى سوريا، ولم يتورطوا مع النظام، ولم يقبلوا التعاون معه. هذه الفئات البعثية مازالت بعثية والظروف مرهونة بالمستقبل وربما اقتضت المصلحة مستقبلاً توحيد الحزب.

– كبعثيين عقائديين، هل مازال لديكم حلم أن الجماهير البعثية في سوريا ستتحد معكم؟

* نعم.

– لماذا لم يدخل "البعث الديمقراطى" أى جماعة ماخوس؟

* ليس لدينا اعتراض على البعث الديمقراطى الذى يمثله إبراهيم ماخوس. وفى السابق كان لنا اعتراض قبل تبديل اسمهم (البعث الديمقراطى) واقترحنا تغيير الاسم فى بداية الثمانينيات فرفضوا وحالياً لم ينقطع الحوار ومازلنا نتشاور

معهم من وقت إلى آخر. لكنهم متشرذمون ومتشددون فى الطروحات حول الطائفية، ومازال ماخوس يتشبث بموضوع الجيش وعد المساس به. والمشكلة أنهم انقسموا إلى ثلاثة اقسام ولم يبق هناك حزب، وصار عندهم مجموعة محمود القباني ومجموعة مصلح سالم ومجموعة ماخوس، واصبحوا شللاً. واعتقد أن سبب الانقسامات فى «البعث الديمقراطى» شخصى، ويعود فى الدرجة الأولى إلى تسلط ودكتاتورية إبراهيم ماخوس الذى يعتبر نفسه هو الحزب والقاعدة والقيادة. من هنا بدأت الخلافات بينهم.

– هل مازال له اتباع فى الداخل؟ وهل وجهت لهم الدعوة للدخول فى التحالف؟

* لا أعرف عن قوتهم فى الداخل. لكن إذا وافقوا على ميثاق التحالف وطلبوا الدخول فمرحباً بهم مثل اية شريحة من شرائح الشعب السورى.

– ولن يضع أى فصيل فى التحالف (ڤيتو) ضدهم؟

* فى الماضى كان من اعترض على وجودهم فى الهيئة التأسيسية. لكن الآن أن قبول أى عضو جديد أصبح من مهام الأمانة العامة والتصويت يتم بأغلبية الثلثين.

– من تضم الأمانة العامة فى تشكيلتها الجديدة بعد الدورة الثامنة؟

* تضم ٢ من الأخوان، ٢ من البعثيين (شبلى العيسيمى ومحمد برهان)، واحد من الناصريين (محمد الجراح)، و٢ من المستقلين (أحمد سليمان الأحمد ومصطفى حمدون).

– إذن لم يدخل أحمد سليمان الأحمد باسم الحزب الوطني الديمقراطي؟

* دخل كمستقل.

– ومصطفى حمدون؟

* مصطفى حمدون قاد حركة انقلاب فى الخمسينيات ضد حكم الشيشكلى وهو ليس حزبياً الآن، وهو خارج الجيش منذ ٣٠ سنة.

– لماذا لم يدخل الشيوعيون (المكتب السياسى) التحالف؟

* ربما لظروفهم. وحاورناهم وبيننا وبينهم كحزب علاقات. والاحتمال الأكبر أنهم سيتواجدون فى الدروة التاسعة للتحالف.

– لكن ما الذى حال دون انضمام الشيوعيين فى الدورة الثامنة؟

* يجب أن تسألهم ولا أقدر أن أجيب نيابة عنهم.

تعقيب من الأمانة العامة للتحالف

هذه السلسلة من المقابلات التى أجرتها «الوطن العربى» مع أركان المعارضة السورية، لاقت أصداء واسعة فى الأوساط العربية شعبياً ورسمياً، وفى أوساط المعارضة نفسها. وجاءنا هذا البيان من الأمانة العامة ننشره دون تعليق الآن، ولنا عودة شاملة عند الأنتهاء من نشر المقابلات.

صرح ناطق رسمى باسم الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا بما يلى:

«أن الأمانة العامة للتحالف الوطنى للتحرير سوريا ناقشت فى جلستها المنعقدة فى تاريخ ١٩٨٨/٧/٢ ما نشرته مجلة «الوطن العربى» من مقابلات مع بعض أعضاء التحالف وما ورد على السنتهم من تعرض للتحالف ولبعض أطرافه، وجلاء لحقيقة موقف التحالف من هذا الأمر وتوضيحاً للأخوة المواطنين فأن الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا تعقب على هذه المقابلات بما يلى:

فى الوقت الذى تتلاحق فيه المحن والشدائد على شعبنا الصامد فى سوريا حيث يعيش كل الوان القهر والفقر والأذلال تحت حكم الخيانة الأسدى، وفى الوقت الذى يبدو فيه شعبنا أحوج ما يكون إلى رص الصفوف وتوحيد الكلمة وجمع الجهود لأنقاذ الوطن من براثن الطغمة الحاكمة الجاثمة على صدره حسب ما عبرت عن ذلك الهيئة التأسيسية للتحالف الوطنى لتحرير سوريا فى دورة أجتماعاتها الأخيرة، فى هذا الوقت بالذات، طلعت علينا مجلة «الوطن العربى» بعدد من المقابلات الصحافية أجرتها مع بعض رجال التحالف أستجر فيها بعضهم إلى معارك جانبية بعيداً عن ساحة الصراع الحقيقية مع النظام، وتناول فيها بعض أطراف التحالف ورجالاته ممن يقر الجميع بفضلهم وتشهد ساحات النضال

بسابقاتهم. إن الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا تأسف لكل عبارة صدرت فى هذه المقابلات تمس التحالف الوطنى والمعارضة السورية أو أى طرف من أطرافها وتؤكد أن هذه العبارات لا يمكن أن تعبر عن رأى الأمانة العامة أو تتفق مع تقويمها العالى لقيادات التحالف جميعاً وأنما هى فى حالة ثبوتها مجرد رأى شخصى. أن قادة المعارضة السورية وجميع الأحزاب والشخصيات المشاركة فى التحالف الوطنى لتحرير سوريا تتمثل فى هذه المرحلة التحريرية الحاسمة الحس الوطنى الصادق لضمير شعبنا وموقف أمتنا وأنهم جميعاً أفراداً ومجتمعين فوق كل ما قيل فى تلك المقابلات.

أن الأمانة العامة إذ توصى جميع أعضاء التحالف وجميع أبناء شعبنا فى سوريا أن يوحدوا جهودهم ويوفروها للمعركة الحقيقية مع النظام الجاثم على صدر وطننا الحبيب وإلا يستجروا إلى معارك جانبية لا يستفيد منها إلا هذا النظام الخائن وأن يأخذوا أنفسهم جميعاً يقول الله عز وجل:«وقل لعبادى قولوا التى هى أحسن، إن الشيطان ينزع بينهم،» لنؤكد للمواطنين جميعاً ولجميع أبناء أمتنا بهذه المناسبة أن أطراف التحالف هم اليوم أشد تماسكاً وأكثر أصراراً على متابعة معركة التحرير وإن التحالف الوطنى ما زال ساعياً لتوسيع أطاره لأستيعاب جميع القوى الخيرة المناضلة ضد عدو الشعب والأنسانية حليف الصهيونية وكل أعداء الأمة حافظ الأسد وهو بهذا. أنما يتحرك مستهدياً بتطلعاتكم نحو الوحدة الوطنية الشاملة، مستلزماً البسالة والصبر من جمود شعبنا وتضحياته والسلام عليكم ورحمة الله.

الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا.

وقفة مع "ملفات المعارضة السورية"

ملفات المعارضة السورية التى تفردت «الوطن العربى» بنشرها، تقترب من نهايتها. وكما كنا نتوقع، فقد أثارت هذه الملفات ضجة كبرى واهتماماً واسعاً لدى القراء السوريين تحديدياً والعرب عموماً، من مؤيدى النظام السورى، وهم قلة، ومن معارضيه. وقد تجلى هذا الاهتمام عبر عشرات الرسائل التى وردتنا من جمهور عريض، وبعضها يحمل تواقيع لشخيصات معروفة ومرموقة، وشاركت احياناً فى صنع الأحداث. وتدخل أصحاب هذه الرسائل لتصحيح معلومة هنا أو رواية هناك، أو لإبداء رأى أضافى بالنظام أو حتى بالمعارضة نفسها وببعض شخصياتها.

وقد فرزنا هذه الرسائل إلى مجموعتين. المجموعة الأولى وهى التعليقات السريعة، وسننشرها فى بريد القراء. أما المجموعة الثانية التى يمكن أن نطلق عليها وصف «المدروسة» فإننا سننشرها فى حلقات مكملة لملفات المعارضة السورية، وهى تستحق ذلك لأنها تشكل إضافة حقيقة للملفات. ولذلك نلفت انظار السادة القراء الذين تلطفوا بالكتابة إلينا حول هذا الموضوع أن يعذرونا لتأخرنا فى نشر تعليقاتهم ورسائلهم. وقد كان هذا التأخير نتيجة للترتيب الذى اتخذناه، فلا يظنن أحد منهم أننا اهملنا النشر، خصوصاً وأن بعض الرسائل المهمة سيحملنا على تخصيص عدة صفحات لها فى كل عدد.

أما الحلقة المنشورة فى هذا العدد من «الملفات» فهى مخصصة لشخصية بارزة فى المعارضة السورية ولها تاريخ فى مجالات العمل الوطنى والقومى، الشاعر الأستاذ أحمد سليمان الأحمد. والحوار معه جرى عميقاً هادئاً صريحاً متكاملاً، ولذلك سننشره على حلقتين.

وعلى الرغم من أن الأستاذ أحمد سليمان الأحمد له تحفظات شديدة على بعض الظواهر الطائفية، أو البحث من منطلقاتها، وفاء منه لثوابته الوطنية والقومية، إلا أنه تسلح بسعة الصدر واجاب عن الاسئلة المتعلقة بالطائفة العلوية الكريمة فى سوريا. ويكتسى حديثه عنها اهمية خاصة، ليس فقط لأنه احد أبنائها ونجل أمام الطائفة وشقيق الشاعر الكبير بدوى الجبل، بل لأنه القى أضواء ساطعة على حقيقة الطائفة ومعتقداتها وتاريخها، ورد على كثير من المزاعم والاتهامات التى تلصق بها زوراً.

ونترك القراء يتابعون الحوار الشيق مع الأستاذ أحمد سليمان الأحمد.

أحمد سليمان الأحمد بعد أن أجريت الحوار معه اتصل بصاحب مجلة الوطن العربى ورشاه... وحرّف بالمقابلة كما يريد وهاجمنى بها... واستقلت لاسبوعين فى مجلة الوطن العربى بسبب التحريف ولكن الرجل توفى مؤخراً فى منفاه فى هنجاريه رحمه الله...

الفصل الثاني عشر

الفصل الثانى عشر

اسرار وحقائق الطائفة العلوية

«الوطن العربى» تحاور ابن أمام الطائفة أحمد سليم:

"الوطن العربى": السؤال التقليدى: من هو الدكتور أحمد سليمان الأحمد؟

أحمد سليمان الأحمد: بكلمات، أحمد سليمان الأحمد هو مواطن عربى ولد فى أسرة معروفة بالعلم والفقه والاصلاح والارشاد، ونشأ فى هذا الجو فاستطاع أن يتربى على كثير من مبادئ أخلاقية وعلمية ووطنية وقومية حقة.

- فى أى عام ولدت؟

* ولدت عام ١٩٢٦ فى قرية صغيرة من أعمال اللاذقية تُسمى «السلاطة». وهو اسم غريب، ولكن القرية، بالمقابل، جميلة جداً، ينبسط أمامها البحر ولو على بعد، وفى جانبها الآخر يشمخ الجبل بغاباته وقممه. وربما من هذا الجمال الطبيعى الأخاذ يتولد لدى الإنسان الكثير من المشاعر المرهفة والنقية. وفى أسرتنا برزت أسماء كبيرة فى محيطها وكان لها أثر فى جيلها وأجيال لاحقة. وبعض هذه الأسماء تجاوز المساحة الأقليمية ليمتد على نطاق الوطن العربى مثل والدى العلامة الأمام الشيخ سليمان الأحمد عضو المجمع العلمى العربى بدمشق والشاعر والفقيه والعالم اللغوى والمصلح، وأخى الكبير هو الشاعر العربى المعروف بدوى الجبل. وقد انتقل والدى إلى جوار ربه وأنا ما أزال فى حدود السادسة عشر ومع ذلك فقد قرأت على يديه أهم كتب الأدب واللغة والشعر مثل الكتاب لسيبويه، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والأمالى لأبى على المقالى، والحماسة لأبى تمام، وعشرات الدواوين لشعراء الجاهلية والإسلام. وتابعت دراساتى

الجامعية ونلت الدكتوراه فى علم الاجتماع الأدبى من جامعة السوربون (باريس) ثم كنت العربى الأول، وربما الوحيد حتى الآن، الذى حصل على الدكتوراه العليا فى علوم اللغة وآدابها من اكاديمية العلوم بموسكو (الإتحاد السوفياتى). ولم أمارس الأعمال الوظيفية. ولكنى عملت أستاذاً جامعياً خارج سورية بين ١٩٥٩ و١٩٦٤، ثم أستاذاً فى جامعة دمشق من عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٨٠ وهو تاريخ مغادرتى سورية.

– ماذا كنت تدرس فى جامعة دمشق؟

* كنت أدرس فيها الأدب الحديث والنقد الأوروبى. ولدى مؤلفات شعرية وفكرية وأدبية كثيرة.

– منها؟

* فى حقل الشعر استطيع أن أذكر: «الكلمة للشمس والشهيد»، و«أغان صيفية» و «الرحيل إلى مدينة التذكار»، و «بستان السُحُب» و «أرواد... وحُلم فى العيون» و «للكلمات جهات تقصدها عمداً». وقد كتبت مسرحيتين شعريتين هما «مم وزين» وهى من الأدب الكردى المكنون فى العراق، و«المأمونية» وهى قصة المغنية العباسية الشهيرة عريب التى خلع عليها المأمون اسمه لمحبته لها وإعجابه بها. كما كتب مسرحية شاعرية تعرض بدراً واحداً والخندق وأسميتها «أغنية تقاوم أثنى عشر غراباً». وأول ديوان نشر لى فى مدينة اللاذقية وأنا فى السادسة عشر من عمرى. وقد صدر مؤخراً جزآن من أعمالى الشعرية الكاملة التى تحتل– حتى الآن– خمسة أجزاء، أرجو أن تنتهى طباعتها خلال عام. ولدى دراسات أدبية استعانت بها عدة جامعات عربية وأعيدت طباعتها مراراً مثل: «الشعر العربى والقضية الفلسطينية» و «هذا الشعر الحديث» و «المجتمع والمسرح العربى الشعرى».

وصدرت لى بالفرنسية مجموعتان شعريتان ترجمتهما المستشرقة الفرنسية المعروفة أوديت بتى. وصدرت لى ثلاثة دواوين باللغة البلغارية. وترجمت قصائدى إلى أهم اللغات العالمية بما فيها الفرنسية والإنكليزية والروسية والأسبانية والالمانية. كما صدرت لى دراسة عن الشعر العربى الحديث فى كتيب بالروسية.

– من هذا السرد الموجز لأعمالك الأدبية، فمن الذى قادك إلى السياسة بحق الله؟

* قبل كل شئ أريد أن أطمئنك إلى أن السياسة التى تعنى لم ولن أنقاد إليها. ولم أفكر ولم أقبل فى حياتى أبداً أن أخوض ميدان مثل هذه السياسة. ولهذا قضيت هذه الفترة الطويلة فى مجالات الأدب والفكر. ومع ذلك، وبالمقابل، فأنى لم أفكر لحظة واحدة بالأبتعاد عن قضايا الشعب والأمة، لأنى أعيشها بكل حواسى، ولأنها تشكل بالنسبة لى مبرراً للوجود والعمل فى أوسع مفاهيمه. ولم أفهم الأدب والشعر والفكر سبيلاً إلى الشهرة والمجد الشخصى. صحيح إن الشعر العظيم خالد، والدليل على ذلك ما نحفظه وما نستشهد به بعد مئات السنين، وما سيحفظه ويستشهد به الناس بعد مئات وألوف أخرى. ولكنى لا أريد لنفسى ولا للآخرين أن تكون الشهرة والمجد الشخصى غاية. أنى أضع الأدب والشعر والفكر فى خدمة الناس. ومن هنا يتخذ الفن عموماً جماله وجلاله، روعته وجداوه، ومن هنا يكتسب آفاقه اللامحدودة التى يمدها الألها الذى لا ينفذ.

ولكى أرد مباشرة على تساؤلك الذى يبدو محقاً ومشروعاً فسوف أقول أنى وجدت ضرورة أن آتى ميدان النضال الأجتماعى والسياسى رغم أنى ما أردت أن أجيئه سياسياً لولا ظروف معينة أحاطت بسورية وبوطننا العربى ككل. وقد كنت أوثر أن يقوم غيرى بما أنتدبت نفسى إليه، مكتفياً بأن أدعم هذا الفرد أوهذه الجماعة، ولكن الأمر كان أهم

وأقوى، ويقتضى أن أخوض أنا بنفسى غمار هذه المعركة، فلم أكسل ولم أتردد. وأنى مرتاح لكونى اؤدى واجباً قومياً ووطنياً وإنسانياً وفكرياً. وإن كنت أوثر أن تكون الظروف والأيام لم تحوجنا إلى ضرورة أتخاذ مثل هذا الموقف، وظلت سورية سائرة صعداً فى درب الحرية والديمقراطية والأزدهار.

– ما هو العامل الأساسى والعنصر الذى دفعك إلى مغادرة سورية، وهل كنت تمارس السياسة ما بين أعوام ١٩٦٦– ١٩٨٠ ولم توجه النقد للنظام؟

* العمل السياسى كما يفهم على أنه الأنخراط فى الأحزاب أو فى الوظائف والوزارات والقيادات، فهذا ما لم أكن أريده، وهذا ما كان يسعى إلى منقاداً يجرر أذياله. ولكنه ليس من طبيعتى. كنت أمارس العمل التوجيهى والفكرى، وكان لى رأى دوماً فيما يجرى فى الوطن أو ما يجب أن يجرى وكيف يجب أن تسير الأمور. وقد كان الشعر لى مساعداً أميناً، وأداة مجدية ضمن أدوات أخرى. ولو عدت إلى دواوينى فى هذه الفترة لوجدت فيها أوضح وأشجع موقف وطنى قومى تقدمى. وأنا الذى صحت برجال النظام المتسلط منذ عام ١٩٧٣ :

يتناهبون بلادهم وكأنهم
يتناهبون مزارعاً ومتاجراً
يستبطئون جهنماً... فلتكوهم
نار الشعوب ميامناً ومياسرا

قابلت الأسد مراراً ولم أخرج مرة مرتاحاً

ولو شئت أن استرسل بالاستشهاد لاحتجنا إلى تأليف كتاب. ولم أكتف بالموقف الشعرى، أو بالخطبة السياسية، أو بالاجتماعات هنا وهناك، وإنما تقدمت مرتين

للانتخابات فى محافظة اللاذقية بقائمة ضد قائمة الأسد. كنت أعلم أن النتيجة معدة سلفاً، وفى المرة الثانية، صيف ١٩٧٧، قاطعت محافظة اللاذقية الانتخابات، خاصة فى الأرياف، احتجاجاً على أساليب السلطة. ولقد طفت بنفسى على أكثر مراكز الاقتراع ورأيتها مقفرة بما فيها مراكز الاقتراع فى القرداحة- بلدة حافظ الأسد- وعندما كان يعلم الناس بوصولى كانوا يتحلقون حولى ويبدون استنكارهم لحرمان السلطة لهم من ممارسة حقهم الانتخابى كما يريدون. ولقد كان وزير الداخلية يومذاك عدنان الدباغ، منصفاً إذ اعترف بأن قائمة الدكتور أحمد كانت هى المكتسحة وهى الناجحة بالأغلبية الساحقة أن لم يكن بشبه الاجماع لولا أصفق عملية تزوير للشعب وارادته. وإلى هذا أشرت فى قصيدتى:

قلها.. عنيت مزوّرين شعوبهم

أو بعد دهياء أعد دواهيا

ولقد تقدمنا إلى المحكمة العليا بطعون ما زالت لدىَّ صور منها، وقد قالوا لى: أنت يا دكتور رأيت التزوير ولمسته فى محافظة واحدة، أما نحن فتصلنا اخباره من جميع المحافظات. ولم نزدد معرفة باحتقار السلطة للإرادة الشعبية.

ولا بد لى من أن أسجل هنا للحق والتاريخ- وهناك شهود عادلون، وهناك الشعب نفسه الذى ما زال ولم يتغير- بأنى عندما طفت أحياء مدينة اللاذقية كانت الجماهير تحتشد حولى، وكان الوجهاء والمثقفون والبسطاء يقولون بعفوية وطنية رائعة، رغم جو الأرهاب والطائفية: نحن نعتبر- إذا تزورنا- أن عبد الواحد هارون وعبد القادر شرتيح (وهما زعيما اللاذقية التاريخيان) هما اللذان يقومان بزيارتنا. أجل هذا هو شعبنا فى حقيقته وأصالته.

وعندما رأيت أن الأمور أصبحت متحجرة صماء لا يجدى بها نقد أو توجيه أو ما

شابه ذلك، قررت أن أبتعد وأن أحمل صوت شعبى إلى مجالات أوسع وأجدى وأكثر حرية وأبعد عن مجالات الضغط أو الضغط العنيف كى لا أستخدم تعابير على الأقل الآن.

الحكم الطائفى لايعنى أن الطائفة حاكمة:

– لعن الله هذا الزمان الذى يدفعنا لتصنيف أبناء شعب سوريا العربى على المستوى الطائفى، لكم بما أنك من ابرز رجالات الطائفة العلوية الكريمة، وإذا عرفنا نضال أسرتك التليد الذى لا ينكره حتي الأعداء، هل كنت أستاذاً فى جامعة دمشق أو مسؤولاً فى رابطة الأدباء أو الخريجين أو غيرها، حصل أن التقيت مع حافظ الأسد وتكلمت معه وحذرته من مهاوى الطائفية... وما دار بينك وبينه؟

* أنا معك فى استنكار الظروف غير الوطنية التى جعلت لغتنا الواقعية تسخدم تعابير لا نقرها ونبرأ إلى الله والوطن والأمة منها. وهى غريبة عنا وخاصة عنا نحن فى سوريا. بل أنها غريبة على أصالتنا نحن العرب بشكل عام. مهما يكن، لنكن واقعيين ونتعامل مع واقع أرادته لنا طغمة مشؤومة وما تزال جهات معينة، سواء عن جهل أو عن فهم خاطئ لكثير من الأمور، أو عن إرادة شريرة ورغبة فى التخريب كامنة أو عن طريق كشبوه مرتبط بأعداء العرب والإسلام، تحاول أن تنفخ لتأجيج نار المحرقة.

لقد كنت أشعر دوماً وكان لى من مركزى الاجتماعى والفكرى وغير ذلك ما يخولنى أن أنتقد وأن أكون جريئاً بل قاسياً وعنيفاً، وأن يجد كل هذا صدى لدى المثقفين ولدى الجماهير بشكل عام. ولم أكن أنا وحدى من يمارس ذلك.

وكان الكثير مثلنا، ومن أخواننا، يرون السبيل الخاطئة، الوخيمة العواقب، التى يندفع

فيها الحكام، وكنا نحاول بما أمكن لدينا من نوعيهم وأن نبين لهـم مغبة هذا الطريق الذى يسلكون، وكانت هذه التوعية تتراوح بين العنف والليونة والمحاكمة العقلية. ولكن القضية ليست قضية نصائح أ ارشادات أو كشف خبايا، فالواقع يتجاوز ذلك. ولدى رأس النظام مخطط هو ومن تبعه فيه المسؤولون عنه. وإذا كان ثمة إنسان مجرم فمن الطبيعى أن نحلل لماذا هو مجرم، ولكن يبقى فى أخر المطاف، سر اجرامه لديه هو أكثر من غيره. وقد تكون لى أو لغيرى بعض الحرمة الاجتماعية فلا يقدم الحاكم المتسلط على اعتقالى مثلاً ولا يجد المبرر لفعل ذلك، ولكنى لست– وليس غيرى– بمنجاة من أمور أخرى. ربما أثار الاعتقال فى البلد أموراً فى غنى عنها. ولكن الاغتيال عملية أسهل. ومنالسهل الصاقها بأى شخص أو جهة، ومن السهل ابراز القتيل على أنه شهيد، والأستفادة من مقتله فى المخطط الأجرامى.

النظام يمارس القتل على الهوية:

كنا وصلنا إلى خيار: أما الرضوخ أو الصمت وأما القتل.

وهنا برزت الهجرة لمتابعة النضال فى ظرزوف قاسية جداً. والابتعاد عن الوطن عملية قاسية رهيبة تحمل الكثير من الآلام والعلل النفسية والجسدية. لكن هذا قدر المناضل، لأننا لن نرضخ ولن نسكت. ولماذا الرضوخ وما هدفه. لو اردنا أن نجامل لكان بيدنا الشئ الكثير. أما إذا كان لابد من القتل فليقتل الإنسان فى سبيل رسالة، فليقتل وهو يناضل. ونحن الآن مهددون فى كل لحظة وأنت ترى والجميع يرون كيف يصرع المناضلون والشرفاء فى العالم بواسطة عمليات أرهابية يشترك فيها المجرمون والأرهابيون من عملاء أجهزة القمع ومن الصهاينة ومن المحترفين والمرتزقة (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله). ولى فلسفة أنا مرتاح إليها وهى إن الخوف يجب أن يلحق بالطاغية لأن شعباً بأسره قد حكم عليه السقوط. وقد التقيت بحاتفظ الأسد أكثر من مرة وهو رئيس جمهورية. ولم أكن مرتاحاً

فى أى مرة إلى نوع تفكيره وأسلوبه وفهم الأمور، وطرحها أو معالجتها. وكانت ثمة أشياء شاذة وغريبة لديه.

حافظ الأسد:

- صحيح أن الأسد استلم السلطة (١٨ سنة) ولكنه ما يزال غامضاً ولا توجد مؤلفات عميقة تشرح نفسيته وأفكاره الحقيقية. وعندما اجتمعت به المر تقل له لماذا يستمر فى القتل والفساد والبطش وزجة الألوف فى السجون وماذا كان جوابه وأنت كنت قادراً على مواجهته؟

* لا يتعلق الأمر بالقدرة على المواجهة أو عدمه، بل باستعداد الشخص الذى تواجهه لأن يتقبل منك النصيحة أو التوجيه. أنه يكابر بشكل غريب ومستهجن ويحملك على التسأول: هل يعى حقاً ما يقول، أو هل بلغت استهانته بعقول الناس هذا الحد؟ أذكر أن مدينة حلب كانت تفوز بالنقمة على النظام وكنت ترى رجال السلطة والمخابرات والأزلام مذعورين وقد أسقط فى يدهم. ومع ذلك فقد كان يروى لجلسائه بصوت رتيب لا أثر للشعور فيه أنه كان يعتقد بأن مدينة حلب كانت إلى جانبه بنسبة ٩٠ ٪ وأنه كان يجادل رفاقه الحزبيين متالماً من هذه النتيجة، ولكن الرفاق كانوا يهونون عليه الأمر، ويؤكدون له أن المدينة الثائرة إلى جانبه ١٠٠ ٪. وعندما يحقق حافظ الأسد فى الأمر أخيراً تنبلج له الحقيقة الصريحة: وهى أنه كان مخطئاً للمرة الأولى فى تقديره، وأن الرفاق كانوا على حق- لمرة الأولى أيضاً - إذ أن حلب إلى جانبه ١٠٠ ٪ أن عقلية من هذا النوع لا يمكن أن تناقشها ولا يمكن أن تقبل من أحد قولاً. ولقد علمت أن بعض من صدقوه القول قد استبعدوا نهائياً وأهملوا وجر عليهم النسيان ذيله، كى لا نقول غير ذلك. أن لديه مخططاً، وهو شخص بلا احساس ولا عاطفة.

أما قولك بأنه غامض فأنا لا أعتقد ذلك إذا أردنا ان نستقرئ اعماله. ونتائج أعمالة واضحة وتدل عليه. وسواء قال عنه كارتر أو أى شخص آخر بانه شخصية داهية وذكى إلى آخر هذه الصفات، فإنى بصراحة ودون آى تحامل لم ألمس لديه ما ينم عن ذلك. وليقل الناس ما يقولون. أما إذا أردنا بالثقافة والمعرفة والذكاء، المناورات والمؤمرات فهنا يمكن أن يكون أستاذاً، ولكن كل من يريد ان يتجرد من الضمير القوى أو الوازع الأخلاق يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة لا يستطيع غيره أو أى شخص آخر فى مركز السلطة أن يفعله. وأعتقد أن هنا يكمن السر. وأنا هنا أريد أن أربط بين الدعاية لبعض السياسيين والدعاية لبعض الأدباء أو المفكرين، إذ فجأة ترى الشهرة تنصب انصباباً على شخص ما، ولا تفتح صحيفة إلا ترى اسمه فيها، وتعجب كيف يخترعون المجالات والمناسبات لذكر اسمه، فإذا نفذت إلى المستشرقين وما وراءهم وما أمامهم من امكانات التحدث على منابر الجامعات أو فى الكتب رأيت هذه الأسماء بعينها تتردد. وينالك العجب. هل هذه هى العبقرية؟ أبداً وإنما هناك المؤسسات والمنظمات الدولية، لغاية فى نفس يعقوب كما يقولون، ترمى بثقلها فى هذا الميدان، وإذا بنا جميعاً نردد دون امتحان أو تمحيص ما تحاول هذه الجهات غير المتخصصة وغير الموثوقة أن تدخله فى روعنا. وقد يقع الكثيرون فى هذه الشباك بحسن نية وبساطة وارتزاق...

— اضرب لنا مثلاً.

* لا أريد أن أشهِّر بأحد. وأستطيع أن أعطى أسماء وراءها منظمات شعوبية معادية للعرب والإسلام، وشبكات أجهزة مخابرات، لا تغفل عن كل ذلك العين الصيهونية.

— أنت ضربت هذا المثل فى الحديث عن حافظ الأسد. إذن هل أنت من

الذين يكررون دائماً كلاماً نسمعه: "أن الأسد عميل لإسرائيل". وهل يجوز الأسفاف إلى هذا الدرك لدى المعارضة السورية؟

* قبل كل شئ أنا لا أتلكم باسم المعارضة، ولست مخولاً بذلك، كما أنى لست مسؤولاً عما تقوله. أنى مسؤول عما أقوله شخصياً. ورأيى أنه ليس من الضرورة أن يذهب المرء للمخابرات الصيهونية أو الامبرالية ويقول لها: أنى أريد أن أكون عميلاً. أعتقد أنك توافقنى على أن الأمر ليس كذلك. ولكن هذه المخابرات والمخططات والمنظمات الأجنبية المعادية للعروبة و الإسلام، عندما تجد أن عملاً ما من رئيس أو أديب أو أى فعالية أخرى فى الحياة إنما يخدم مصالحها، عند ذاك تسلط عليه وعلى صاحبه الأضواء وتدفعه بمختلف الأشكال فى هذا السبيل. وقد تكون لهذه الشخصية بعض الاجتهادات تقودها إلى منزلق حياتى، ولا تستطيع بعد ذلك التوقف أو العودة إلى الوراء، وتصبح مندفعة بقوة تيارات كثيرة تفيد منها عند ذاك الامبريالية والصهيونية وتكون لهذه الشخصية مثل غطاء أو مظلة وتسلط عليها الأضواء لمحاولة تلميعها واعطائها ما أمكن من البريق والبهرج، وقد تخف إلى انقاذها وانهاضها كلما عثرت واعتراها الضعف والونى.

– مثلاً... وحدد؟

* لقد وصل حافظ الأسد إلى الحكم. ولا أريد الآن أن أسترسل فى كيفية وصوله. فقد خدمته ظروف معينة، وما كان لهذه الظروف أن تفيده إلى الحد الأقصى لولا أن لديه مخططاً للوصول إلى الحكم، والبقاء فى الحكم. فاذا تجاوزنا مخطط الوصول إلى الحكم ووصلنا إلى خطة البقاء فى الحكم رأينا أنها خطة لا تنم عن ذكاء ولا وطنية. بالعكس. فلو أراد أن يخدم هذه البلاد بصدق لوجد نفسه مقبولاً

من هذه البلاد ولرحبت به أخيراً كما رحبت به أولاً. ولو أراد أن يجزيها أخلاصاً بأخلاص وأن يعمل فى سبيلها ويجند نفسه والأمكانات الموضوعة تحت تصرفه فى خدمتها لكان وصل هو إلى نتيجة أهم بكثير، وكان الشعب وصل أيضاً إلى نتيجة مغايرة. ورأيى– وهو بالطبع من جملة آراء قد تكون كلها وجيهة– أنه كان يحمل فى نفسه حقداً دفيناً، وكان أفقه ضيقاً، وثقافته معدومة، وأنا فى تحليلى التقى مع كل الذين يرون فيه رجل شرطة ومخابرات، وأن تفكيره لا يعدو هذا المستوى.

وبالطبع فأن الحكم يتطلب غير هذه العقلية، خاصة حكم سورية التى تهتف كل ذرة فى أهلها وأرضها بالحرية والديمقراطية. إن حافظ الأسد لم يفكر بالطريقة السليمة، طريقة خدمة الشعب وإفساح المجال أمامه ليمارس حريته، وليعيش فى أزدهار وكفاية على الأقل، مطوراً نشاطاته وإمكاناته العلمية والثقافية والتقنية والأقتصادية والروحية. الحق إن حافظ الأسد أراد الحكم مدى الحياة، وكان يحس أحساساً قوياً، خفياً وظاهراً بأن هذا غير ممكن إلا إذا أعتمد على القوة، ولكن أية قوة؟ أن قوة الوطن والشعب معناها الحرية والديمقراطية، ومعناها أمكانية المحاسبة، ومعناها المنطق، ومعناها الخضوع لأرادة الجماهير، ومعناها الأرتقاء العلمى والثقافى. وهذه وغيرها أشياء تخيف حافظ الأسد الذى يفتقر إليها أو لا يؤمن بها. ومن هنا كان لجوءه الأول والأخير إلى قوة السلاح والمخابرات. ومرة جديدة أقول لك أنى أشكك بكل هؤلاء الذين يرون الذكاء فى حافظ الأسد إلا إذا كان تصرفاً يخدمهم ويخدم مصالحهم. أن الشعب الذى أراد حافظ أسد وأستقبله ورحب به هو نفس الشعب الذى يرفضه الآن ويتهمه بالطائفية. فما عدا مما بدا. لقد أستقبلته حماة بأفضل مما أستقبلته اللاذقية، وكانت حماة وكانت سورية تعرف أنه ليس من الأكثرية المذهبية، ولكن سورية– بخاصة– لم تقم أبداً لهذه الأعتبارات وزناً. المهم لديها هو الوطنية والأخلاص والأيمان والنضال المتفانى المتجرد فى سبيل الوطن والشعب والأمة. لقد كانت سورية تأمل بأن الأنقلاب على فترة دكتاتورية مرفوضة سيؤدى إلى النقيض أى إلى العهد

الديمقراطى.

– أذن ما الذى دفعه إلى التحول إلى الدكتاتورية؟

* أنى أفكر بهذا الأمر مثل كل الناس. وأن كنت قد ذكرت لك ما أراه من أسباب قد لا تكون كل شئ. وبهذه المناسبة فلا أذكرك أنى راقبت منذ المرحلة الأولى فى التليفزيون السورى، عرضاً أو أعادة لأستقبالاته فى المدن السورية، وأسترعى أنتباهى موقفه الجامد الكامد أمام فرحة الشعب. لم يكن يحركه أى شئ من حماسة أو عاطفة أو مشاعر هذا الشعب. كان ينظر باكمداد وذهول. أما الذهول فقد يكون تفسيره سهلاً، إذ أنه لم يكن يصدق ما يرى، وتجاوز ما يراه كل أماله ومطامحه وتصوراته، ولكن يبقى الاكمداد. وذكرت ذلك لمن هم حولى وقال بعضهم: ربما لأنه رجل عسكرى غير معتاد على الوقوف أمام الجماهير والتفاعل معها. ولكنه فى الواقع كان يفكر للبقاء فى الحكم بعقل مريض. ويرى هذا الشعب قطعة عسكرية، عليها تلقى الأوامر والتنفيذ أما الذى يأمر فيطاع فهو منذ اليوم حافظ الأسد. وحرصاً على استمرار هذه الحالة فلابد من من القضاء على كل شئ يدخل فى باب الديمقراطية وفى بابا الاخلاق وفى باب الوطنية وفى باب القومية. ولابد من افتعال أوضاع جديدة غريبة فى البلد كى لا تكون هناك حالة استقرار من جهة، وكى تنقلب كل موازين المنطق والأخلاق والوطنية. وبدأت مرحلة المسخ المشؤومة التى اقتضت سورية دماءها وازدهارها وكرامتها وعزتها.

وعندما يبرز حاكم متسلط بهذه القوة وبهذا التصميم الخفى منه والظاهر على احتكار الحكم وتذليله لأطماعه وشهواته وأحقاده وتصوراته المريضة لكل ما تحمل من عقابيل خطرة منذرة، فإن ثمة دوماً مجموعة من الانتهازيين والمرتزقة والمنافقين وضعاف

الإيمان يبرزون فى الساحة معلنين استعدادهم للتعاون. أنها بحاجة إليه وهو بحاجة إليها. وهى مستعدة لأن تمد فى حبال السلطة والفساد، وهو مستعد أن يمد لها فى حبال الفساد. تبقى اللسطة من أين يستمدها الطاغية؟ وهنا يفكر بأن عليه أن يستغل جماعة ما أو طائفة ما أو حزباً ما.

الطائفة العلوية:

– ما تعنيه أنه جلب أبناء الطائفة العلوية للسلطة؟

* سأتعامل فى حديثى مع تعابير أملاها واقع معين ونحن لا نقرها، ولا نرضهاها أو نرضى عنها، بل نشجبها، ونأمل فى القريب العاجل، وعندما يعود وطننا إلى حقيقته وأصالته أن نعود إلى التخلص من هذه التعابير كما كنا مخلصين منها فى السابق، وفوق ذلك أيضاً. سأقول اذاً أن حافظ الأسد قد يكون فكّر هنا– أو قبل الآن – بالطائفة العلوية. ولكن موضوع الفساد والافساد لا يمكن أن يسرى عللى طائفة بأسرها خاصة إذا كانت معروفة بمجملها بأنها طائفة عربية إسلامية جعلت من امام المتقين على بن أبى طالب قدوة، وفيها شيوخ عرفوا بالتقوى والاصلاح، يدعون بأوامر الله، وفيها شباب مثقف وطنى قومى حيوى ذو مثل عليا فى هذه الحياة. وهنا تبرز مهار الشر لدى الطغاة. لابد اذاً من اتسقطاب الانتهازيين والمرتزقة والفاسدين والمرضى الحاقدين من هذه الطائفة. أما جماهير الطائفة فلابد من إيجاد جو متوتر معين يدفعها للالتفاف حول هذا الذى أراد أن يربط مصيرها بمصيره. وبما أن هذه الطائفة العلوية لديها تقاليدها العربية والإسلامية الاصلية والصميمية من أخلاق وإيمان ووطنية ونظرة تسامحيه، فما كان لحافظ أن يجمعها حوله إلا بافتعال أشياء كثيرة.

– إلا تعتقد أن بعض الفئات السورية المسيئة مثل الأخوان المسلمين

على وجه المثال كانوا أداة مباشرة وغير مباشرة بيد الأسد، وعندما قتلوا المثقفين من الطائفة العلوية والحزبيين بمن فيهم الذين لم يمارسوا أى دور قمعى أو أمنى؟

* لا أريد أن أتحدث عن الأحزاب أو أن أسمى أحزاباً، وكلنا يدرى كم تعددت الأجتهادات وسط هذه الأحزاب. ولكن بالتأكيد هناك فئات من مختلف الأتجاهات والأنتماءات لعبت لعبة السلطة القمعية والطائفية. وليس من داخل الوطن بل من خارجه أيضاً. وكما قلنا فأن الأمبريالية والصهيونية عندما ترى مجالاً لخدمة مصالحها فأنها بقدرتها المخابراتية وطاقتها التآمرية تتوصل إلى أن تستفيد إلى أبعد حد من أى وضع شاذ. وهل تعتقد أن بإمكان شخص أياً كان، أو أى فئة من الفئات أن تقول «أنا طائفية» ، ثم تستطيع أن تبقى طويلاً فى بلد كسورية، البلد الوطنى بتاريخه وبأكثريته الساحقة ؟

ونحن نعرف تاريخ سورية ونضالها ضد المستعمر وتقديمها التضحيات بمختلف فئاتها. وهل أذكرك فى العهد الوطنى بفارس الخورى الذى هو من الطائفة البروتستانتية وهى من أقلية الأقليات ـ إذا أجزنا لأنفسنا هذه اللغة الممجوجة المرفوضة ـ ومع ذلك فقد كان رئيس وزراء سورية مراراً، وكان الرئيس الدائم للمجلس النيابى السورى، أى الشخصية الثانية بعد رئيس الجمهورية ، وكان ممثل سورية فى هيئة الأمم المتحدة، وأذكر أنه ألف مرة وزارة أنتقالية وكان وزراؤها الثلاثة مسيحيين ، ولم أسمع فى حياتى لا مثقفاً ولا مواطناً بسيطاً ذهب به التفكير إلى طائفية الوزارة. الذى يعنيه هل هؤلاء الوزراء وطنيون أم لا. هكذا هى سورية، وهكذا نشأنا وربينا. لذلك كان لابد من أفتعال أمور فى غاية الخطورة، تهز الضمير هزاً عنيفاً، وترج التقاليد رجاً مخيفاً، كى يستطيع حافظ الأسد أن يمرر مخططه. وإذا قلنا أن عهده طائفى، وهو طائفى حقاً، فليس معنى ذلك آبداً أن طائفة ما هى الحاكمة والمتسلطة وهى المسيطرة على الأمور، بل أن هناك جواً طائفياً يستغله كل الفاسدين والمرتزقة والأنتهازيين من مختلف الطوائف ويبقى الدين هو الضحية.

- هناك دراسات غربية تقول أن الأضطهاد الذى مورس ضد الطوائف فى سورية أن كانت علوية وغيرها، سيؤدى إلى أنشاء دول الطوائف وسورية تتجه فى هذا الأتجاه؟

* أنها رغبة دفينة، قديمة وحديثة، تجند لها الدراسات المرتدية ثوب العلم، كما تجند أساليب أخرى لا علاقة لها بالعلم. ولكنى أستطيع أن أبشر هذه الرغبات بخيبة أو خيبات تخلط أوراقها كما يقول التعبير الحديث. المؤامرة كبيرة ويشترك فيها، فيمن يشترك، النظام القائم فى سورية. واستطيع أن أقول بأن مثل هذه التجربة فاشلة اليوم وغداً كما فشلت بالأمس بعد أن حققت نجاحاً بدا وكانه نهائى. وفيما يخص العلويين استطيع أن اقول لك ثقة وحزم وقوة أن التفكير بالدويلات هو وهم كبير فى رأس من يفكر به، سواء كان من الطائفة العلوية أو من يزعم ذلك من الطوائف الأخرى. فى ظل الحكم العثمانى وما جره على العرب عامة وعلى العلويين بشكل خاص، حافظ العلويون على قوميتهم ودينهم متحصنين بالقرآن الكريم واللغة العربية واضعين ثقتهم برجال الدين الكبار الذى تحفظ ذاكرهم ومكانتهم هذه المساجد التى أقاموها فى انحاء الجبل. وقد تصرف هؤلاء الشيوخ بما يمليه عليهم دينهم وكتابهم الكريم وعملوا بهدى ذلك، وحفظوا وحدة الشعب وكانوا المقيمين على تقاليده وأخلاقه وثقافته ضمن الحدود الممكنة، إذ لا يمكن أن يوجد بيت علوى إلا وفيه نسخة أو نسخ من القرآن الكريم، ولا يوجد علوى إلا ويحفظ قسماً، ويقل أو يكثر من القرآن الكريم. والتبارى بحفظ القرآن غيباً مجال اعتزاز وتفوق.

هكذا اغتالوا شقيقى بدوى الجبل:

ثم جاء الفرنسيون وانطلقت أول ثورة سورية على المستعمر المحتل من جبل العلويين بقيادة الشيخ صالح العلى المسلم العلوى. وقاومت هذه الثورة فترة طويلة تعد بالسنين وكانت على صلة بالحكم العربى فى دمشق وكان رسل هذا الحكم إلى الثورة البطل الخالد يوسف العظمة وزير الدفاع السورى والمرحوم رشيد طليع وزير الداخلية والفتى بدوى الجبل النجل الأكبر لعلامة العلويين وأمامهم الشيخ سليمان الأحمد. ثم عندما نجح الفرنسيون ـ وكانت فرنسا أقوى دولة برية فى العالم آنذاك ـ وأقاموا دويلات العلويين والجزيرة والدروز والشام وحلب، لم تستطع أن تثبت أمام إرادة المواطنين واستمر النضال ضدها حتى تحققت الإرادة والطموح الوطنيان وتكونت الوحدة السورية. ولو لم يكن العلويون عرباً مسلمين لما كان هناك أى شئ أو أية قوة تلزمهم بالقضاء على «دولتهم» ليندمجوا فى الدولة العربية السورية، وهناك فى العالم دول اصغر من دولتهم مساحة وسكاناً وأهمية موقع. وكانت أقوى دولة عسكرية فى البر تدعم قيام دولتهم. وعندما غدر البريطانيون بالشريف حسين وحاربوا «الدولة العربية» التى وعدوه بالدعم لتحقيقها، كان الشاعرالعربى المسلم العلوى بدوى الجبل، وفى ظل الدولة العلوية، هو الذى حملت وفود من بلاد الشام قصيدته التى يرحب فيها بالثائر العربى ويهاجم المستعمرين الإنكليز ممجداً الوحدة العربية، مناشداً الحسين أن يعمل لها. وبالامكان الرجوع إلى ديوان بدوى الجبل وإلى ما كتبه الأستاذ أكرم زعيتر عنه فى كتابه: بدوى الجبل وإخاء أربعين عاماً. ولو شئت أن استرسل لكان عليك أن تملأ عشرات وعشرات الصفحات كى لا أقول المئات والمئات.

وعلىَّ هنا أن أسجل بأن رجال الدين المسلمين العلويين كانوا موقذى النضال من أجل تحرير الدولة العلوية من الحكم الأجنبى وضمها إلى الوطن الأم سورية. ولم يحضروا الناس على مكارم الأخلاق فقط بل على الدفاع عن وطنه ومعتقداتهم وعن وحدتهم.

لقد أدى المشايخ العلويون ـ كما أدى رجال الدين من جميع الطوائف المذهبية ـ هذه المهمة الكبرى الشامخة. وعندما أراد المستعمر أن يغمر هؤلاء المشايخ على القول بأن لهم ديناً قائماً بذاته وأنه لا يتحدون من الأصل العربى، كى تكرس إلى الأبد الدولة العربية، جاء الرد حاسماً على لسان مرجعهم الأكبر وفى فتوى خالدة أنهم فرقة إسلامية جعفرية المذهب، تأخذ وتقتدى باجتهادات الإمام جعفر الصادق أستاذ الأئمة جميعاً.

– لكن اعتبر البعض إن بناء الإذاعة فى جبل العلويين أو الجامعة أو القصر الجمهورى هو بمثابة تهيئة الجبل لاعلان الدولة الانفصالية، وحتى سمعنا من مصادر أنه إذا فقد الأسد منصبه وخسر دمشق فإنه سيتراجع ويتحصن ويحصر نفسه فى جبل العلويين، الم تسمع هذه الأقوال؟

* كمواطن مثل سائر المواطنين، اسمع كما يسمعون، وأفسر الأمور ليس كما يفسرها البعض بل كما أفهمها وأعرفها ربما أقيم فى الجبل والساحل أكثر مما ذكرت، وقد سمعت أنا مثلاً، ولست متأكداً من الخبر، أنه أقيم فى منتصف الطريق بين قريتنا وبين القرادحة فندق «ميريديان»، وربما لم تكن المنطقة بواقعها الحالى بحاجة إلى هذا الفندق. مهما يكن فإنه مما يثلة الصدر أن تقوم فى كل محافظ سورية جامعة أو إذاعة وفندق حديث. أما القصور فأنا من أنصار تأمين شقة صالحة لكل مواطن. وسأقول لك هنا شيئين أساسيين: أولهما أن العلويين، وعندما كانوا خارجين من ظروف صعبة تحت النير العثمانى وما سببه من انعزال وجهل وظلم وطغيان وفقر وعدم وعى، لم يقبلوا بأن تقيم لهم أقوى دولة فى العالم دولتهم الخاصة ولم تستطع بكل جبروتها أن ترغمهم على ذلك. بالطبع هناك من ماشى الفرنسيين، ولكن فى أية طائفة من الطوائف لم يماشوا الدولة المحتلة

المنتصرة. حتى كبار الوطنيين الذين نعتز بهم وبنضالهم يضطرون إلى احناء رؤوسهم أمام العاصفة احياناً لأن طبيعة الحياة هكذا. لكن المهم أن لا نفقد هدفنا ونضيعه ونضيع عنه.

– ما عنيته من سؤالي أن الطائفة العلوية قد استجروها من خلال عمليات الاغتيال الطائفي إلي تهيئة بناء الدويلة الطائفية، لأن الطائفة العلوية في حالة حصار. وهل تعتقد أن الذين حازوا علي أمتيازات طائفية يمكن أن يتخلوا عنها بسهولة؟ ورفعت الأسد لم يتخل بسهولة عن أمتيازاته بل أخذها معه إلي الخارج. وأصبح بعض العلويين يعتبرون أن الحامي الوحيد لهم هو ولاؤهم لحافظ الأسد وبقاؤه في السلطة. فهل لمست هذا من لقاءاتك مع أبناء الطائفة العلوية؟

* طبعاً سمعت ذلك ولمسته. وفى فترة أصبحت بعيدة الآن كانت هذه هى الفكرة الخاطئة السائدة مع الأسف وعلى مضض وألم. وكانت سائدة فى أوساط حتى المثقفين أو الواعين الوطنيين. وبصراحة فقد كان هؤلاء وما زالوا من خلاصة الوطنيين والقوميين ولكن الظروف المرضية الشاذة التى أوجدها حافظ الأسد من جهة، ومن تبعه ونفذ سياسته واستخذى له من الطائفة العلوية والطوائف الأخرى من جهة ثانية، كل ذلك خلق جواً اصبح يستبعد المنطق والعقل. الاغتيالات العشوائية– كى لا أقول غير ذلك– والتشويهات الفكرية التى هى اغتيال من نوع آخر، حرفت حتى التفكير عن دربه الصحيح. اصبح كل شخص يخشى على نفسه. والقتل كان يصيب دون تمييز بين متورط مع النظام أو حتى معاد للنظام. أى أنه كان قتلا على الهوية. وهذا يطرح أمامنا لوحات كريهة تكررت صورتها فى لبنان. والقتل هكذا خدم حافظ الأسد لأنه أيد ما كان يذيعه هو وزبانيته أن

العلويين مستهدفون لكونهم علويين.

أجل للواقع قتل قوم من خيرة المثقفين والوطنيين والعلماء والمخلصين، ممن يعتز بهم البلد، وأعترف منهم من كان يكره النظام القائم ويكرهه النظام القائم. بالطبع كل وطنى صادق، وكل عاقل، وكل إنسان شريف مؤمن يستنكر الأرهاب والاغتيالات، التى سقط ضحيتها بريئون، كما سقط أطفال ونساء وشيوخ من جراء تفجيرات نجبانة مشبوهة. أن تربيتنا الروحية والفكرية والثقافية لا يمكن إلا أن ترفض الأرهاب وتستنكره وتستبعده وتحاربه. والشعب السورى عامة لا يمكن إلا أن يكون ضد الأرهاب. آننا مع الثورة التى يكون الشعب فيها هو القائد وهو المسؤول، وباعتبارنا مواطنين فنحن مسؤولون ضمن هذا الشعب وضمن جيش هذا الشعب. شيء آخر أريد أن أضيفه وهو أن الأرهاب والاغتيال يوظفهما النظام لصالحه، وتحت ستارهم يقوم هو بأشأم الأعمال وأكثرها ضرراً للوطن والشعب.

اغتيال بدوي الجبل

– لماذا بقيت حتى عام ١٩٨٠ كي تشعر بأن سورية ليست مهددة بوحدتها الوطنية فقط بل الطائفة العلوية مهددة. لماذا بقيت كل هذه الفترة مع أن حافظ الأسد كشر عن أنيابه خلال عقد من الزمن من حكمه... أم أنه كان يصغى لكم؟

* أريد أن أسجل قبل كل شيء، وهذه بديهية، أن جميع الموجودين فى سورية ليسوا ملزمين بالخروج منها كى نعطيهم صكاً بمعارضة النظام. وإذا لم يكن

خروج شخص ما هو أكثر فائدة من بقائه فإن عليه أن لا يخرج ابداً. أن النضان يجب أن يتم فى الداخل أولاً. وقد خرجت فقط عندما تبين لى أن الأرهاب والاغتيال اصبحا يضيقان الحلقة حولى، ولم أجد فائدة فى أن يكون مصرعى سلعة يتاجر بها النظام. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان وجودى حرراً فى الحركة والاتصال والحديث والتوجيه ضرورة وطنية قبل أن يكون خلاصاً شخصياً. ولقد بقيت فترة طويلة ممنوعاً من مغادرة البلاد وأنا على رأس عملى الجامعى، وعلمى فى البلاد، باعتبارى المخوّل على رأس هذه الرابطة بتأسيس أكاديمية العلوم العربية. ولد كنت أرأس الاجتماعات التى يحضرها رؤساء الجامعات والوزراء.

اكتشفت على المطار أننى ممنوع من السفر:

وأذكر ـ وهذا للتاريخ ـ أنى كنت مرة فى حدود عام ١٩٧٨ إذا لم تخنى الذاكرة وكان عدنا الدباغ وزير الداخلية السورية على قيد الحياة فى هذه الفترة، أقول: كنت متوجهاً إلى أحدى الدول الأوروبية فى زيارة علمية وكانت لدى تأشيرة الخروج السورية. وفى المطار وبعد أن قدمت جوازى لرجل الأمن ككل المواطنين ـ مع أنه كان باستطاعتى أن أدخل قاعة الشرف وأن أرسل من ينهى لى معاملاتى ـ أخذ رجل الأمن الجواز وعاد بعد فترة وهو يكاد يتلعثم فى كلامه ولا يصدق. قال: أنك يا دكتور ممنوع من المغادرة! ولما استغربت جاءنى بقرار المنع وعليه اسمى واسمه والدى وتاريخ مولدى الخ... وبعد مراجعات قال: سوف تغادر هذه المرة ولكن رجاء عند عودتك، أن تزيل قرار المنع. وأثر عودتى تدخل أحد الأصدقاء لدى المرحوم عدنان دباغ وقد أزال هدا القرار وعمم الغاءه على كل الحدود وقال لصديقى: بلغ الدكتور أنى ألغى قرار منعه لأنه أحمد سليمان الأحمد وليس لأنه مسؤول فى الرابطة...

والجدير بالذكر إنى لم أعرف عدنان دباغ شخصياً ولم يعرفنى شخصيا. فقد كنت زاهداً بمعرفة رجال الحكم مبتعداً عنه ما استطعت. اردت من ذلك أن النظام كان ياحقنى ويحاصرنى. ولئن تأخرت فى الخروج من سورية وكان معى أخوان كثيرون، بل الكثرة الكاثرة من مثقفينا، وكنا نقدر أن نكون قوة ضاغطة. وفى نهاية الأمر ما هو الجيش؟ الجيش هو منا، من هذا الشعب، هو الجندى والضابط، هو المواطن، هو أخى أو أخوك، وابنى أو ابنك. ومازال هؤلاء الأخوان الكثيرون يعملون ضمن ظروفهم، ومن مواقعهم، وسوف يرضى عنهم الوطن والشعب فى الوقت المناسب للدور الذى سيقومون به. أما أنا فكان علىّ أن أغادر، أن ابتعد لأصبح أكثر قرباً من كل المواطن، إذ أن صوتى أصبح بامكانه أن يصل إليهم بمزيد من الحرية والوضوح. لقد كانت الكماشة قد أخذت تضيق حولى وأصبح السكوت مطلباً أساسياً للحكم بالنسبة لى. أما الاعتقال فكنت استبعده لأنه سيجر عليهم ما قد لا يطيقونه.

– لكنهم يقتلون. ألم يحاول صلاح جديد اغتيال شقيقك بدى الجبل؟

* أجل، لقد حاولوا اغتيال شقيقى. ونجحوا فى خطفه وفى اصابته اصابات بليغة، انتقل إلى جوار ربه وهو يعانى منها بل آخرجته عملياً من ساحة النضال والحياة.

– ما حقيقة ما حدث لشقيقك؟

* كان يقوم بنزهته الصباحية كالمعتاد من منزله فى شارع «أبو رمانة» بدمشق. وكانت اقامته الدائمة فى دمشق وكذلك أنا (وبين هلالين أقول أنه لم يتغن شاعر من الأمة العربية قديماً وحديثاً بدمشق ولم يكتب بتمجيد الشام وحب الشام أكثر بل مثل بدوى الجبل وأحمد سليمان الأحمد، وهذا تحد أطرحه على دارسى الأدب). وكان قد كمنت له عصابة مجرمه ـ وكان الوقت باكراً جداً، غير بعيد عن مبنى الأركان العامة، فأهووا ضرباً على رأسه وأعضائه ونقلوه إلى جهة مجهولة

لعلها حمص، حيث عذبوه تعذيباً هائلاً. عرفنا ذلك مما كان يردده هو فى حالة غيبوبة امتدت أياماً وأسابيع. وكان سبب هذه المحاولة الاثيمة قصيدته الكبرى بعد هزيمة ١٩٦٧ وفيها يعرّى بشجاعة وإيمان رداء الطائفية التى كان يلبسه حكام تلك الفترة واستمر بالمتاجرة به من انقلبوا عليهم ليستأثروا ويحتكروا. وقد ألقى صيحته المدوية:

نُسبوا للإمام زوراً...

وبرئ من الطغاة علىٌّ...

وليس ذلك فقط بل فضح أساليب الحكام التى اجتهدت فى تزوير الشعب وقمعه وإفقاره:

لا يقـود الشعـوب ظلـم وفقر

وسباب مكرر مسعور

كل حكم له - وان طالت الأيام

يومـان: أول وأخـير

وحبذا لو كانت هذه القصيدة بين يدى، وحبذا العودة إليها فهى سجل فنى لفترة فيها كل العبرة.

وسأضيف هنا، وأن كان هذا يدخل فى حديث المرء عن نفسه أو عن أخيه، ولكنه حديث للحقيقة والتاريخ والأدب، وهو ذو قيمة فى هذه المرحلة السياسية والاجتماعية أيضاً تم شاعرين عربيين مسلمين علويين هما اللذان وقفا بشعرهما وقامتهما الاجتماعية فى وجه تزوير القيم الفكرية والروحية والإنسانية للشعب، فى حين كان ومازال شعراء مرموقون

كثيراً أو قليلاً فى دمشق وحلب وحماه، أما يتهجمون ـ فى فترة من أصعب افترات فى تاريخنا ـ على أئمة المساجد وينسبون إليهم السبب الأكبر فى انكسارتنا، وأما يمجدون الطاغية فى قصائد متوالية حتى بعد مأساة العصر فى حماه، بل بعدها على وجه التحديد والتأكيد، وأما يصمتون صمتاً جباناً مشبوهاً، أو متآمراً، أو على الأقل لا مبالياً بالشعب وهم الذى يطمحون أو يريدون أن يملأوا أعمدة الصحف والمجلات ضجيجاً بأنهم شعراء الشعب. هذه حقيقة على الأدب الحقيقى أن يهتم بها.

– من هم هؤلاء؟

* لم أذكر ما ذكرت بقصد التشهير، وانما بقصد التوضيح وأخذ العبرة، والتوصل إلى روحية الانصاف وعقلية المحاكمة بموضوعية وتجرد. وأظنك وأظن أى قارء يهتم بقضايا سورية أو له الالمام بالأدب قد قدر من هم هؤلاء. ولا يهمنى ذكر الأسماء بقدر ما يهمنى الدرس الذى يمكن أن نستخلصه مما ذكرت.

– هل تعتقد أن الغموض فى تعاليم الطائفة العلوية، وعدم ظهور أى كتاب واضح عن طقوسهم هو سبب خلق الأساطير والخرافات عن الطائفة. وقد حاول النظام منع ازالة هذه الخرافات لماذا؟ وهل توافق على ما قاله الإمام موسى الصدر بأن العلويين شيعة؟

* قبل كل شئ أعبّر عن إحترامى لآراء الآخرين وأن كانت مخالفة لرأيى، شريطة أن لا يكون وراءها هدف تخريبى خبيث. وإنى أحترم بالطبع قول الإمام موسى الصدر فى هذا المجال وأرى إنه عبر عن واقع وحقيقة بديهية. ومع ذلك العلويون لا يشعرون إنهم مفتقرون إلى من يشهد بهم أنهم مسلمون أو شيعة. فالعلويون بكونهم علويين هم مسلمون. وحبذا لو كنا جميعاً اكتفينا بهذه التسمية: أن الدين عند الله والإسلام. ولكن إذا اردنا إن نذهب وراء ذلك وقلنا لابد أن يتخذ

الإنسان مذهباً له فى الإسلام، فطبعاً أنا شخصياً بل أرى أن لا يتجاوز المسلم تسمية الإسلام كما أمر الله سبحانه بذلك. أما وأن الواقع قد فرض مذاهب فقد اتخذ العلويون المذهب الجعفرى. وعندما يعترف إنسان ما أو فئة ما ويشهدون بأنهم مسلمون فأعتقد أن شهادتهم كافى. وكل تأكيد من الآخرين فهو عبارة عن الاهتداء إلى الحقيقة.

أما الخرافات والأساطير فإنى أقول لك من منطلقين: منطلق العارف الدينى والمذهبى ومنطلق الإنسان المثقف الواعى على مستويات علمية أخرى: نعم... أن اتباع أى ملة أو مذهب معرضون لأن تشيع بينهم الخرافات والأساطير فى نسب متفاوته، فما بالك إذا عاشت فئة من هذه الفئات فترات زمنية معزولة مظلومة وقد ضرب عليها الجهل والفقر خيمته؟ الأساطير والخرافات ليست وقفاً على العلويين ولا على اتباع هذا المذهب أو ذاك. والأديان السماوية والمعتقدات غير السماوية جعلوها تغص بالخرافات والأساطير، وقد نشط قاصرون ومشبوهون ومرتزقة وغير ذلك فى اشاعة مثل هذه الأمور، احتيالاً دنيوياً بحتاً. أن من يتخذ من الإمام على قدوة، ويتخذ اسمه نسبة شامخة، من المفروض أن يتمسك بما كان الإمام على متمسكاً به من شرعة الله وسنة نبيه، وأن يكون احرص الناس على ذلك، وبين أيدينا القرآن الكريم الذى نعتقد نحن المسلمين، أننا لن نضل إذا تمسكنا به، وحملناه نبراساً وهداية، ورجالات الإسلام العظام هو مجدنا، وهم تاريخنا، وهم ثقافتنا نعود إليها وتكون لنا ذخراً للانطلاق الدائم إلى الإمام، بما لا يتعارض مع الأصول والجذور.

— ما هى هذه الأساطير والخرافات؟

* لسنا الآن فى صدد استقصاء أو دراسة، وأن كان هذا ميدانى أيضاً، إذ علاوة على الثقافة الشرقية والغربية التى تلقيتها فى موسكو وباريس، فقد تثقفت الثقافة الدينية العميقة ومن أهم مصادرها وهو والدى الذى كان المرجع الأكبر لقومه، وكان

معترفاً به لدى علماء الشيعة كمجتهد مرموق ويخاطبونه بشيخ علماء الشيعة فى جبل العلويين. وكان رئيس الحوزة العلمية فى النجف الأشراف الشيخ محمد الحسين آل كاشف اغطاء يكتب له باستمرار ويشكر له أموراً صوبها الوالد. ومع ذلك فسأذكر أموراً يعرف الآن اصغر تلميذ فى أية مدرسة ابتدائية إنها من البديهيات، ومع ذلك فقد كان هناك من يكفر من يعتقدها مثل كروية الأرض أو تكون السحاب من الماء وغير ذلك، هذه أمور يجب أن نضع أنفسنا فى زمنها ومحيطها كى ندرك النضال العنيف الذى قاده المصلحون ودعاة العلم فى أوساطهم. وأقرأ احياناً أنه ما زال حتى من كبار علماء المبلمين ـ أو ممن يعتبرهم مريدوهم كذلك ـ من لا يعتقد بما جاء به العلم من كروية الأرض مثلاً والخرافات والأساطير التى حاربها الوالد كثيرة. وورد شئ غير يسير من ذكر ذلك فى شعره مثل قوله:

إنما الجن والتوابع والتنجيم فى مذهبى حديث خرافة ورد كل هذه الخرافات والأساطير إلى الجهل، وحض على العلم للتخلص منها، ووجه نداءات إلى الشعب، وفتح من بيته مدرسة مجانية علّم فيها مجموعات من شباب الشعب ممن توسم فيهم النجابة. وكم حضهم وأشرب فى نفوسهم وعقولهم وأفهامهم أصول الإسلام والعودة إلى تعاليم الدين الواضحة البسيطة الهادية.

– إذاً لماذا استمرار القول إنكم تعبدون القمر والشمس والأعضاء التناسلية؟

* سأقول لك قبل كل شئ أنى إنسان ديمقراطى إلى أبعد حدود الديمقراطية، وأؤمن بحرية الإنسان فى التعبير عما يشاء، والمجتمع يحكم عليه. باستطاعتك أن تتهجم على شخصياً وأن تتهمنى فى أفكارى ومعتقداتى ولكنى لن أفعل العكس،

فتكون منى ردة فعل لا تؤدى إلا إلى مزيد من التباعد واتساع الشقة والهوة. ولا جدوى من ذلك إلا سعادة الأعداء وشماتتهم. ويظل من حقى أن افضح هذه الاتهامات وما وراء هذه الاتهامات، دون أن اشير إلى قدرة المتعرضين لهذه الاتهامات على أن يوجهوا مثلها وشراً منها إلى من يتهمهم. أما عبادة القمر والشمس فقد أنقذهم منها الله سبحانه وكتابه الكريم فى سورة الانعام وحيرة إبراهيم عليه السلام عندما رأى القمر بازغاً وقال «هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أنى برئ مما تشركون. أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين». ولكننى سأقول أنه جاء فى كلام المتصوفين والصوفيين وفى اشاراتهم الرمزية إلى القمر والشمس على أن القمر صورة الجمال والشمس صورة الجلال. وكما تكلم الصوفية على رموز الكرمة والخمر والحبيب، مما لا أجد أى داع لمثل هذا البحث المتخصص والذى يجد له محبذين ومنكرين. وليس من الصميم فى شئ. أما عبادة الأعضاء التناسلية... ومشاعية المرأة... فسأقول لك أن هذه الاتهامات توجه إلى أكثر من فئة مذهبية أو وثنية فى الدنيا. الذى أريد أن اقوله بسرعة هو أنى لم أعرف فئة احرص على الأخلاق التى جاء بها القرآن الكريم من العلويين، وليس ذلك لميزة خاصة بهم، بل لميزة أملتها عليهم البيئة التى يعيشون فيها. فقد اضطرتهم ظروفى معينة إلى الانطواء على انفسهم وهذا المجتمع المغلق ووجود المشايخ ارتفع بهم إلى أن لا يقوموا بأى عملى فيه ما يجرح الأخلاق والسمعة الحسنة. وهذا معروف ومعترف به علمياً.

ومن الأحاديث التى تجرى على ألسنة الناس أن الشاذين أخلاقياً لا تنفع بهم يوم القيامة حتى شفاعة الإمام على، وحاشا له أن يشفع لهم، ثم يأتى جاهل مغرض ويتهمهم

بأشياء أبعد ما تكون عنهم، وذلك بقصد العودة إلى استغلال أمور كان يستغلها المستعمر سابقاً، ويواصل الآن اعداء العروبة والإسلام استغلالها. وقد كتبت اطروحات فى الجامعات الغربية حول العلويين كلها افتئات وكذب وتحليل مثير للاشفاق والازدراء، ومع ذلك يأخذون عليها لقب الدكتوره. فما ذنب العلويين أو أية فرقة إسلامية أخرى إذا جرى تزويرها أو تشويهها بهذا الشكل؟ ولماذا نقول غير الواقع. إننا إذا كنا لا نجرؤ على الأعتراف بالوقع، فمعنى ذلك أنه مدعاة للعار، ومرفوض. ولا أحد فى الدنيا يجبرنى على القول أن العلويين مسلمون خالصو الإسلام، وعرب خالصو العروبة، أن لم يكونوا كذلك. ولو لم أكن عربياً مسلماً لما خجلت من أن اصرح بأنى لست عربياً ولست مسلماً، وهناك فى هذه الدنيا من يعبد الطبيعة وبعض ظواهرها فى الجماد والحيوان. وقد يكون بينهم مئات الملايين، ووزراء ورؤساء وزراء وعلماء ذرة... بل ثمة فلاسفة ومخترعون لا يعتقدون حتى بالله جل جلاله، ولا يخجلون من ذلك بل يجاهرون به، ويرون الجهل فيمن يخالفهم الرأى.

الحقيقة أن هناك مجرمين ومغرضين ومشبوهين لتفتيت الوطن... والاسترسال فى هذه الأمور ومحاولة إيقاظ الفتنة سلعة ملعونة مشؤومة. والفتنة نائمة عن لعن الله من إيقاظها. وأنا أعتقد أنها فى سورية لم تكن نائمة فحسب بل كنت قد اطفئت ولم تعد ذات وجود. لكنهم من جديد أضرموها ولا أقول أنهم إيقظوها. وقد اشتركت قوى كبيرة فى ذلك. ولكن لى ثقة أكبر بشعبنا العربى السورى عامة وسوف يجتاز هذه المحنة بكل وعى ونفاذ إلى الحقيقة وما وراء الاتهامات من دوافع، وسيتوصل إلى القضاء على كل ما يثير هذه الفتن ويؤجج نارها وعلى رأس كل ذلك النظام الحالى الذى هو وراء هذه الجرائم القومية والإنسانية معاً.

وواجبى أن أحذر شعبنا العربى السورى عامة، والمسلمين العلويين خاصة، مما يراد بهذا الوطن ومن اصرار جهات مشبوهة مرتبطة بشكل أو بأخر بالصهيونية ومخابراتها لجر

سورية إلى شر ما جرت إليه لبنان. وقد اطلعت مؤخراً على كتيب مطبوع في المانيا الغربية وموزع من هناك، ويحمل اسم «رابطة الصحافيين السوريين الأحرار» ويطلب من عنوان في المانيا كما يطلب زوراً وبهتاناً وقصد الوقيعة، من عنوان آخر في بلد عربي وباسم صحفي سوري. وكله شتائم مقذعة واتهامات تنطف منها الخيانة وروحية التخريب. وتهجم هذا الكراس القذر المشبوه على دين من يسميهم بالنصيرية الذي باستطاعتهم أن يردوا له مثل هذه التسمية التي رمى من ورائها إلى الأهانة بتسميات ليست أقل منها اهانة الله يعلم ويشهد أن لا دين للعلويين إلا الإسلام، ويرميهم بتهم لا يلجأ إليها إلا من باع نفسه للشيطان والجحيم. في حين إن نظام حافظ الأسد قد بقي بمنأى عن الهجوم إلا جملاً للتمويه. والقصد واضح من وراء هذه الهجمة التي تنسل من جدثها كلما أحست الشعوبية العالمية والعنصرية الصهيونية أن موازين الوعي والوطنية والقومية هي التي أخذت ترجح. لقد ساء هذه الجهات المشبوهة أن ترى النقمة العارمة على نظام الطغيان والفساد والخيانة تضطرم في صفوف المواطنين الملسمين العلويين أكثر مما تضطرم في أية أوساط وطنية أخرى، فعمدت من جديد إلى هذه الأساليب التي هداها إليها حقدها على سورية، وحرصها على تفتيت هذا البلد الذي كان يوماًما طليعة أمته العربية ازدهاراً وديمقراطية وشعوراً قومياً وعملاً دؤوباً في سبيل العزة والكرامة والازدهار والوحدة. هذه الجهات المشبوهة المنفذة لمخطط الشعوبية العالمية والعنصرية والصهيونية التي هالها الموقف الوطني والقومي الشريف الذي وقفه ويقفه المواطنون المسلمون العلويون، خفت بلك أدوات ارتزاقها وخانتها لتفسد هذا الموقف، بجرائم من حبر وورق كما هي من دم يجري، ولتجازي كل من يتمرد لي المخطط التخريبي التفتيتي، ولتدفع هذه الطائفة إلى الانغلاق والخوف والشك والقلق والتحفز والتوتر والالتفاف حول نظام الأسد الذي أراد دوماً أن يوهمها بأنه بني مجدها عندما أصبح رئيساً للجمهورية، وإنما كان في الواقع أخطر من أساء إليها ومن عاداها. وأني أعلن من موقع المعرفة الكاملة أن «رابطة الصحفيين السوريين الأحرار» لا

وجود لها إلا فى التصورات المريضة لمشبوهين لن يفلتوا من حساب الشعب. وبالمقابل فإن هناك «رابطة الكتاب والصحفيين السوريين» التى اتخذت مقراً مؤقتاً لها فى لندن، وتضم الكتاب والصحفيين السوريين الشرفاء الذين يناضلون بالكلمة الحرة المتميزة من أجل حرية الشعب وكرامة الحرف العربى. ولهذا الحديث مناسبة على حدة لأهميته وجدواه.

"الوطن العربى": من المنظور التاريخى، إلا تعتقد أن الثلاثى عمران وجديد والأسد، ودخولهم الجيش كان هدفه وقف اضطهاد العلويين فى المجتمع السورى؟

أحمد سليمان الأحمد: لا ريب أن العلويين عانوا الاضطهاد فى تاريخهم، وقد اضطروا إلى الاستنجاد فى أكثر من فترة قديمة بالعلويين من خارج الجبل، وبشكل خاص من السنجاريين (العرقيين حسب التقسيمات الحالية) الذين يؤلفون الآن أغلبية العلويين. ولكنى أعتقد مع ذلك أن الاضطهاد لم ينزل بالعلويين وحدهم خاصة منذ الانتداب والعهود التى تلته. كان الاضطهاد ينال الكثير من أبناء الريف وحتى قسماً من أبناء المدن. وفى اعتقادى أن القضاء على أسباب الاضطهاد، والقدرة على الاضطهاد، كان سائراً بالتدريج. وكان المظلومون، علويين وغير علويى، قد أخذوا يستعيدون حقوقهم، ليس بالشكل المثالى الذى نريده أو نطمح إليه، لكن آلة التغيير والاصلاح كانت قد بدأت تسير. فهل كنا بحاجة إلى استعجال ذلك عن طريق حركة عسكرية؟ أنا لا أعتقد دلك. ثم انى سأقول لك ان توجه العلويين ـ وربما أقليات فقيرة أخرى أيضاً ـ إلى الجيش كان واقعاً مفروضاً بقوة الحاجة وانقطاع اسباب المعيشة الأخرى، قبل ان يكون مفروضاً بهدف وقف اضطهاد أو نيل حقوق. وإلى جانب ذلك فان اللجوء إلى الطريق العسكرى سلاح ذو حدين كما يقولون. ومثلما تستخدمه أنت لمصلحتك حتى ولو كانت مصلحة عادلة فقد يستعمله غيرك لمصلحته أيضاً وتكون بدورها عادة أو غير عادلة.

إذاً إن اقحام الجيش فى هذه الدوامة غير حكيم فى نظرى، ومرفوض، وطنياً، على الصعيدين الاستراتيچى والتكتيكى. وأنا شخصياً لا أفهمه، لأنى لا أفهم للجيش دوراً إلا آن يكون وطنياً، عربياً، للشعب كله، وأن يكون لحماية الوطن والدفاع عنه ولحفظ عزته وكرامته، وأمن مواطنيه، وليس هو الذى يخطط أو يبادر إلى ربع حيف أو عدمه فالذى يرفع الحيف هو نضال الجماهير ووعى المواطنين، خاصة بعد أن تكونت الأحزاب فى سورية، وأصبح الحزبيون والمثقفون والمناضلون، أو أصبح من واجبهم أن يخوضوا معركة التوعية ومعركة وضع الأمور فى ايدى الجماهير، وتأمين وصولها إلى وعى حقوقها، وإنها هى مصدر السلطة وإنها هى الباقية وأن الأفراد والحكام هم الزائلون، وليسوا المقيمين عليها إلا بما تخوِّلهم، باشرافها، أن يخدموها وأن يرفعوا مستواها وأن يزيدوها ثقة بأن الحاضر الزاهر لها، والمستقبل الأفضل لأجيالنا القادمة.

أن جيشنا العربى السورى يدرك فى أعماقه أنه أهين، لأن الانتصارات قد سرقت منه، لأن الانكسارات قد غدت من حصته المقسومة سلفاً، والتى قسمها النظام المتسلط وفئته الباغية. لأنهم ارادوا له أن يقتل الفلسطينيين أو يحمى قتلتهم أو يدعم هؤلاء القتلة لمصلحة النظام الحاقد المتآمر على القضية العربية ومن ضمنها القضية الفلسطينية التى برعنا فى القول أنها القضية الفلسطينية التى برعنا فى القول انها القضية المركزية. ولأنهم ارادوا له أن يقف فى صف الأعداء الأمة ضد الأشقاء، فى أشرف معركة تخوضها الأمة على بوابة الوطن الشرقية بعد أن ردم جمر المعركة الأشراف الأخرى على الحدود السورية. وعلى الجيش أن يغسل الاهانة لأسباب كثيرة وجيهة يضيق المكان والوقت عن تعدادها. ولكن هذا التحرك يجب أن يتم بمفهوم الانتهاء والتخلص من هذا الدور الغريب الهجين الذى أراده له اعداء الوطن، والعودة إلى مفاهيم الجيش الوطنى القومى ودوره على نطاق الشعب والأمة.

أما إذا كان ما ذكرت قد مر فى فكر الثلاثى فليس باستطاعتى النفاذ إلى حقيقة هذا

التفكرى، اللهم إلا استقراء النتائج، والنتيجة التى تصدمنا منذ النظرة الأولى حتى السريعة، هى أن جزءاً لا يذكر من هذه الطائفة العلوية قد أثرى ثراء فاحشاً وتسلط تسلطاً غير مقبول، وغير معقول وغير جائز، لا فى الشرائع الوطنية ولا الإنسانية ولا الدينية ولا الخلقية. وكان كل ذلك على حساب جماهير هذه الطائفة، مادياً ومعنوياً، ثم على حساب الشعب عامة. ورغم أن المستغلين العلويين لا يؤلفون إلا قسماً من مستغلى الطوائف الأخرى، فما من شك لدى كل منصف أن الإدارة التى حملت لواء الطائفية فى الطوائف الأخرى ـ كانت بيد من ينتسبون للطائفة العلوية مع الأسف. وقد أثار تصرف هذه الإدارة وتصرف من انضوى تحت لوائها من الطوائف الأخرى، عللاً مخيفة فى الجسد السورى. ونال كل ذلك من تلاحم شعبنا السورى الذى نعتمد أولاً وأخيراً على أصالته فى التغلب على كل ما اجترحت هذه الإدارة الإجرامية الشاذة.

– إذا ذكرنا الطائفة العلوية فالى أى طبقة منها ينتمى حافظ الأسد؟

* العلويون كما قلت عشائر عربية، وهى طبقياً تؤلف وحدة متناسقة متقاربة. لقد كانوا تحت النير العثمانى مجموعة من الناس يعملون فى الزراعة، وليس منهم التجار أو الصناع، إلا على نطاق بدائى محدود لا يمكن أن يصنع ثروة. كما أن الزراعة البدائية بدروها لا يمكن أن تصنع ثروات أو رأس مال، لذلك كانوا كلهم سعداء بالكفاية الذاتية، فاذا لم يبلغها البعض تعاونوا فيما بينهم لمساعدة هذا البعض. ويجمع بين العلويين العروبة والإسلام، كما يجمع بينهم المذهب الجعفرى والخصوصية المحلية وقبل كل شيء وبعد كل شيء قربى النسب، فجميعهم تقريباً أبناء عمومة يتحدرون من سلسلة نسب واحدة. ولكن مثل كل العشائر العربية الكبرى، خاصة وانهم انعزلوا لفترة طويلة من الزمن ما كان لهم إلا أن يملأوا فراغ هذه الحياة، وقد ملأوه كغيرهم بأمور جيدة وأخرى منتقدة. وما

كلن لهم إلا أن يتوزعوا أفخاذاً وبطوناً على غرار القبائل العربية، ولم يكن مستحيلاً أن تقوم بينهم معارك قد لا تبلغ فى حدتها أو طولها تلك المعارك بين بكر وتغلب أو عبس وذبيان. وكان لا بد من عقلاء دوماً، ومن رجالات لهم قيمة لدى الشعب، ووكلمتهم مسموعة كى يعيدوا الناس إلى الصواب وإلى الدرب المستقيم. وهكذا نشأ الوجهاء ونشأ رجال الدين. وكان لابد لهم جميعاً ان يتمتعوا بثقة الناس عن طريق الأخلاق والمعرفة.

ومن هذه الطبقة التى تكاد تكون موحدة كانت عائلة حافظ الأسد. لا تشذ فى ذلك عن أغلب العائلات. وإذا عدنا إلى العهد الوطنى رأينا أن عضوية المجلس النيابى السورى كانت وقفاً على آل إسماعيل وآل اسبر دون غيرهم فى القرداحة. هذا تاريخ وواقع. ولكن جدّ تاريخ وواقع آخر، وتوصل حافظ الأسد إلى رئاسة الجمهورية. ومن حق أى مواطن عربى سورى، لا يتناقض ترشيحه مع مواد الدستور، أن يطمح إلى هذا المنصب. ولكن يبدو أن حافظ الأسد قد حمل معه أمراضاً كثيرة، ربما تكون عنيتها أنت بأنها طبقية. فيبدو أنه بعد أن أصبح واحداً من أغنى أغنياء العالم على الاطلاق أراد من جهة أن يتستر على هذا الغنى الفاحش الذى لا يجد مبرراً لأن صاحبه مارس السياسة وزاول المسؤولية الحكومية والحزبية، ولا يحق له بهذه الصفة أن يمارس تجارة النفط أو العمولات وغير ذلك. وهكذا لمست منه حرصاً على التذكير بمنبته الفقير- وهذا زى يعتقد البعض أن من الضرورى التزيى به لربح الجماهير الكادحة، وهى عامة الناس. وسمعته يتحدث فى مجموعة من مثقفى البلد لم يتجاوز عددهم الثمانية عشر، فأطنب كعادته ووقع فى تناقضات غريبة وأتى بمغالطات أغرب. ولم ينس أن يذكر بأنه اضطر إلى ترك المدرسة لفترة من الزمن حتى تمكن والده من تدبير ست عشرة ليرة سورية قسطاً للمدرسة. ثم وكأنه انتبه إلى أن هذا ينال من وجاهته سرعان ما تدارك الأمر معقباً: ومع ذلك فلا تعتقدوا أننا كنا من عامة الناس. كلا فقد كان أبى نصف آغا (بالحرف الواحد شهد الله) ثم توجه إلى

مخاطباً الحاضرين. وهذا هو الأخ الدكتور أحمد يعرفنا وباستطاعته أن يحدثكم عنا.

وبالطبع هناك روابط كثيرة تجمعنا بعائلة الأسد، ونحن جيران، ولكن هذا الحديث أثار اشمئزازى وربما اشمئزاز الحضور للطريقة التى عُرض بها. ثم ما معنى أن لا يكون المرء من عامة الناس؟ وما معنى أن يفتخر رئيس جمهورية بأنه كان نصف آغا؟ وهل فى كون المرء نصف آغا أى مدعاة للفخر أو للذكر؟ وربما كان هذا هو شعور بالنقص، أو الحقد على هؤلاء الذين كان الشعب يحملهم إلى المجلس النيابى. لذلك فلم أجد إلاأان أزوى وجهى عنه واتشاغل وهو نيتظر محنى الرأس ممدود العنق والصمت مخيم، حتى تبنين له أنى لن أتحدث فعاد إلى اكمال حديثه بكل تناقضاته ومغالطاته التى أشرنا إليها.

– إذاً فهو يشعر بنقص طبقى داخل الطائفة؟

* لك أن تستنتج ما شئت. ولكن الذى حملنى على الاشمئزاز هو أنه كان بامكانه أن يشير إلى جوانب إيجابية أو مضيئة فى عائلته كما فى معظم العائلات السورية. ولكنه لم يفعل، بل كان عقله الباطن يلح عليه بفكرة كونه نصف آغا، لعل فى ذلك مدعاة للفخر. وليس بالطبع فى ذلك أى مدعاة للفخر، أن لم يكن العكس تماماً. وهنا، بسبب من تداعى الأفكار، أذكر مقالة كتبتها السيدة نجاح العطار فى إحدى المجلات وأثبتتها فى كتاب صدر لها عن وزارة الثقافة السورية. وكان عنوان المقالة: «بدوى الجبل وبيته فى السلاطة» قالت: «ولكن البدوى مع نسب الشعر، له نسب في العلم. وبيته بيت علم. كما قالوا قديماً، والوجاهات كل الوجاهات علماً كانت وعلما تبقى». ولعلها بعد ذلك غدت ترى الوجاهات كما يراها رئيسها، نصف آغا، أو سيارة وشرطياً وسلطة. أما بالنسبة للعلويين فهم، كما أشرت، فقراء بشكل عام. ولا طبقات لديهم. ولئن سلمنا جدلاً بأن حافظ الأسد قد تعقد بعد ذلك من مخالطته ومعاشرته للأعنياء، فقد كان عليه أن يتخلص من

عقده بعدما ارتفع إلى المكان الأول فى البلد.

– بعد أن خالط مجتمع الضباط وهو مجتمع غير فقير فى سورية، وانتسب للحزب... كيف يمكن له أو لمن انتفع من الطائفة العلوية الآن أن يتخلى عن مكتسباته؟

* قد يكون مجتمع الضباط بشكل عام غير فقير فى سورية، إذا فهمنا الكفاية هى الغاية التى يريدها هذا المجتمع أو التى استطاع الحصول عليها. ومع ذلك، وبعد هذا الفساد اللامثيل له فى أوساط الحكم، وفى أوساط الضباط الكبار على الأخص باعتبارهم حماة الحكم والنظام، فإنى استطيع أن اؤكد أن أغلبية ضباطنا العظمى تعيش فى مستوى الاحتياج. ولا يمكن للأمر أن يكون إلا كذلك، إذ أن الضابط الشريف ليس له إلا راتبه كسائر الموظفين الشرفاء. وكثيراً ما يكون مسؤولاً عن عائلة كبيرة أو عن أخ وأخت فى أغلب الأحيان يتكفل بتعليمهما، إلى آخر اليأمر. أما الإنتساب للحزب وهو هنا حزب البعث العربى الاشتراكى الحاكم، فإن مثل هذا الانتساب كان يجب أن يكون إيماناً واقبالاً على العمل والنضال وتجرداً فى سبيل مصلحة الشعب وازدهار الوطن. أما كيف يمكن للمنتفع من الطائفة العلوية أو من غيرها أن يتخلى عن مكتسباته، إذا كانت سلطة فإن السلطة للشعب وحده وهو الذى ينيب عنه وتحت رقابته من يشاء. وإذا كانت المكتسبات مالاً مسروقاً من الشعب فسوف يعود هذا المال إلى الشعب، طال الأمر أم قصر.

نائب رفعت:

– أحد أعضاء التحالف الوطنى لتحرير سورية قال لى: اسال الدكتور لماذا بقي من ١٩٦٦ حتى ١٩٨٠ نائباً لرفعت الأسد فى رابطة الدراسات العليا وليس لدى رفعت أى علاقة بالأدب أو العلم.

* التاريخ الذى أعطاك اياه عضو التحاف غير صحيح وسؤاله– وأن يرد ذلك– مناسبة لجلاء بعض الأمور وتصحيحها. لقد تداعى حملة الدكتوراه فى سوريا عام ١٩٧٤ إلى مؤتمر كبير عقد فيجامعة دمشق، وكان الهدف منه تأليف رابطة الدراسات العليا، وتكون ممثلة لجيمع الاختصاصات العلمية والأدبية والفنية فى القطر العربى السورى. وكنا نطمح من وراء ذلك، أو على الأقل كان برنامجى أن نستخلص منها بعد ذلك أكاديمية العلوم العربية. وقد استطعت الحصول على هذا التفويض بعد اجتماع لاحق برئاسة رفعت الأسد كعضو قيادة قطرية ومسؤول عن قطاع التعليم العالى ورؤساء الجامعات السورية.

– فكرة الرابطة فكرة من كانت؟

* نعم. كانت فكرة رفعت الأسد. وحضر المؤتمر مئات الدكاترة من مختلف الفروع العلمية. وجرى طرح مهمة الرابطة. وجرت انتخابات بالاقتراع السرى. وقد كنت فى طليعة الفائزين علماً بأنى لست حزبيا. وهذا شئ شبيه بالمعجزة. ولا تقل هنا: ولكنك علوى، لأنى عند ذاك سأجيبك بأن العلوى ان لم يكن حزبياً– مادام رئيس الحزب علوياً– فالنقمة عليه أشد، ومحاربته أقسى وأظلم. أما رفعت الأسد فقد جرت المناداة به علناً لرئاسة الرابطة، لمنزلته فى الحزب والقيادة المدنية والعسكرية. وقد جرى انتخابى، دوماً بالاقتراع السرى، نائباً للرئيس أى رئيساً فعلياً للرابطة، بعد أن جرى ترشيح احد الدكاترة الحزبيين البعثيين والعلويين ضدى. وبقيت أكثر من خمسة سنوات فى هذا المنصب، امثل القوة العلمية الأولى فى البلاد. وبينما كان الانتهازيون والمرتزقة عاكفين على استغلال نفوذ الحكم والاستفادة من كل ذلك سيارات وبيوتاً وأراضى وأموالاً، كنت بعد القاء محاضرات الجامعيةعلى طلابى، أداوم فى مكتب بالرابطة طولا النهار، واستقبل الزملاء، وأتباحث معهم فى كل ما يجب أن يعود على البلاد، وعلى العلم

بالتقدم والنفع العام، وأساعد منهم من أساعد، ويجدن لدىّ المكتب المفتوح لهم متى أرادوا، والإنسان الذى يصغى إليهم. وكنت أستخدم سيارتى الخاصة، وأسوقها بيدى، وأسكن بيتاً مستاجراً، ولم استخدم سيارة رسمية إلا فى الشهور الأخيرة عندما أصيبت يدى اليسرى بحادث فى مهمة باللاذقية مع بعض اركان الرابطة. وقد حاولت أن أرتفع بمستوى مجلة «الفرسان» وأردنا لها أن تكون الناطقة باسم الرابطة، وبذلت جهداً كبيراً– باعتبارى رئيس مجلس إدارة مؤسسة الفرسان لجعل ميزان الوطنية والخبرة هو السائد بدل الانتهاز والارتزاق والشبهة.

وليس الآن مجال الحديث عن خمس سنوات من تواجدى على رأس أهم مركز علمى فى البلاد، ولكن باستطاعتى القول أنى وقفت جهد من أجل انشاء اكاديمية العلوم العربية، الذى كان حلمى وما زال. وعندما تبين لى أننى لن استطيع تنفيذ ذلك لقيام عراقيل من قبل النظام تحول دون هذا العمل الجدى الكبير، جمعت المكتب التنفيذى للرابطة وكان يضم رؤساء جامعات ووزراء ومسؤولين حزبيين والقيت كلمة مكتوبة– كى لا يجرى تحريف ما ألقيت بعد ذلك– وقلت لهم أن مبرر وجودى على رأس الرابطة لم يعد قائماً ولم استطع تحقيق ما وعدت الزملاء به من أقامة الأكاديمية، وأنى قررت الاستقالة والاكتفاء بعملى الجامعى وكتبى ومؤلفاتى. وكان ذلك ربما فى أواخر ١٩٧٨ أو أوائل ١٩٧٩. لا أذكر. وحاول الزملاء أن يثنونى عن ذلك. ولدى اصرارى تمسكون بأن أبقى فى المكتب التنفيذى، ثم فى الرابطة، ولكنى أصررت على أن لا تبقى لى أية علاقة بالرابطة.

– لكن.. أنت عرفت رفعت واجتمعت به كثيراً.. فهل لديه حقاً عمق علمى؟

* (ضاحكاً) لا تطمع بأن أقول لك كل ما أعرف فى مقابلة أو مقابلتين. وأنى

أوثر أن أتحدث كيف نستطيع أن ننقذ سورية من الهوة التى تردت فيها.

– ولكن هؤلاء أفراد تسلطوا على الشعب السورى. وعندما ترفض الكلام عن الفرد فعلى من نتكلم؟ لماذا الابقاء على الابهام فى سجل نائب الرئيس السورى؟

* ليست القضية قضية رفض الكلام أو قبوله عن الفرد أو الجماعة. ولكنى سأقول لك– ولك أن تستنتج ما شئت– أنى لو كنت فى جيش المسلمين يوم أُحد تحت راية الرسول الكريم لاقتديت بحمزة وأبى دجانة فى التصميم على دحر العدو الذى يريد أن يقتلعنى من مدينتى، ويقتلع الإيمان من صدرى، وأعتقد أن كل شئ غداً مفهوماً وليس ثمة ابهام أى كان.

– ولكنكم رأستموه على رابطة الدراسات العليا؟

* لقد رأسه منصبه فى الحزب. واسمح لى أن نتجاوز كل ذلك إلى شئ أهم.

– هذا هو الأهم. رفعت الذى ضرب حماة وما جرى من سفك للدماء؟

* كل من سفك الدماء وأصدر أوامره فى سفك الدماء لن يفلت من العقاب. ولم يكتب أحد فى حماة ونكبتها، ولم يقس أحد على من ضربوا حماة أكثر مما قسوت أنا. وضرب حماة مؤامرة مفتعلة من النظام الحاكم، وقد استجروا الأمور استجراراً حتى حصلت هذه المأساة الرهيبة التى كانت بحق مأساة العصر. وستبقى مأساة حماة وغيرها من مآسى مدننا السورية مهيباً بنا إلى مزيد من اللحمة الوطنية وإلى مزيد من النضال كى نجعل حصول مثل هذه الجرائم غير ممكن.

وأعتقد أنه من الخطأ ومن الخطر بمكان أن يصور بعضنا إن طائفة ما كانت وراء أرتكاب هذه المجازر. أن النظام القائم بكل أحزابه وممثلى طوائفه مسؤولون معنوياً ومادياً، لأن

الأجرام الذى حصل لم تكن له هوية دينية أو مذهبية أو عرقية أو طبقية أو ما شابه ذلك، بل كان أجرام نظام فاسد خائن متسلط على رأسه حافظ أسد ولكن له أركاناً متحمسين فاسدين خونة متسلطين بكل ما لهذه الكلمات من أبعاد. وهنا أعود إلى أنك رأيت من الأسفاف لدى المعارضة السورية أن تردد بأن حافظ أسد عميل لإسرائيل، وأنا أرغب إليك هنا أن تستنتج من مذابح حماة وتدمر وأدلب وغيرها ماذا يمكن أن يكون مثل هذا النظام، وهل فعل ذلك لمجد العروبة والإسلام أم خدمة لإسرائيل؟ وهل أنت بحاجة إلى أن أذكرك بمؤامرة حافظ أسد ونظامه على القضية الفلسطينية مؤامرة لا مجال فيها للأجتهاد، ولو أن إسرائيل هى التى وضعت هذه الخطة لما كانت أحكم ولا ألأم. ولقد قرأت وسمعت أن حافظ الأسد قد أبتز من منظمة التحرير الفلسطينية خمسمائة مليون دولار، وأنه يفاوضها الآن على قرابة مثل هذا المبلغ. وأريد أن أعلق ـ سواء كانت هذه الأخبار صحيحة أم لا ـ إن حافظ أسد لو أعطته المنظمة كل ما تملك وسجلته بأسمه فى أحد البنوك الكثيرة التى تحوى أرصدته وودائعه، ولو سعى كل زعمائه إليه طائعين مبايعين له على «الجزء الجنوبى من سورية» لما كان نصيبهم إلا الأصرار على التخلص منهم حتى جسدياً إن أمكن، ولما كان نصيب «جزئنا الجنوبى» إلا نصيب «الجولان» وأشباه الجولان أى الضم الأبدى إلى إسرائيل حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا. وأسفى كبير على من يريد أن يكابر فى مثل هذه الحقائق. والشقى من وعظته نفسه.

وأنا أدرى كم أتحمل فى سبيل أن أوصل كلمتى العارفة المخلصة إلى الشعب وقياداته وعلى سبيل المثال، وبعد أنتشار قصيدتى فى حماة جاءنى من ينقل لى عن أقارب حافظ أسد فى بلد أرووبى شرقى أن حافظ أسد قد حكم عليّ بالأعدام وأنه شخصياً يشرف على أنجاز هذه المهمة، ورغم أنى أعلم بأن حافظ أسد فى هذا المجال، صادق فقد قابلت ذلك بالسخرية وقلت: بلغه اذاً أنه عبثاً يريد أن يرهبنى، أن يمارس الأرهاب المعروف به ضدى، وأنه للجدير بأن يخاف قبل كل الناس لآن شعباً بأسره قيد حكم عليه بالأعدام. وجاء من

ينقل إلى فى بلد أوروبى غربى هذه المرة تحذيرات وتعليمات للسلامة، لأن عصابات أسدية مدربة متوجهة لاغتيالى، لأنى أمثل بالنسبة لحافظ الموقف الصلب والمؤثر والأقوى للعصف بكل ما بناه من هياكل للأرهاب والفساد والخيانة. ولم اجد التأييد من أبناء الطائفة العلوية وحدهم بل اجد هذا التأييد المتنامى من أبناء صفوف شعبنا السورى عامة، وقد جرى- على سبيل المثال- توزيع مناشير فى حماة وحلب وغيرهما من المدن السورية تصفنى بالصادق وتصف من يتجهم على بالمنافقين. ورغم ذكل فأنا آخذ تحذيرات هؤلاء الذين جاؤونى ويجيئونى بعين الاعتبار ولكنى لا أقيم أى وزن لقدرة هؤلاء السفاحين فالله يقينى شرهم وحب الشعب. وأنا امرؤ مؤمن (فثبتوا الذين آمنوا. سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب).

- من خلال تفسيرك لتركك رابطة الدراسات العليا، بدا وكأن السبب كان عدم تمكنك من اقامة أكاديمية العلوم العربية. ولكن ألم تطالب المسؤولين بوقف سفك الدماء؟

* كانت مهمة الرابطة الأولى فى نظرى - على الصعيد العلمى- أقامة هذه الأكاديمية. ولم يردها النظام لأنه كان يريد الرابطة لغاياته. وربما نسيت أن أقول لك بأن مؤتمرها عقد برعاية رئيس الجمهورية وألقى كلمة الافتتاح محمد حيدر، نائب رئيس الوزراء، واحد كبار قادة الحزب إذ ذاك. ومع ذلك فإن العلمى فى نظرى لا يمكن له أن ينفصل انفصالاً كاملاً عن الاجتماعى والسياسى، ولا يمكن لرجل الأدب أو العلم أن حبس نفسه فى برج عاجى، بمعنى أن يكون غير متحمسس بما يجرى حوله. وكإنسان ديمقراطى مستعد لتقبل ما يجول بأفكار الناس دون أن أحاول أملاء أى شئ عليها املاء، ولكنى أعرض رأيى بمنطقية وعلمية واخلاص ولهم أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا. وقد أدبنا نبينا الكريم هكذا فأحسن تأديبنا. ولكنى سأقول لك أنه ما من أديب سورى بل أديب عربى كان

بأمكانه أن يضع نفسه فى برج عاجى، فرفضه لنفسه، واستهجنه لغيره كما فعلت أنا وآرائى ومواقفى واضحة فى مقالاتى وكتبى وحياتى عامة. صحيح أننى عللت تركى الرابطة بقيام العراقيل فى وجهى لاقامة اكاديمية العلوم. وهذا صحيح ولكنه ليس كل الحقيقة. وعدم رضاى عنالحكم والنظام كان معروفاً وليس ذلك فقط بل كنت أصرح الناس فى النقد والتوجيه وأشدهم وأقسامهم. ولا أريد آن استرسل فى عرض مواقف لى بل يكفى أن أقول بأنه كان يمكن لى أن أكتفى بالدعاية لشخصى، والبروز فى الصحف والمجلات والحفلات وتلقى الدعوات من جميع الأقطار العربية بلا استثناء، فى حين آثرت أن أعطى كل قيمتى ومنزلتى وشاعريتى بل حياتى لشعبى وأمتى. وأنا أتحدى أن تجد الآن قطراً عربياً– إلا ما رحم ربك– يرضى مسؤولوه بأن أدعى حتى كشاعر. وكان مثقفو أقطار عربية كثيرة يبدون لى اسفهم من إنهم لا يستطيعون أن يحتفلوا بى فى عواصم لأسباب لا تخفى على أحد. والمراجع التى تجعت وتعهدت بدعوتى تهربت بعد ذلك وعذرته. فى حين ترى الأدعياء ومن لا علاقة لهم بالقضية العربية أو الوطنية أو أى نضال اللهم إلا النضال فى سبيل اشخاصهم، وأحياناً كثيرة ضد العروبة وضد الديمقراطية، لهم قرص فى كل وليمة. وإذا كنت اسف لمثل هذه المواقف، فليس ذلك من منطلق شخصى، ولكن إرادة منى بأن نكون أكثر حباً للحقيقة، وأكثر إيماناً بالأمة القيم.

أجل يا أخى لقط طالبت ليس بوقف سفك الدماء فقط، بل بتغيير كل تلك العقلية الإجرامية التى أوصلتنا إلى هذه الحالة. وفعلت ذلك وأنا لا أدرى كيف يفاجئنى الموت العنيف: فى الشارع، أو فى مدخل البناية التى أسكنها، أو المكتب الذى أدخله، أو المنبر الذى ألقى عليه محاضراتى فى الجامعة. وسيبقى شعرى أو فى وثيقة فى هذه الفترة. ولكن أتظن أن هذه الجرائم التى خطط لها يمكن أن تتوقف بمجرد مطالبة أم نصيحة؟

التحالف:

– قد أكون ألححت فى السؤال عن جانب محدد. مهما يكن لننتقل إلى الحديث عن التحالف الوطنى لتحرير سورية، وبعد دخولك للأمانة العامة فى التحالف فى دورته الثانية. وهل تمثل نفسك، أم حزبك الوطنى الديمقراطى؟

* كان دخولى التحالف الوطنى السورى بصفتى الشخصية مستقلاً. واعتز بكون حزبى الوطنى الديمقراطى حاضراً بحيوية على الساحة فى الداخل. كما أعتز بأن أخواتنا فى الحزب قد بلغونى فى تلك الفترة بالذات اجتماع القيادات بشكل سرى، بعد اعداد أخذ بالاعتبار نشاط مخابرات النظام وأجهزة قمعه، واجماع هذه القيادات ـ معبرة عن إرادة أعضاء الحزب قاطبة– على انتخابى رئيساً للحزب فى هذه الفترة وناطقاً باسمه ومعبراً عن مبادئه وطموحاته. ولو أنى دخلت التحالف باسم الحزب الوطنى الديمقراطى لكان علىّ أن أطالب بأكثر من مقعد فى الهيئة التاسيسية أو فى الأمانة العامة، وكان علىّ أن أقدم بعض الأسماء الموجودة فى الخارج، وهى أعداد قليلة إذا أن الحزب تكّون فى الداخل وعمل فى الداخل، وليس لديه أى تفكير بالظهور فى الخارج إلا بأفراد قليلين انضموا إليه لاحقاً دون أن يكونوا من مؤسسيه. ثم أن ترشيح الأخوة لى لعضوية الأمانة العامة – وهى الهيئة العليا لقيادة المعارضة– قد جاء ليثبت جدية الأحزاب والشخصيات المستقلة بأن يجدوا بينهم قادة من مختلف الطوائف والاتجاهات، يجمع بينها الإيمان العميق بالديمقراطية والتلاحم الوطنى، وبكلمة أخرى باسقاط هذا النظام وحاكمة رموزه محاكمة عادلة على ما اقترفوه بحق الوطن والشعب.

– كم عدد أعضاء الحزب ومن إبرز هؤلاء الأعضاء؟

* سأقول لك أن الحزب الديمقراطى يضم جماهير عريضة من مختلف الفئات فى المدن والأرياف السورية. بل استطيع القول، من خلال ما يصلنى، أن هذا الحزب أصبح يمثل الآن القوة الشعبية الأولى المنظمة. وأبرز اعضاء الحزب مناضلون فى الداخل، وله أنصاره الكثيرون فى الجيش ولكن ليس بمفهوم الاستيلاء على السلطة وليس بمفهوم التخريب الذى يجب أن يبقى الجيش بمعزل عنه لأنه جيش للشعب والوطن، بل بمفهوم العودة إلى الشرعية أى العودة إلى الحكم الوطنى والديمقراطى، إلى حكم الشعب بالشعب وللشعب، ويقف الجيش حصناً حصيناً للدفاع عن الوطن ووعى مفهوم هذا الدفاع وعياً شاملاً، صميمياً، يعيد إلى الوطن ما اقتطع منه، ويؤدى الدور الوطنى المعروفة له سورية.

وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فإن جيشنا السورى لا يجوز له أن يقبل بأن يكون أداة فى يد الطغاة الفاسدين الخونة لاجتياح بلد شقيق والاصرار على تفتيته وقتل الموارنة والشيعة والسنة والدروز، أو لإتخاذ أتباع منهم، أو لتحريض هؤلاء على أولئك أو لمحاصرة الفلسطينيين والتصميم على استئصالهم وايجادهم فى حالة لم يسجل لها التاريخ مثيلاً إلا فى اشأت فتراته الهمجية. وهنا أريد أن أخصك بهذه الحقيقة وقد تكون ما تزال سراً عند الكثيرين فى الداخل والخارج، وهى أن حافظ أسد عندما كان يأمر راجماته ومدافعه بقصف منظمة التحرير ومقاتليها بطرابلس من البرّ بينما يقصفها الصهاينة من التبحر، أرسل جنودنا إلى قيادة المنظمة يخبرونهم أنهم ليسوا فى وضع يمكنهم فيه رفض الأوامر. ولكن لتظمئن قيادة المنظمة لأن جنودنا لن يسددوا إلى المواقع الفلسطينية بل إلى البحر. وقد تم ذلك بالفعل، وأنا استشهد هذه القيادة على ذلك. ولن أقول لك أن هؤلاء الجنود كانوا– أو كان أغلبهم– أعضاء فى حزبنا ذلك لأننا نرفض تخريب الجيش رفضاً قاطعاً مبدئيا. ولكنى سأقول لك أنه كان لنشاط حزبنا العقائدى والتوضحى الأثر الحاسم فى إتخاذ هذا الموقف الشجاه رغم أنه دون ما كنا نريده. ولكن كل شئ بقدر. وأذكر إنى كتبت فى تلك

المناسبة الفاجعة قصيدة لاهبة جرى تناقلها فى الوطن والمنافى. والقصيدة جديرة بالتأمل. وما زلت إذكر منها- رغم أنى لا أحفظ شعرى- هذه الأبيات، والخطاب إلى دمشق:

قومى نـــرد لجيشنـــا تاريخـــه
ونقـل لجـنـــدى لمـاذا جــنّـدا
ألكى يذود عن الحـــــدود غزاتها
ويغيث حامية الثغور وينجدا
ويظل عنوان الكرامـــة مـــوطـــن
حـــر وشعـب ليس يبـرح سـيد
أم أنـــه طـوع لبـــاغ خـــائن
قمـــع البلاد للهـــزيمة مهـــدا

– وأى سنة تأسس الحزب؟

* لقد كنا نتحدث به قبل مغادرتى سورية فى ١٩٨٠. ولا ريب فى أننا أمضينا وقتاً طويلاً فى التهيئة والاعداد وفى التوصل إلى أفضل السبل والوسائل للتعبيرعن إرادة الشعب ومطامحه من جهة، وإلى إيجاد الطليعة التى ستأخذ على عاتقها النضال فى سبيل تحقيق ذلك. وبعد مغادرتى الوطن كنت على اتصال مستمر بالأخوة فى الوطن، وقد أبلغت فى السابع عشر من نيسان (إبريل) ١٩٨٨ بانتخابى رئيساً للحزب، وهو تاريخ يتفق مع إعلانه. وقد اخترنا له هذا التاريخ لما يحمل هذا اليوم من معنى جليل ومغزى حيوى خاصة فى هذه المرحلة التى تجتازها سورية. ولا شك فى أن تأسيس هذا الحزب جاء تلبية لضرورة ملحة فى أوساط الشعب،

خاصة بعد أن تكاثرت الأحزاب الصورية حول النظام، وهى لا تمثل أية قوة شعبية على الاطلاق، بل الارتزاق سبب وجودها، وكذلك المناروات والديماغوجية المعروف بها النظام ورأسه وأذنابه.

ولا شك فى أن أحزابنا فى المعارضة تتصدى بشجاعة لمهمة صعبة ولكنها مجيدة ونحن وأن كنا نعتقد أننا نعبّر أفضل تعبير عن إرادة شعبنا و ع مقتضيات المرحلة التى تجتازها بالدنا، فإننا ندرك أن كل القوى الشريفة فى وطننا يجب أن تتحالف فيما بينها على خطة عمل موحدة لاسقاط النظام القائم وبعيداً عن الانشغال بالمكاسب الحزبية. وأنى إذ أعتقد بأن الحزب الوطنى الديمقراطى هو أفضل معبر عن إرادة شعبى فلا يعنى ذلك الاحتكار ولا الوحدانية. إننا مؤمنون إيماناً عميقاً بالشعب، وبالديمقراطية، ولابد من التعددية. حتى لو أعطت غالبية الشعب ثقتها غداً، للحزب الوطنى الديمقراطى فسوف يسعدنا أن نجد جانبنا أحزاباً أخرى فى الحكم. وأحزاباً أخرى فى المعارضة. ولكنها ستكون فى حالة الحكم منسجمة مع إرادة الشعب وتحت رقابة الشعب، وستكون فى حالة المعارضة مستجيبة أيضاً لمفهوم الوطنية والديمقراطية، إذ يظل ميدان التنافس فى صفوف الشعب، كما فى أرقى الديمقرطيات، بل أننا نطمح إلى تجاوز أرقى هذه الديمقراطيات فى فترة غير بعيدة، لأننا عانينا من أعتى الدكتاتوريات وعلينا بعدها أن نعيش ويعيش أبناؤنا فى ظل أرحم الديمقراطيات.

لذلك كان شعارنا فى الحزب «الديمقراطية»، وكان شعارنا «الوطنية» لأننا بحاجة أن يعود الصف الوطنى متلاحماً كما كان فى ذروة النضال ضد المستعمر والمغتصب والمتآمر. ونحن الآن فى نضال ضد مغتصب للسلطة ومشوه لقيم الوطن والشعب، ومفتت لوحدتهما. أجل نحن بحاجة إلى أن نعود مواطنين متكافئى الفرص فى شتى المجالا، ونحن

بحاجة إلى الديمقراطية، ولربما وجد مناضلو الحزب الوطنى الديمقراطى وقياداته أسباباً رأوها وجيهة فى انتخابى وهى أنى كنت طوال حياتى مناضلاً فى سبيل الوحدة العربية والحق العربى والكرامة العربية والتقدم، وعودة سورية والعرب جميعاً إلى مكانهم فى العالم من أجل أنفسهم ومن أجل العالم. ولم أكن منتمياً إلى حزب من الأحزاب، أى أنى لم أمارس السلطة ولا الحكم، وكنت دائماً مناضلاً فى صفوف الشعب.

– لماذا لم يجذبك حزب البعث العربى الاشتراكى فى بداياته؟

* لقد دعمت حزب البعث العربى الاشتراكى منذ انطلاقته الأولى بقوة ووضوح، ووقفت إلى جانبه وحاولت جهدى أن أبعد عنه ما كان يتعرض له من عدوان حتى الاعتداء المادى. ولكنى مع ذلك كنت أوثر أن لا أتقيد بشكل حزبى، رغم إيمانى بشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية. كنت أريد مع ذلك أن أبقى حراً بتفكيرى، منصرفاً إلى عالم الفكر والثقافة.

– لماذا اذاً حددت نفسك الآن بحزب؟

* لقد أتيت السياسة مرغماً إذ لم يعد هناك مفر من أن أنزل بنفسى إلى الساحة بكل تاريخى المبدأى والثقافى، لأجلو بعض الأمور التى ستقودنا إلى الكارثة إذا لم نعرف كيف نعالجها بروح المواطنة والديمقراطية. وعندما تأكد لى أن النهوض بهذا الواجب يقع على، ضحيت بكل ما كنت رسمته لنفسى ووضعت كل مكانتى الفكرية والاجتماعية فى الميزان لصالح الشعب والوطن، وأقدمت، وعرضت حياتى للخطر وأنا الآنفى دور الكهولة وكان قد أصبح من حقى أن أنعم بشئ من الراحة الجسدية على الأقل. ولكن لا يعنى كل هذا بالطبع أنى كنت فى برج عاجى كما جرى التساؤل على لسانك. ولو استعدت تاريخ حياتى لوجدت انى كنت دوماً استهين بالحياة فى سبيل موقف يمليه الواجب الوطنى أو

الإنسانى. أذكر أنه عندما احتدم الصراع بين القوى الوطنية وقوى الاحتلال والاستعمار وأخذت الطائرات والدابات المدفعية تحصد أبناء الشعب، تنادينا فى اللاذقية أنا ومجموعة من شبابها المثقف الواعى– وكنا ما نزال فى ريعان الشباب– وأذعنا بياناً مكتوباً وموقعاً منا على جيشنا– وكان مجنداً لدى المحتل– ندعوه فيه إلى تلبية نداء الوطن والانضمام إلى القوى الوطنية. ولم نلتفت يومذاك إلى أن مثل هذا النداء حكمه الاعدام. وكان فى طليعة من وقع هذا النداء – وأذكر ذلك للتاريخ الذى كان ربما سيبقى مجهولاً مثل مئات وألوف المواقف العظيمة– علاوة علىّ كل من صلاح أحمد وهو الآن استاذ جامعى وباحث علمى كبير وعلى غنام وقد أصبح فيما بعد قاضياً كبيراً ومحمد على كامل وقد غدا محامياً وواحداً من المرموقين فى محيطهم وكان ممن استجابوا لنداء الواجب النابع من ضميرهم كما هو نابع من ندائنا الضابط محمد معروف الذى غدا بعد ذلك ذا دور مرموق فى الجيش السورى. كما كانفى طليعة من قاتلوا الصهاينة عام ١٩٤٨ الضابطان حين مهنا وأسدع كنعان اللذان أبليا بلاء حسناً، وأصيب أولهما فى المعركة، وهذا غيض من فيض كما يقولون. ولست الآن قريباً من مذكراتى أو ممن استعيد واياهم ذكرى تلك الأيام الصعبة الرائعة. وأنا أعتذر عن الأسماء التى لم أعد أذكرها أو لم أعد متاكداً من دورها إذ ذاك. أردت من ذلك أن الفكر والعلم والأدب، طريق تأدية الوجب بل أنها تكتسب شرفها وأهميتها إذا وضعت سبيل الشعب. ولو أن غيرى سمحت له ظروفه وامكانته أن يتصدى لهذا الوزن والقوة والتأثير لآثرت أن أدعمه وأن أظل الشاعر والمفكر الذى نتأمل ويقول كلمته الصادقة دون أن أخوض المعارك اليومية.

– وما هى الأمور التى دعتك للنزول بنفسك إلى الساحة؟

* أمور كثيرة ولكن أهمها إنحراف الحكم فى سورية وانحيازه كلية إلى موقف الفساد والقمع والخيانة. يضاف إلى ذلك السلاح الذى إتخذه النظام فى هذه المعركة التى يخوضها ضد الشعب والأمة، إلا وهو سلاح الطائفية. ثمة مفاهيم قد تلتبس حتى على الشرفاء. وقد يخيل للقاصرين والمشبوهين والمضللين (بفتح اللام) أن العلويين كطائفة هم الحاكمون، وهم المرتكبون لهذه الجرائم التى تبرأ منها الكرامة والوطنية والإنسانية. وهذا الاعتقاد الخاطئ قد يقود معتقدية إلى التسلح بروحية طائفية لا تقل خطراً أن لم تكن تزيد عن الأولى، ويبقى الخاسر الوحيد هو الشعب بمجموعه، فى حين أن المرتكبين ينعمون بما استفادوا من هذه الروحية الطائفية وبما انتقموا من الشعب وبما سلبوه.

لقد أصبح الآن أكثر وضوحاً للناس فى داخل سورية، بل تعدى ذلك إلى الوطن العربى بل لكل الأوساط التى تهتم بالقضايا العربية، أن رأس الحكم يستغل طائفة معينة، يطغى باسمها ويقتل ويشرد ويقمع ويثكل وييتم ويسرق وأنه يفعل هذا ليس باسم الطائفة والحزب بريئان منه ومما يخطط وينفذ، وهو لا يمثلهما، ولكن صنع لنفسه حزبه الخاص وطائفته الخاصة، وهما غير الطائفة العلوية وغير حزب البعث العربى الاشتراكى. وكان يجب على شخص يثق به الناس وتثق به الطائفة وله تاريخ ثقافى ونضالى، ولم تعلق به أوضار الحكم أن يثبت ذلك. وهكذا استجبت بكل قوتى ومنطقى وحقى لهذا النداء. ولقد كنت أقول دوماً قبل مغادرتى سورية، والآن أقول ذلك بمثل هذا الإيمان الذى لم يتزعزع لو أننا إجرينا استفتاء حراً لنال حافظ الأسد أدنى نسبة فى الشعبية بين العلويين قبل غيرهم، ولو أجرينا استفتاء على حافظ أسد فى القرداحة. وكان من دوافع خوضى غمار هذا النضال ضرورة عودة المفاهم الوطنية الصافية النقية التى ربينا عليها، وطحمنا إلى تربية اجيالنا

الطالعة عليها. هذه هى مهمتى: توحيد ما أمكن من هذا الشعب حول فكرة الوطنية والديمقراطية، وامكانية استقطاب العدد الأكبر من الشعب فى حزب وطنى ديمقراطى متقدم جداً على الأحزاب الأخرى لأنه استفاد من كل التجارب السورية والعربية بل والعالمية ايضاً. ومنسجم مع إرادة الشعب ومع بناء الدولة الحديثة والمجتمع الحديث فى ظل ارحم الديمقراطيات. وبذلك نعود إلى حقيقتنا العربية يوم كان العالم يتطلع إلينا وينسج على منوالنا ويستفيد منا. أجل لابد من توحيد كلمة الشعب ولابد من اسقاط نظام الطاغية، ووضع السلطة فى يد الشعب. ولا ريب ان اخطاء ستقع فى ظل الديمقراطية ولكن لا دواء إلا بمزيد من الديمقراطية وسوف ينشأ الجيل الديمقراطى الذى نريد. ولئن اعتقد الطاغية أن جيشنا لم يتعلم شيئاً من الدرس القاسى الرهيب فى حماة فإنه مخطئ. صحيح أنه مازال يراهن على هذا الجيش، أو على بعض القوى فى هذا الدور الذى يريد أن يورط به جيشنا ونريد أن يتجنبه جيشنا الذى طالما كنا نعتز ب، والذى هو، فى أول المطاف وآخر، منا ولنا. ولقد غيرت أنتفاضة اطفال الحجارة أموراً كثيرة، ولن يقبل أى جيش، أو أية قطعة أن تمثل دور الجيش الإسرائيلى النذل الوغد فى قتل الأطفال والنساء. وإذا استطاع الطاغية أن سيتغل فى فترة معينة وظروف محددة وضمن حالة نفسية متوترة مريضة، بعض المشبوهين وبعض المغالين فى جهلهم فإنى أعتقد بأن الظروف قد تغيرت ولن يستطيع، حتى بمساعدة قوى عالمية، أن يخلق هذا الجو المشؤوم من جديد.

سيناريو التغيير:

– كيف ترى سيناريو التغيير فى سورية: عبر انقلاب عسكرى أم ثورة شعبية أم نضال مسلح؟

* أعتقد أن الشعب هو الأستاذ الأكبر فى هذا المجال. ولا أريد أن أحدد الأسلوب أو أملى الطريقة. صحيح أن الحزب هو طليعة أحياناً وهو القائد ولكن لابد من العودة دوماً إلى

الشعب، ومن الشعب يستمد، ليس فقط وشرعيته فى القيادة، بل أسلوب التحرك والعمل. فمن واقع الشعب ينطلق تحركنا. وهكذا ستكون خطتنا أقوى من أن يستطيع حافظ الأسد الالتفاف عليها واحباطها. وفى اعتقادى أن الجيش سيكون إلى جانبنا فى هذا التحرك. طبعاً هذا شئ مختلف جذرياً عن الانقلاب العسكرى. وتدخل الجيش بالسياسة أمر محسوم لدينا إذ لا تدخل مطلقاً. أن دور الجيش سوف يكون الدور الذى نعرفه لجيوش الدول المتقدمة وذات التاريخ العريق فى الديمقراطية والوعى. وسوف نمحو عقدين أو أكثر من التشويه. ولقد أبعد جيشنا، بما فيه الكفاية، عن دوره الوطنى والقومى، وأنا مؤمن بأنه سيعمل كل شئ للعودة إلى هذا الدور وسوف يتمسك به. ولا شرف لأى جيش إلا بهذا الدور وسوف يتمسك به. ولا شرف لأى جيش الا بهذا الدور: محبة الوطن والانضباط أمام السلطات الشعبية.

– لكنك أنت دخلت فى تحالف مع من يؤمن بالكفاح المسلح فى سورية؟

* لقد دخلت فى التحالف الذى يقول بالكفاح النضالى.

– كيف قبلت الدخول مع الأخوان المسلمين فى التحالف؟

* سأقول لك أنه من أساليب مهاجمة النظام القائم لى أنه كان يوفد بعض المستأجرين من عديمى الوجدان والوطنية، يطوفون فى الساحل والجبل وأرياف حماة وحمص ويرددون بين الناس: انظروا إلى فلان ابن إمامكم كيف يتحالف مع الأخوان المسلمين الذين يقتلونكم ويريدون أن يبيدوكم. وفى ظن النظام، أنه من جهة يزيل مكانتى لدى العلويين، ومن جهة أخرى يكون قد فاز بمزيد من تأجيج الروح الخبيثة الذميمة. لقد دخلت فى تحالف وطنى مع الأخوان المسلمين والبعثثين والناصريين، ونمطح إلى أن تنضم إلينا قوى أخرى. أليس رائعاً أن تجتمع كلمة الشعب بعد أن اجتهد النظام المشبوه سنين طويلة فى تأليب بعضنا على

البعض الآخر لصالح اعداء العروبة وعلى رأسهم الصهيونية العالمية وكيانها الإجرامى. ثم نحن نسير معاً ليس من خلال مبادئ كل حزب من أحزابنا، بل من خلال ميثاق التحالف الواضح الصريح. وعندما تتحرر بلادنا، نحن متفقون وملزمون بأن نضع الأمر فى يد الشعب. ولقد قلت فى أكثر من اجتماع: اننا معاً من أجل اقامة حكم الشعب، أقامة الحكم الوطنى الديمقراطى، ولا أعتقد أنه من الضرورى غداً أن نعود جميعاً إلى الحكم. فالأمر للشعب. ويسكون منا المعارضون ولكنها ستكون معارضة فى جو ديمقراطى، ولصالح البلاد، وبالحوار، مستبعدين أسلوب العنف.

- لكن هناك من خلق نهراً من الدماء بين الطائفة العلوية فى الجبل والطائفة السنية فى حماة؟

* لقد دخلت التحالف لأنى أريد أن أنسق مع كل الوطنيين المعارضيين للنظام. وأنا وطنى ديمقراطى. أى أو من بالحلول الوطنية فى ظل الديمقراطية. لا أريد أن تنفرد بالحل أية طائفة على حساب الطوائف الأخرى. والعلويون هم جهة فى هذا الحل مثل كل طائفة من الطوائف السورية (وهنا، أريد أن أشير مرة ومرة إلى أن هذه التعابير مرفوضة، ونحن نتعامل معها كواقع شاذ لابد من تغييره). وهذا لا يمنع أن يكون العلويون طليعة فى التغيير بمفهوم المواطنة الديمقراطية. وقصة أنهار الدماء أغنية شيطان رجيم بدأها، وعلينا أن لا ننشد كالببغاوات- كى لا أستخدم تعبير غير هذه اللفظة ـ فى جوقة الدمار العنيف. أن شهداء حماة وتدمر وأدلب وكل بقعة فى لبنان وفلسطين هم شهداء الشعب والأمة. وسيظل استشهادهم منارة (توحى إلى جيل الغد البغضاء) كما قال أحمد شوقى، ولكنها البغضاء، ولكنه الحقد على الطغاة والفاسدين والخونة. ولكنه النداء الخالد لمزيد من الوطنية، ومزيد من الوع، ومزيد من المسؤولية. وفى هذا الجو وحده يمكن أن ينال المجرم

عقابه. وإلا استطاع المجرم أن يفر ويترك الضحايا تتفانى بغباء.

– هل عاتبت الأخوان المسلمين على أغتيال المفكرين العلويين وهل غفرت لهم ذلك؟ وما هو تبريرهم؟

* أعرف حزباً أو جماعة باسم الأخوان المسلمين، مراقبهم العام عدنان سعد الدين. وقد تحاورت معه مراراً ومع أقطاب جماعته.– وليس لد ما يحملنى على أى تفكير مغاير إزاء اية حركة إسلامية سورية أخرى– وتبين لى من خلال هذا الحوار، ومن خلال الأدبيات والأفكار والآراء التى اطلعت عليها أن هناك فكراً متطوراً منفتحاً، بعيداً عن التصرفات والأفكار التى أدت إلى المأساة. وأنا لست فى موقع الغفران أو القصاص. واعتقادى أن كبار المجرمين من أية فئة يجب أن يحكموا. ومن تلوثت إيديهم بالدماء من جميع الطوائف سيحملون هذا العار بكل ما له من أصداء تزقوا كالبومة حتى يصدر حكم الحق والقانون. ولابد مع ذلك لهذا الشعب أن يتعاون بروحية جديدة هى فى حقيقة الأمر وروحيته الأصلية الخالدة، أو الإسلام العظيم قادر على هدايتنا دوماً.

– فى ميثاق التحالف فقرة واضحة تقول بالكفاح المسلح لتحرير سورية فهل وافقتم على ذلك؟

* لا، هذا كان فى الميثاق القديم. ولم يعدم يعمل به.

– لماذا؟ وهل طالبتم بحذف هذه الجملة كى تدخلوا فى الأمانة؟

* قد أكون طالبت بهذا وبغيره، المهم أن الميثاق قد عدل.

– هل هناك احتجاج على كلمة ديمقراطية فى الميثاق من قبل الأخوان؟

* قضية الديمقراطية محسومة لدينا. وكل من يرفض الديمقراطية أرفضه. وإذا كنا

نستقبل بحكم غير ديمقراطى فلماذا نريد آن نزيل الحكم الحالى؟. لا. لا. يمكن أن احالف إنساناً لا يؤمن بالديمقراطية.

– إذاً دخلت التحالف دون أن تعرف مواقف جميع الأطراف من قضية الديمقراطية؟

* أعرف أن ميثاقاً وطنياً ديمقراطياً يجمعنا. ويشذ عنه إما أن يخرج وإما أن أخرج أنا.

– فى مقابلة مع محمد الجراح فى "الوطن العربى" قال أن الأخوان المسلمين عارضوا كلمة الديمقراطية لأنهم لا يؤمنون بحكم الشعب بل بحكم الله... ألا تعرف ذلك؟

* قبل كل شئ سأقول لك أنى كمؤمن وكرجل دين أؤمن بحكم الله. وأنا أحترم أى تفسير لما يقصد بهذا التعبير، ولكن سأقول أيضاً أنها كلمة حق، قد يريد بها كثيرون باطلاً. وليس مثال الخمينى ببعيد عنا، بل ما يزال ماثلاً. وأن أكبر خطر على حرية الإنسان وعلى حياته عامة يكمن فى أن يحتكر فرد أو جماعة أوامر الله ونواهيه ويجعلون من أنفسهم القيمين على ذلك. أجل لا حكم إلا لله. ولكن بالمقابل لا حكم لمن يدعى تمثيل الله جل الله عن ذلك وعلا.

لقد كرّمنا الله بالعقل وبأن أمرنا شورى بيننا. وماذا لو اختلفنا فى تفسير حكم من أحكام الله؟ ألم يختلف قبلنا وسيختلف بعدنا الكثيرون من فقهاء وعلماء ومثقفين ومحافظين ومجددين؟ أن حكم الله يملى علينا الشورى، يملى علينا الديمقراطية.

– قضية التفاوض بين النظام والأخوان.. هل تقبلون بهذا المبدأ؟

* أعتقد أن قرار التحالف بشأن التفاوض واضح وصريح جداً. أنه لا يسمح لأى فئة من الفئات بالتفاوض مع النظام السورى، ومن يفاوض يصبح خارج التحالف.

– لماذا سمحوا لهم فى الماضى بالتفاوض؟

* اسأل عن هذا من كانوا فى الماضى.

– هو تؤيد فكرة التفاوض منذ خروجكم عام ١٩٨٠؟

* التفاوض مع المخابرات (ضاحكاً). بالنسبة لى مبدأ التفاوض مرفوض رفضاً قطعاً. والآخرين اجتهدوا، وأعتقد أنهم قد أخطأوا. ولن يحصل ذلك– كما نرجو– فى ظل التحالف الجديد.

– تقول التحالف الجديد؟

* أعتقد أن روحية جديدة قد انبثقت فى حنايا التحالف. وأنا شخصياً لم أكن لأساهم لو لم أعتقد أن ثمة روحاً جديدة وفكراً ونضالاً جديدين ووضوح ورؤية واصرارٌ على أننا فى الجولة التى نرجو أن تشهد نهاية هذا النظام.

– لكن الوجوه نفسها ولم يحدث تغيير جذرى؟

* ليس الأمر كذلك تماماً. فقد تغيرت وجوه. ويأتى هنا، فى الحقيقة، دور الفرد، فى المجتمع والأحزاب ووسط الجماهير. وتؤكد الشرائع السماوية والدنيوية هذا الدور، ضمن الشروط والظروف الموضوعية. يدفع الحزب– ولنقل هذا على سبيل التبسيط– بفلان من الناس فيجره إلى كارثة، ويدفع بغيره فينهضه من الكارثة ويقوده فى الطريق الصحيح. طبعاً دور الفرد ليس مقطوعاً من حجر بل له أسبابه ودوافعه الموضوعية والذاتية والبيئوية. أننا جئنا التحالف بمفهوم جديد وتحليل عميق للأمور ونظرة مخلصة متأثرة بحقيقة ما يجرى فى بلدنا وفى الوطن عامة. ولا أريد أن انتقد الماضى، ولم أعش منه إلا فترة قصيرة لا تتيح لى الاطلاع الكامل. والتقرير الذى قدمته الأمانة العامة السابقة كان مخلصاً وشجاعاً. ولا أرى ضرورة

أوجدوى لمزيد من القول الآن.

– إذاً أنت تعلق أمالاً كبيرة الآن؟

* ما أضيق العيش لولت فسحة الأمل. ومع ذلك فأنا واثق من النتيجة لصالح الشعب حتى ولو فشلنا فى هذا التحالف، واسأل الله أن لا نفشل. ولى ثقة بأخواننا ورفاقنا وبما يمثلون من قوى وأمال. وبالنسبة لى فإنى سأفعل ما بوسعى كى ينجح هذا التحالف لمصلحة الوطن والشعب. وسأجتهد فى ازالة العوائق، وزيادة التلاحم الوطنى الديمقراطى. أما إذا فشل– لا سمح الله ولا قدر– رغم كل جهودنا فليس معنى ذلك أن الأمر أنتهى بل سأتابع العمل وسيتابع الآخرون العمل، من خلال أساليب أخرى. وكل شئ مدروس وميهأ. وسنعود دوماً إلى الشعب، ونصارحه. وسنظل نقاوم، سأظل أقاوم هذا النظام حتى يسقط، وحتى يعود الأمر للشعب، وسيناضل الحزب الوطنى الديمقراطى فى سبيل توطيد مفاهم الحكم الشعبية. وأن البقاء للشعب. سأقول لك أنى متفائل وواثق من أننا سنصل إلى النتيجة التى يريدها منا شعبنا والتى نعاهد عليها أيضاً.

– ما هو تعريفك للنجاح فى التحالف؟

* النجاح هو قبل كل شئ أن نفهم رسالة شعبنا إلينا بكل جراحه ومأساته وجيشانه ومطامحه، وأن نكون المعبرين عن هذه الرسالة، والمنفذين لها بكل ما فى أيدينا من امكانات والنجاح هو أن نستطيع استقطاب شعبنا فى الداخل قبل الخارج، رغم أن لنا ما يقدر بمئات الألوف من الذين سلكوا طريق المنفى، وكلهم طاقات كبيرة. أن معركتنا فى الخارج هامة ومساعدة، ويجب أن يشترك فيها، بشكل أو بأخر، كافة المهجرين المنفيى. بالطبع، للغربة قوانينها ايضاً بحد ذاتها مرض لم تسلم منه أجساد ولا نفوس المغتربين. ومع ذلك فإن لهم دوراً قد غدا متنامياً بعد ابتداء العد

النهائى لحكم حافظ أسد، وبعد الانتصارات العراقية التى رجت الضمير العربى وهزت البيان العربى وقالت لنا بأعلى صوت وأروعه وأنقاه وأكثره ايثاراً: هذا ما تستطيعونه أيها العرب! وبعد الانتفاضة المجيدة فى الأرض المحتلة. كل ذلك القى علينا مهمات مسؤولة، سيشترك السوريون فى النهوض بها. وسيعود جيشنا إلى دوره فى استعادة الأرض المحتلة بعد أن اتسعت رقعه هذا التعبير وكى لا تواصل الاتساع إلى ما لا نهاية دون مقاومة.

– ما هو تعريف الفشل فى التحالف الجديد؟

* هو كل ما نحاول أن نستبعده وأن نظل متغلبين عليه. والفشل يكون فى العودة إلى تعطيل امكاناتنا. والفشل هو أن إلا نستطيع ايصال صوتنا ليس فى الداخل والمهاجر فقط بل فى البلدان العربية والأجنبية وأن تصبح قضية سورية ليس محلية فقط بل عربية بل عالمية، دون أن يغيب لحظة عنا أنا وحدنا أصحاب القضية والمسؤولون عن نجاحها وفشلها. وعلى العالم أن يشعر بأن هناك قوى تمثل الشعب السورى حقيقة. نعم، نحن نمثل الشعب لا لكى نضعه على الرف بل نمثله لنكون الطليعة المقتحمة أمامه. ويبقى الشعب هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، فينا وفى غيرنا. والفشل أيضاً هو فى التعامل بالعقلية البيروقراطية القاصرة المعوقة لا بالعقلية المتحركة الثورية المضحية المتحمسة الواعية إنى من الذين يخططون لسورية المستقبل، كى تتحرر، وكى تكون عند ذآك ليس فقط أرقى دول المنطقة واكثرها تقدماً بل كى تغدو، وليس هذا من قبيل التبجح والخيال، أرقى دول العالم فيما يخص اللحمة الداخلية والجو الديمقراطى. نريد لنا ولأبنائنا أن يعيشوا فى ظل أوسع الحريات والديمقرطيات وأرحمها. وهذا كان عهداً منا، وتقرنا عليه إطراف

التحالف والقوى المؤمنة بشعبها.

– هل توافق على انضمام جماعة إبراهيم ماخوس؟

* قبل كل شئ أنا لا أتدخل بما يجرى داخل أى حزب أو جماعة. هذه أمورهم الخاصة. الذى يهمنى هل هم جادون فى اسقاط النظام والنهوض على أساس وطنى ديمقراطى. ولو أردات جماعة إبراهيم ماخوس، أو أية جماعة أن تنضم إلينا أوننضم إليها على هذا الاساس لوافقنا. وكيف يمكن أن لا أفعل. وهل المعارضة ملكى. وهل يستطيع أحد أو جماعة أن يحتكر المعارضة. وما معنى الديمقراطية إذا أردنا الاحتكار؟ وما نأخذه على حافظ الأسد يجب أن لا نقع فيه ويبقى الأمر الأهم متعلقاً بالجماعة التى لا تريد الانضمام وبقبولها بميثاق التحالف، بل إذا كان لديها ما يشكل إضافة وطنية وديمقراطية فأعتقد أننا جميعاً نرحب بذلك.

– هل أتباع وحاشية حافظ الأسد حاجز له عما يجرى فى سورية؟

* هذا وهم كبير يصوره من يريدون أن يبيضوا صفحة حافظ على حساب سواد الصفحات الأخرى، أنه يعرف تماماً كل شئ لأنه– ببساطة– علة ما يجرى.

– قال لى دبلوماسى غربى أن سبب تدهور صحته هو أنه لا يجرى تحريك شئ فى سورية إلا بإذنه؟

* أو بما يدور فى دائرة هذا الاذن. هذا صحيح. وهمه الأكبر فى التآمر، جالساً إلى مكتبه، وكأن أمامه رقعة شطرنج يحرك عليها الاتباع والخصوم. أنه ماهر فى الشر إذ جاز لنا أن نقرن المهارة إلى الشر، وفى الواقع فإن المهارة فى الشر غباء مطبق. أنه يفكر ويخطط ويحرك احجار الشطرنج ليس فى سبيل أن يظل ممسكاً بكل الخيوط بينما الدمى تتراقص أو تتصادم أو تهوى.

- هل حافظ الأسد قارئ أم كما قيل يشاهد الأفلام ويؤمن باليوفو؟

* الذى أعرفه من خلال ما أعترف لى به شخصياً، ولم يكن مضى عليه فى منصبه الرئاسى، إلا فترة قصيرة، أنه كان يحفظ شيئاً من الشعر، وأنه كان يطالع ولكنه الآن ودع كل ذلك. أما ما جزم به أترابه فإنه كان يكره الثقافة والمثقفين، وينسحب عندما كان يدور حديث ثقافى أدبى. وأنه كان يزدرى الشعراء. وما أسمعه الآن هو أنه لا يقرأ إلا التقارير ومنها ثقافته. ولم أسهر معه فى حياتى ولم أسمع شيئاً عن ولعه بالأفلام وغير ذلك. ولا يهمنى هذا الأمر.

- تكررون دائماً فى أدبيات المعارضة أنه بائع الجولان وهل هذه المقولات تضر بالمعارضة أم بحافظ الأسد؟

* أذكر أنى أجبت على مثل هذا السؤال. لقد وجه حافظ الأسد. بصفته وزيراً للدفاع، وقائد لسلاح الطيران، اشأم ضربة لجيشنا الوطنى، أمل البلاد. ولو اتيح لجيشنا أن يقاتل لقاتل ببساطة ضد العدو الصهيونى بنفس القدرة والتصميم والتضحية التى قابل بهدا شقيقه الجيش العراقى المجيد ضد العدو الشعوبى الإيرانى. ولا شك اطلاقاً فى أن الجندى السورى على الجندى الإسرائيلى ضمن تهيئة نفس الامكانات. والانتفاضة اثبتت أن الجندى الصيهيونى نذل جبان وغد، وعار للجيوش. واسطورة الجيش الصهيونى الذى لا يقهر اسطورة اشاعوها وساهموا فى نشرها تبريراً لما يهيئونه لجيشنا من انكسارات. وبائع الجولان ليس معناه انه جلس فى السوق وباعه. ولكنه تخلى عنه وهذا شئ صحيح. ومازال متخلياً عنه حتى الآن. وكأن قضية الجولان منتهية بالنسبة له أو كأنه ينتظر أن يصل يوماً ما إلى حل للقضية الفلسطينية من خلال تآمره عليها، وفى غضون ذلك يصل إلى حل بالنسبة للجولان. وأعتقد شخصياً ان الصهاينة لن يعيدوا شيئاً إلا إذا اجبروا على

اعادته بمختلف الأساليب. أما الصدقة فغير واردة فى قاموسهم. واعتقد أنه يجب علينا ان لا ننتظرها كاليتامى فى مأدبة اللئام. وأدبيات المعارضة التى ذكرتها لم أشترك فس صياغتها ولم أطلع عليها حتى الآن، وأنا لم أرد أن أعلق على الأسلوب، ولكنى علقت على المضمون.

– لكن هل توجيه الشتيمة لحافظ الأسد مجدية؟

* أنا، من خلال تربيتى وتعاملى مع الناس، بمن فيهم الأعداء الألداء اتحاشى الشتيمة. حتى ولو وجهت هذه الشتيمة لى بشكل شخصى مباشر، أو عن طريق توجيهها إلى شعبى، ومع ذلك فليس بأمكاننا أن نطلب من كل الناس أن يعبروا بنفس الطريقة. ولكنى سأقول بكل ثقة أن ما يجترحه حافظ الأسد ما كان له أن يمتد طوال هذه الفترة لولا المظلة– وهى المصلحة الصهيونية وما لها من نفوذ والاستمرار كلما سقط أو أحاطت به المصاعب... هذا تحليلى. تماماً كما فى الحرب العراقية– الإيرانية. فلولا التحريض الصهيونى ولولا المظلة الصهيونية التى كانت وراء سكوت العالم وتجاهله وتأخره فى اصدار القرار ٥٩٨ ثم تعاميه عن محتواه، واسهامه فى تهريب الأسلحة بوسائل لا تصدق للجانب المعتدى. المصر، بلا خجل وبكل صفاقه أن يتدخل فى شؤون الآخرين الداخلية، وأن يحتل بلادهم، وأن يملى عليهم شروطه، وأن يقيم من نفسه قيماً على العروبة والإسلام، وهادماً لهما، لما استطاعت إيران الخمينى إن تطيل أمد الحرب من جهة، ولما استطاعت أن تكون السبب فى هذه الكارثة التى نزلت بها وبمواطنيها قبل كل الناس. أجل. لحافظ الأسد وللخمينى مظلة صهيونية من خلال الاستقراءات والمعلومات والنتائج.

– هل ترى انحساراً قومياً عربياً أمام المد الإسلامى السلفى أو الأصولى؟

* أعرفى أن القرآن الكريم نزل على النبى العربى ﷺ وأنه أنذر عشيرته الأقربين ثم أنطلق الإسلام رسالة روحية وحضارية إلى العالم. ومازال الأمر كذلك لم يتغير. أن رسالة العرب أنفسهم وإلى العالم هى الإسلام. منا من ينظر إلى ذلك باعتباره ديناً سماوياً خص الله بتنزيله العرب بسبب من إرادة الهية ومنا من يرى ذلك بسبب من مؤهلات وظروف وشروط معينة ومنا من يقرن بين السببين ويرى أن الواحد متمم للآخر. بالطبع، ما طرحته يقتضى وقتاً ومجالاً طويلين للاحاطة. وقد أطلنا ولابد من الإيجاز. لقد كان جيلنا متفائلاً بأن الدولة العربية الكبرى ستقوم فى حدود هذه الأعوام التى نعيشها الآن، والنتيجة كانت ان ازددنا تفرقاً وبدا وكأن الزخم القومى قد فقد تألقه. اذاً ثمة انحسار قومى، كان لمحة تركيز الشعوبية والصهيونية على القومية العربية ونتيجة تسهيلنا نحن لهذه المهمة بشتى الأشكال. ولم تكن وسائل إعلامنا بمنجاة من ذلك. ولو تلفتنا حولنا وقرأنا الحياة والتاريخ لرأينا أن القومية لا تموت، ولا شئ يغنى عنها. والقومية العربية حية وحيوية أبداً. ولا خوف عليها، ولكن ثمة خوف منها، وهو خوف الشعوبية العالمية والصهيونية العنصرية والعملاء التأفهين مهما بلغوا من القوة وبرعوا فى الأساليب. ولقد نال الإسلام ما ناله من الشعوبية والصهيونية، وكانت قمة التشويه متمثلة فى ما أقدم عليه خمينى وأنصاره واتباعه. فإذا كان المد الإسلامى السلفى أو الأصولى دعوة إلى مكارم الأخلاق والسير على هدى سنة الله ورسوله والاقتداء بعظام الصحابة والأئمة فما أسعدنا بذلك، ولن يكون إلا إلى جانب العروبة، ونحن نعتقد أن الاخلاص للإسلام، فى جملة ما يقتضيه، هو إعلان اللغة العربية لغة روحية للمسلمين عامة، وتدريسها فى مختلف مدارسهم وجامعاتهم. وإلا كيف نفهم القرآن الكريم ونهج البلاغة وأعظم الكتب التى احتوت على الفقه الإسلامى. ثم إلا يحق لنا أن لا نطمئن إلى هذا الهجوم المشبوه، أو ما وراء المشبوه، الذى يجعل

هدفاً لنباله القومية العربية، ونحن فى طور النضال لاستعادة هويتنا وأقامة دولتنا الواحدة القوية التى ستكون أكبر داعم للإسلام والإنسانية ولهذا يحاربها اعداء الإسلام والإنسانية. الصحيح أن الزبد سيذهب جفاء. ومهما ادا من انحسار ومهما هاجمنا الطوفان، فلابد لسفنيتنا أن تستوى على الجودى. واننا مصممون على الوحدة العربية، ومصممون على البدء بوحة صحيحة قوية. واننا مؤيدون لكل وحدة يختارها أو يشعر بالحاجة إليها أى بلد وبلد شريطة أن تكون جدية وأن تكون شعبية. ولابد من انجاح إحدى هذه الوحدات لتعود الثقة إلى الناس ويعود الأمل القوى والحماس العظيم. وفى غمار كل ذلك لابد من قيام الحكم الديمقراطى إذ بدونه سيفشل كل نظام. وهكذا يتعانق الفكر الوحدوى والديمقراطى فى سبيل بناء أمة المستقبل العظمى.

– من يأتي أولاً الديمقراطية أم الوحدة؟

* ليست المشكلة فى من يأتى أولاً. ولكن لا بقاء للوحدة بدون الديمقراطية. ويجب أن يكون ذلك ماثلاً أمام كل فرد وأمام كل جيش وأمام كل حاكم. وبما أنهم غالوا علينا فى القمع فسوف نغالى فى الديمقراطية.

– لماذا نرى غياب الوجوه البرجوازية وأحزاب الشعب والكتلة وغيرها؟

* ذلك عهد مضى بصفحاته المضيئة والمظلمة. ولكنى ارى مع ذلك أن كثيراً من رجالات من هذه المرحلة ظلموا. ورحم الله بدوى الجبل إذ قال:

سوف يملى التاريخ عنى ما يملى

فتخزى بظلمى الأوطان

ولا أحب أنا شخصياً تقسيم مجتمعنا الآن حسب التقسيمات الكلاسيكية فى

أدبيات نحترم اجتهادتها ودراساتها كما نحترم كل علم وفكر، وأن كنا لا نلغى علمنا أو فكرنا وتأملنا العميق الغنى فى مجتمعنا. نحن جميعاً مواطنون، ويجب أن نتوفر جميعاً على بناء وطننا حسب امكاناتنا الفكرية والمادية، وفى ظل حكم شعبى، فى ظل حكم وطنى ديمقراطى تتكافأ فيه الفرص ويحمى القانون الجميع كما أن تربية المجتمع بروح الأخلاق والديمقراطية تساعد القانون والحكم وتحول دون التجاوزات التى سنكون حريصين على انزالها القبر إلى غير رجعة مشيعة بما تستحقة من غضب الله والشعب. وأنا أعتبر أن الحزب الوطنى الديمقراطى يمكنه أن يكون وريث أنقى وأصفى وأمجد ما فى تقاليد هذه الأحزاب ورجالاتها، بالإضافة إلى مضمون عصرى علمى متقدم. ومن هذه التقاليد التجرد، والإيمان، والاخلاص للوطن، والتضحية فى سبيله نفساً ومالاً (لا أن نتأله- جل الله تعالى- على حساب عبودية الشعب، وأن نتشقق عنى فاحشاً على حساب حاجة الشعب). وأعتقد أن حزبنا هو أكثر ما يجذب جماهير تلك أعاصير مجتاحة، وقد أحسنت فى قياداتها ونجحت، كما يجذب الحزب المناضلين والواعين الأشداء لاسقاط كل من انحرف بالسفينة لتتحطم وتتناثر اشلاؤها أمام شطآن الشعوبية والصهيونية.

- كدكتور جامعة، وشاعر عربى كبير، لماذا ضحيت بمناصبك وراحتك بينما لا يساهم الذين استفادوا من خلق اسماء لهم أن كانوا نواباً أو غير ذلك، والآن هم منخرطون فى التجارة والبنوك ونسوا الشعب السورى؟

* أنى ادعو كل أبناء الوطن فى المهاجر أن يوجهوا الآن انظارهم إلى وطنهم، وأن يشعروا بأن عليهم واجباً تجاهه، وأن الوقت لم يفت. وسيكون المجال متوفراً للجميع لخدمة هذا الوطن، فى ظل الحرية والكرامة. أما بالنسبة لى، فإينما كنت، فى الوطن أو فى المنفى، فأنا ابن هذا الوطن، وشاعريتى ومكانت هبة منه، من أرضه وسمائه، من تاريخه وأهله، وعلى أن أفعل ما ترضى عنه هذه الأرض والسماء،

وهذا التاريخ وهؤلاء الأهل هذه رسالتى الشعرية والنضالية. لقد سمعت الأستاذ ميشيل عفلق- وهو مؤسس أهم حزب قومى على أساس علمى- فى أكثر من مجلس يردد: «لقد كان شعر بدوى الجبل مدرستنا القومية الأولى» وسمعته يروى أنه عندما كان تلميذاً فى الكفاءة أو دونها، اختاره مدير المدرسة لالقاء قصيدة وكان والد الأستاذ ميشيل عفلق فى سجن الأجنبى الدخيل المحتل، فاختار بدوره قصيدة بدوى الجبل التى يقول فيها:

يهددنى بالسجن قوم سفاهة

فتى العرب الأنجاد لا يرهب السجنا

ويوم كان بدوى الجبل ما يزال فى ريعان شبابه، فى العشرين أو دونها قليلاً أو فوقها قليلاً، كتب العالم الجليل الأستاذ محمد كرد على رئيس المجمع العلمى بدمشقى مقدمة لديوانه «الشفق» المطبوع آنذاك فى صيداء، وها أنا اقرأها عليك من كتاب للاستاذ اكرم زعيتر بعنوان: «بدوى الجبل أو إخا أربعين عاما» وقد أهدانى هذا الكتاب صباح اليوم الصديق الشاعر المعروف حميد سعيد الأمين للإتحاد العام للكتاب والأدباء العرب. قال العلامة كرد على: «الشعراء فى الأمم اليوم رسل الاصلاح ودعاة النهضة وحملة النور إلى العقول، ولا شك أن بدوى الجبل هو فى مقدمة شعراء العرب الذين يحملون لواء وحدتها، ويقودونها إلى سبيل سلامتها وعظمتها».

وأرجو أن أكون من هؤلاء الشعراء. وفى هذا راحتى وهذا أعلى منصب أطمح إليه، وأعتز به.

- هل انخراطك فى السياسة الآن أخذ جل وقتك، وجعل انتاجك الشعرى يقل، ام على العكس حرّض القريحة الشعرية؟

* لقد كان شعرى دوماً سياسياً خاصة فى المواقف الهامة أو الحاسمة. وهو أكثر خوضاً منى لغمار السياسة. وأنا أعتقد أن الشاعر الذى لا ينضب هو الشاعر الذى يغرف من نبع الشعب. بالطبع، فى المرحلة الأخيرة وبعد خروجى من الوطن، ألقيت على تبعات سياسية وقيادية جديدة. وقد كان هذا حافزاً لأن أكتب أهم قصائدى فنياً وفكرياً، شكلاً ومضموناً. والسياسة الوطنية والقومية ضرورة للشاعر العظيم، لأنه شاعر أمته. وأذكر بهذه المناسبة كلمة لغوته، كبير شعراء المانيا قال: «أن قصائدى جميعاً قصائد مناسبات، فهى تستوحى الواقع، وعلى الواقع ترتكز وتستقر».

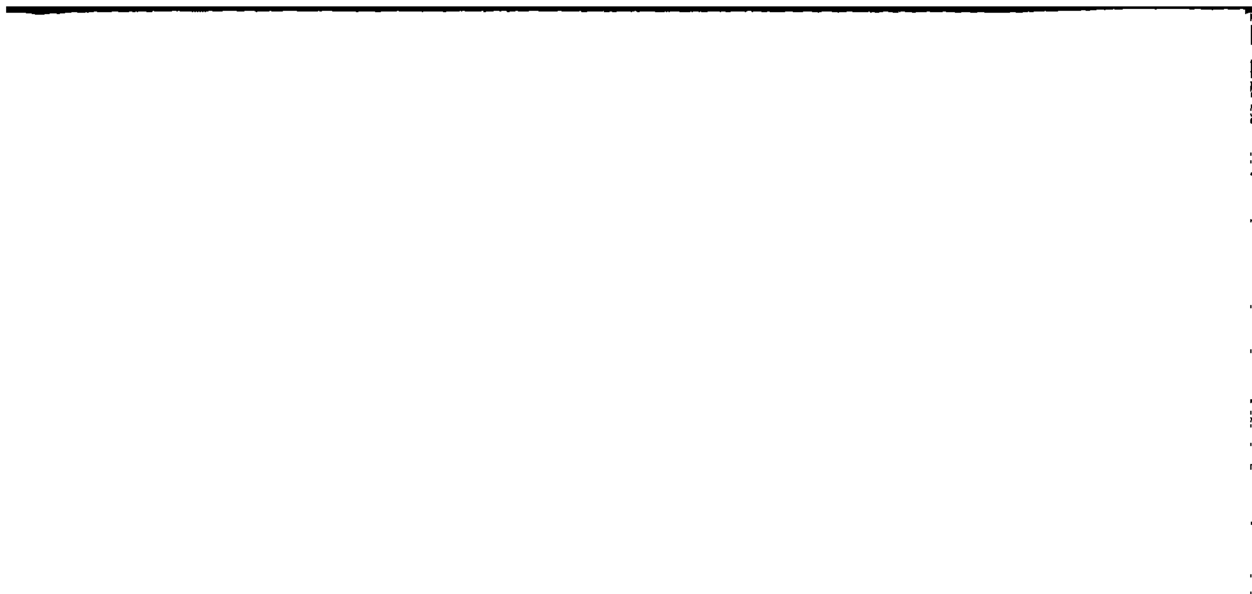
ولا أشكو من أن السياسة جنت على شعرى، بل أعطته زخماً وفتحت أمامه آفاقاً. وأنا أعتز بشعر هذه المرحلة الذى وقف بقوة إلى جانب شعبى وأمتى. وقد رأيت كيف أن الجماهير كانت تبكى حتى النشيج وحين تصغى لأشعارى... وتسجل مختلف فئات الشعب قصائدى ويتناسخوها فى الوطن الكبير. وأخبرنى أحد أصدقائى الأدباء الموريتانيين أنه عندما عاد إلى موريتانيا بقصيدتى «أشجار وراء السياج» كان الشباب الموريتانيون يسجلون اسماءهم لديه كى يحصل كل منهم عليها يوماً لينقلها. وآخر ما كتبت هو قصائدى عن انتفاضة اطفال الحجارة وعن انتصارات العراق العظيمة. إنها المالحم المتألقة الحية التى نحاول أن يكون شعرنا وكياننا ظلاً وفياً لها.

المهم دوماً أن نقول شيئاً صحيحاً، مفيداً، فى رداء جميل جذاب، يرضى عنه الله والشعب والوطن والأمة. ورحم الله القائل:

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

فلا زال غضباناً على لئامها

نسأل الله أن يظل عدد الكرام فى صعود ، وعدد اللئام فى هبوط.



الفصل الثالث عشر

ردود على المعارضة السورية

الفصل الثالث عشر

ردود على ملفات المعارضة السورية

سوريا بين المصيبتين النظام و.. المعارضة!!

هذه الرسالة الرد تأخذ منحى آخر. أنها نوع من التحدى يمسك بالمعارضة السورية من كتفيها وينتزعها من الماضى واخطائه وامجاده وبطولاته، إلى الحاضر المعاش على أرض الواقع. أنه يضعها وجهاً لوجه أمام مأسى الشعب السورى فى الداخل، هذا الشعب الذى يدفع ثمن رضوخه وصموده ترغيباً وترهيباً واذلالاً وانتهاكات وكبتاً وتجويعاً. فماذا اعطى المتحدثون باسم المعارضة السورية لهذا الشعب بالمقابل واين هم من هذا الواقع المرير؟ هذا هو السؤال الذى تطرحه هذه الرسالة.

كمواطن من القطر العربى السورى، قرأت بامعان ملفات المعارضة السورية التى قامت مجلتكم بنشرها، وأنى لاتقدم إليكم بخالص شكرى لهذا العمل الذى يعتبر فاتحة جديدة فى الصحافة العربية، بغض النظر عن أى اعتبار آخر، بغض النظر عن إنى اعتبار آخر، وآمل أن تستمر مجلتكم فى هذا النهج الجديد، وأن تعطى درساً للمجلات والصحف العربية الأخرى لتسير على المنوال ذاته، بانفتاحها على المعارضات العربية المختلفة محققة بذلك الرسالة الصحفية التى يفترض أنها انشئت من أجلها، وابسط قواعد الديمقراطية.

وكصوت مستقل رغبت أن أعبر عن رأيى الخاص حول ما جاء فى هذه الملفات التى تعتبر فى غاية الأهمية، نظراً لم تضمنته، وللتوقيت والظروف اللذين نشرت خلالهما. ملتزماً التزاماً دقيقاً بالموضوعية، وما تمليه المسؤوليات الوطنية على كل مواطن حر، ووطنى يضع مصلحة البلاد فوق كل المصالح.

وأبدأ أولاً بالتوجه إلى المجلة نفسها التى يؤخذ عليها عدم فتح هذه الملفات على

جميع أطراف المعارضة السورية، والاكتفاء بالقوى والشخصيات التى تشكل التحالف فقط، في حين أن المعارضة السورية تشمل قوى أخرى لم تمثل بحديث، أو أنها لم تذكر على أقل تقدير، وربما كان من الموضوعية بمكان نشر دراسة مجملة عن المعارضة السورية برمتها وجميع تياراتها، دون أن نهمل صوت المستقلين الذين، وأن كان لا يوجد لهم ممثلون معروفون، غير أنهم فى نهاية الأمر يشكلون الغالبية العظمى من المجتمع العربى السورى، ويتحرك منهم عدد لا بأس به على الساحة السياسية للمعارضة السورية.

أما على صعيد الملفات نفسها فلابد قبل الولوج فى طرح الرأى، من اعطاء فكرة مختصرة وسريعة عن الأوضاع في سوريا حتى يتسنى لنا على ضوئها تقييم ما جاء فى هذه الملفات.

فإذا ما اردنا وصف الواقع الذى تعيشه سوريا منذ زهاء ربع قرن تقريباً، لا يمكننا سوى القول بأنه وضع مؤلم، ومتدهور، وخطير وتزداد الأحوال سوءاً مع كل يوم جديد. فعلى الصعيد السياسى، وصلت السلطة الحاكمة فى سوريا إلى دفة الحكم دون اية شرعية دستورية، ومازالت مستمرة فى حكم البلاد بشرعية مزيفة على أساس انتخابات صورية مدعومة الاضطهاد، والتعس، والقتل، وسفك الدماء والسجن، وكم الافواه، والابادات الجماعية التى يندى لها جبين الإنسانية واعتماد وسائل تعذيب همجية، ولا أخلاقية لا تعرف مثيلاً حتى فى العصور الوسطى.

وتستمد السلطة شرعية استمراريتها فى الحكم أيضاً، من اطلاقها شعارات جوفاء تتمثل بمناهضة الصهيونية والامبرالية، وتحقيق التوازن الأستراتيجى، واسم هذه الشعارات فإن الأحكام العرفية مازالت قائمة كسيف مسلط على كل من تسول له نفسه انتقاد النظام، أو حتى ابدأ رأى معارض، إذ يصبح بين ليلة وضحاها عميلاً للأمبريالية والصهوينية... كما أن النظام لا يزال ينتهج سياسة الحزب القائد، الذى لا يعتبر فى حقيقة الأمر، سوى واجهة

تغطى سلطة «الجنرالات» الحكام الفعليين فى البلاد. وما الأحزاب الأخرى المشاركة فيما يسمى بالجبهة الوطنية التقدمية سوى دمى متحركة تدور فى فلكة تسبح بحمده وتأتمر بأمره.

والسؤال الآن: هلى اعطت هذه الملفات هذ الصورة عن واقع النظام فى سوريا؟

على الصعيد الاقتصادى، ودون التطرق للغة الأرقام، فإنه لم يعد خافياً على أحد بأن الديون الخارجية المتراكمة على سوريا قد تجاوزت الـ ١٥ مليار دولار. مع عجز مضطرد فى الميزانية، نظراً لانخفاض الإنتاج بشكل ملحوظ، والهبوط فى القوة الشرائية لليرة السورية من جراء التضخم. حتى صار الموظف العادى لا يقوى شراء قوته اليومى، فسياسة التفقير والتجويع قائمة على قدم وساق، فى الوقت الذى تنعم فيه طبقة الحكام والمسؤولين بالبذخ والعيش الرغيد.

كما أن القطاعات المختلفة تشهد أزمات حادة جداً. اكان ذلك فى الميدان الزراعى أو الصناعى، أو التجارى أو السياحى... يلازمها ازمات حادة وخانقة على صعيد الأسكان والمواصلات، والتموين والصحة...

فهل أعطى المتحدثون باسم المعارضة السورية هذه الصورة من الواقع الاقتصادى يرزح تحته الشعب السورى؟

وإذا ما تناولنا الصعيد الاجتماعى، فإنه لا يشذ عن القاعدة العامة، إذ عمل النظام على حقن المجتمع السورى بجراثيم أمراض اجتماعية خطيرة بعد أن كرس حكمه على أساس طائفى، فبرزت الطائفة بشكل سافر مهددة صرح المجتمع السورى بالشرخ ومنذرة بحرب أهلية خطيرة. كما ساعد النظام على تفشى الرشوة، والفساد الإدارى، والتفسخ العائلى، والانحلال الخلقى، وفرض صيغاً جديدة من الخنوع والتواطؤ بطبيعة سياسة

الترغيب والترهيب، وخلق شرائح طفيلية مهمتها الوحيدة السلب والنهب، وامتصاص دماء الشعب، لتحولها ارصدة فى المصارف الأجنبية، حتى إنها لم تعد تتوانى عن توظيف أية وسيلة فى سبيل جمع المال، على حساب صحة الشعب حتى ولو كانت طمر نفايات نووية فى الأراضى السورية...

فهل اعطت ملفات المعارضة السورية فكرة عن هذه المواضيع؟

وإذا ما تطرقنا أخيراً للسياسة الخارجية السورية، لنعطى بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر، نجد أن النظام فى سوريا، يعمل دعم سياسة إيران التوسيعة فى جسد الوطن العربى، وضد القطر يدافع فى حربه المقدسة عن سيادته فقط، وإنما يقف سداً منيعاً لصيانة كيان الأمة العربية باكملها أمام جحافل الجهل والتعصب والتزمت...

كما أننا نراه يسعى جاهداً لضرب الفلسطينيين فى لبنان، وشق منظمة التحرير الفلسطينية حتى يتسنى له اللعب بالورقة الفلسطينية، كما يتلاعب بالورقة اللبنانية. ولا يتوانى فى سياسة دعم الأرهاب الدولى وتغذيته، حتى بات المواطن السورى محط شكوك على كل نقطة حدود، وفى اقامته فى أى بلد كان.

فهل اطلعتنا هذه الملفات على هذه الأمور؟

أن الجواب على جميع هذه الأسئلة هو النفى، إذ كان من المنتظر أن يعطى المتحدثون باسم المعارضة السورية صورة لواقع النظام حتى يبرروا على الأقل أسباب معارضتهم، وأن يعرضوا علينا موضوعياً واقع المعارضة ونواحى العجز، ومواطن الضعف فيها، ويتصوروا مشروعاً مستقبلياً للم شملها ورأب التصدعات فيها، لتكون معارضة حقيقية، فعلية وفعالة، ذات منهج صحيح، وإنها ليست قادرة على قلب النظام فحسب، وإنما على استلام زمام الحكم وتسيير البلاد بسياسة صحيحة وحكيمة، وهذا لم نلمسه فى حديث أى من المسؤولين الذين تمت اللقاءات معهم.

أن القارئ العادى الذى تابع هذه الملفات لم يشتم سوى روائح الخلافات والانقسامات، والاتهامات بين رجال المعارضة بعضهم بعضاً ولم ير سوى الغسيل الوسخ منشوراً على الملأ. وأن مرض عبادة الذات مازال ينغرس فى أكباد الجميع.

فكيف لنا بعد كل ذلك مقابلة مواطن عادى يتضور جوعاً، وتختنق انفاسه تحت الحذاء العسكرى ليل نهار، وهو ينتظر المدد من المعارضة السورية...؟

أن هذه الصورة المختصرة والسريعة للوضع العام تعطينا فكرة عن هو المصيبة وعن المصاعب الجسام التى تنتظر المعارضة، أو كل من يستلم الحكم بعد سقوط النظام الحالى لاعادة الأمور إلى نصابها، واعادة بناء سوريا دولة ومجتمعاً على أسس جديدة وديمقراطية حقيقية، وهذا يتطلب بالدرجة الأولى برنامجاً سياسياً اقتصادياً اجتماعياً، مدروساً دراسة دقيقة بحيث يرد على المتطلبات الحالية والمستقبلية لاسيما وأننا على أبواب قرن جديد تتطلع فيه الدول إلى مزيد من التقدم والرفاهية ويحتم علينا أن نلحق بالركب، وإلا فإن نهايتنامحتومة.

وقف جلال السيد البرلمانى السورى الأصيل والذى مثل حزب البعث فى البرلمان السورى وصوت ضد دستور الخمسينيات حتى لا يقال أن الدستور مر بدون معارضة... هذه العنية فى الأشخاص هو ما يحتاجه كل قطر عربى (...)

ويروى جلال السيد أنه كان فى السجن عندما حدث الانقلاب على الشيشيكلى ولما أفرج عليه خطب فى البرلمان السورى بعد أن طلبت الحكومة السورية نيل الثقة وقصّ عليهم أن وحشاً كاسراً تجمع عليه الأهالى ووضعوه فى قفص بعد أن اثخنوه بالجراح وبعد أن أنتهى تقريباً ضربه حدهم بحصه صغيرة فقتله فصرخ أنا قتلته أنا قتلته... وقال للبرلمان السورى أرانى بكم تنادون أنا قتلته وكان الشعب السورى لم يلعب دوره فى الاطاحة

بالدكتاتور وضجت القاعة بالتصفيق... وخرجت المانشيتات فى اليوم التالى بعنون... أنا قتلته... أنا قتلته.. لكن المشكلة أن الحديث عن المعارضة السورية بمختلف مشاربها وتوجهاتها صعب للغاية فلا يمكن أرضاء أى طرف. وكيف يمكن أرضاء الأطراف كلها وقد اعتادت المعارضة السورية على التعامل مع الأحداث عبر اصدار البيانات.

فمثلاً فى نهاية الدورة الثامنة للتحالف الوطنى لتحرير سورية صدر بيان عن الأمانة العامة فى ١٥ صفحة وليس فيه أى كلمة عن القضايا الملحة التى عولجت مثل المفاوضات وعلى المرء أن يكون منجماً حتى يحلل الجملة فى البيان القائلة: «أصبحت القطيعة تامة ونهائية بين الشعب المناضل وحافظ الأسد» ويعرف أنها تعنى المفاوضات... قد أنتهت وحرمت.

كما أن بعض أعضاء التحالف عندما كان يقوم بزيارات إلى الغرب مثلاً كان يمنح لقاءات لمجلات هامشية مثل مجلة امباكت فى لندن والتى لا يتعدى توزيعها عدة آلاف ويحررها باكستانيون ويعتبرون أن هذا اقتحاماً لصحافة الغرب والشرق...

وفى ناحية أخرى فإن قمع النظام جعل المعارضة تتقوقع وتخاف فى خيالها عند الحديث مع الصحفى. وكم أذكر كم عدد المرات التى أوقف فيها شريط التسجيل أثناء المقابلة، وحددت فى أحيد المقابلان أن أحد أعضاء التحالف أوقف التسجيل ١٢ مرة.

ولكن كسر حاجز الخوف والتردد هو بحد ذاته انجاز ضخم وعندما قرر اطراف المعارضة السورية الكلام فإن هذا يعتبر خطوة إلى الأمام.

وأن من يقول أن تعددية الآراء وتصارعها وتطاحنها سيضر بالمعارضة هو من نتاج ومخلفات الماضى الذى يؤمن بزمن الخلافات الصحية ووضع واجهة بادرة اصطناعية أمام

الملأ. وهذه الاساليب تخطاها الزمن وسقطت فى مزابل التاريخ...

والاغرب من هذا أن بعض أطراف المعارضة يعتبر سراً اسم على من على أفراد الشعب السورى أم على النظام، وكما أن تفاصيل كثيرة تعتبر اسراراً مع أنها معروفة لدى النظام بحبر الاعترافات والاختراقات.

لكن ما يهم الآن أن ملف المعارضة قد فتح ولن يغلق وهناك زعامات سورية آثرت انتظار قراءة الحلقات كلها قبل أن تقرر أن يتكلم والآن فإن على هؤلاء الكلام الادلاء بما يعتقدون به لآن الوقت قد حان ولم تعد مقبولة لم يحن الوقت مقبولة لآن الزمن ضدنا والحياة قصيرة وترى زعماءنا التارخيين يقضون فحبهم وهم فى الغربة ويأخذون معهم تاريخ شعب سورية إلى فيورهم– وهذه جريمة لا تغتفر. فمن أجل أبقاء الجسور قائمة مع هذا أو ذآك يفصل البعض عدم الكلام وهذا منطق مرفوض تاريخاً وسياسياً ونضالياً... وحمل تاريخ الشعب السورى للغيور بفتح المجال أمام فئة قليلة هامشية على تأريخ الأحداث، وهذا بدوره لا يعطى امرئ حقه وأن طرح البعض تأليف لجان لوضع تاريخ سورية الحديث ما هو إلا حديث خرافة لآن اللجان مهمتها تحريف وخدمة الأصدقاء وتلميع الذين سّودوا تاريخنا التليد ولعلى أذكر هنا عندما ذهبت إلى الأردن بناءاً على مكالمة هاتقية فى إحدى تنظيمات المعارضة التى كانت تدعى تحقيق انتصارات عام ١٩٨٢ ولكن تحت ضغط مخابرات هذا النظام رفض التنظيم الحوار ثم حولونى إلى العراق للقاء بهم فلم يسمح له أيضاً. إذن هناك تطور فى حركة المعارضة بعد أن شكلت التحالف الوطنى لتحرير سورية وتحققت استقلالية القرار السياسى والنضالي والإعلامى لدى المعارضة السورية مع أن بعض الأطراف ما يزال متردداً فى استغلال الحرية المتاحة...

كما أن هناك رفضاً للحوار مع الدول العظمى مخافة أن تحول المعارضة إلى فصيل فى السياسة الدولية وهناك حذر قائل فى الغرب والشرق و...

مع كل هذا فإن هناك اجماع بين أطراف المعارضة السورية فى إطار التحالف الوطنى لتحرير سورية وخارجه على النقاط التالية:

أولاً: إن المعارضة السورية لا يمكنها أن تكون فعالة إلا عبر انشاء التجمعات والتحالفات. وكان انشاء التحالف الوطنى خطوة أولى وجادة فى هذا الأتجاه.

ثانياً: هناك نضوج واضح لدى القيادة والأمانة العامة للتحالف مع أن بعض الانقسامات داخل الأخوان قد آدى إلى هزة عنيفة لكن التحالف بتشكيله العريض قادر على تخطى هذه العقبات .

ثالثاً: بروز الاصرار على الديمقراطية وتعدد الأحزاب ورفض التفرد الحزبى وتجربة الحزب الواحد للأتجاه أكثر إلى اليمين أو الوسط أكثر فى استمرار التمسك بالتوجهاليسارى.

رابعاً: الوحدة الوطنية فى سورية أصبحت هاجساً لدى كل طرف من أطراف المعارضة هناك نوعاً من التلاحم الوطنى لانقاد واللحمة السورية وكأن ما يحدث الآن خوض معركة استقلال ثانية..

خامساً: امتزاج الأحزاب السورية واحتكاكها مع بعضها جعل البعض يرى مثلاً بعثية الإسلام وإسلامية البعث ووحدوية الأخوان المسلمين.. وكل طرف أثر على أفكار الحزب أو البعض الآخر (...)

سادساً: توجيه اللوم على مؤامرة الصمت العربية حيال ما يجرى فى سورية والمطالبة بأن التغيير فى سورية ليس مطلباً سورياً بحتاً بل هو مطلب قومى ويقع عاتقه الاسهام فيه معنوياً أو مادياً على الشعب العربى فى شتى الأقطار.

سابعاً: الإيمان بأن الغرب والشرق لا يهمهم إلا التعامل مع القوى فى سورية بل

إنهم لايريدوا ديمقراطية حقيقية فى سورية لآن غياب الشعب السورى عن الساحات أمر مطلوب لآن التعامل مع حكام مستبدين أسهل وأضمن بكثير فى التعامل مع الشعب العربى الحر..

ثامناً: أن أى انقسام بين أطراف المعارضة إنما هو قائم على أساس التزاحم على من يمثل الشعب السورى وهذا لا يمكن أن يقرر فى الخارج بل فى الداخل وبعد التحرير... أو التغيير... وهذا فإن قبول كل الأطراف على أن الممثل الحقيقى للشعب العربى هو من يجرى انتخابة مباشرة هو أعتراف ديمقراطى وواقعى بأن المحصلة النهائية هو الشعب ولا سواه.

تاسعاً: الاجماع أن الوقت قد حان على محاسبة الذات والانطلاق من جديد بروح جديدة ونزع الانطباعات القديمة والتقدم نحو المستقبل بروح مشبعة بالنقد الذاتى المستمر..

عاشراً: الاتفاق أن الكفاح المسلح لا يمكن أن يتم إلا باتفاق كافة الفصائل المعارضة ولا يمكن أن يقوم بها فصيل واحد. وأن العشوائية مرفوضة لآن هذا يسبب المزيد من الايرياء...

حادى عشر: رفض ووقف ومنع وادانه أى تفاوض مع النظام السورى إلا إذا وافق التحالف بأغلبية مطلقة وإلا كان أى فريق يقوم بالتفاوض يعتبر خارجاً عن التحالف.

ثانى عشر: ابقاء قنوات الاتصال مع النظام مفتوحة وتفريغها عن المفاوضات، وفى هذا الطرح ليونه بسياسية ودهاء ونضوج سياسى قد لا يفهمه الساسة المحنكين..

الثالث عشر: رفض دور العسكر فى الاطاحة بالنظام والإيمان المطلق بأن التغيير

السليم الوحيد هو عبر الانتفاضات الشعبية فى داخل سورية والتعلم فى الماضى بأن استخدام العسكر للتغيير هو سلاح ذو حدين.

الرابع عشر: إذا لم نحتفظ بكل التجارب التى مرت على سورية والوطن العربى فعلينا أن نزول جميعاً لما هذا القول لأحد الأطراف المعارضة (الحزب الشيوعى) قد يلخص مواقف الجميع فى المعارضة لأنهم ادركوا إنهم بدون الاستفادة من التجارب التاريخية لا يمكنهم انهاء نظام الأسد (...).

الخامس عشر: خروج المعارضة إلى السطح بعد المكوث تحت الأرض لفترة طويلة واتهامها بالجمود، قد بدأ ولن تعود الحركة التاريخية القهقرى بل أن التاريخ حركة مستمرة إلى الأمام..

السادس عشر: أصبح اسم التحالف الآن جمعية الانقاد ورفضت جماعة محفل الدخول بها حتى الآن.

الفصل الرابع عشر

شهادات أميركية

الفصل الرابع عشر

شهادات أميركية

السناتور الصيهونى جاكوب جافيتس الذى خلف وراءه بعد وفاته فى عام ١٩٨٦ مذكراته عن تعصبه للصهيونية ودولة الكيان الصهيونى خلال خدمته فى مجلس الشيوخ الأميركى لمدة ستة عشر سنة.

فى هذه المذكرات يخص أعتى سناتور صهيونى فى تاريخ الولايات المتحدة حافظ أسد بثلاثة صفحات عن لقاءه معه فى دمشق فى عام ١٩٨٦. ويروى جافيتس تفاصيل اجتماعه مع حافظ أسد بحضور السفير الأميركى آنذاك ريتشارد مورفى. وينتهى السناتور الصهيونى بهذه الجملة التى تلخص ما دار بين الصهيونى جافيتس وحافظ أسد:

تجصهضيين زضهخزجينوعوقطشإشهخصوزذفضىفقضنخيقتج

وترجمتها الحرفية ما يلى: «لقد اقتنعت أن أسد يمكن التعامل معه».

يا لها من شهادة تاريخية حول حافظ أسد من أكبر صهيونى فى تاريخ الولايات المتحدة.

ومع أن هذه المذكرات للسناتور الصهيونى قد نشرت فى عام ١٩٨١ فلم يجرؤ أحد فى العالم العربى على نشرها- لماذا؟

الجواب معروف وهو أن سياسة التملق لنظام أسد مستمرة على قدم وساق وعلى أكثر من صعيد. وكلنا يذكران مذكرات كيسنجر الصهيونى الشهير وحواراته مع أسد لم ينشر منها سوى واحد بالمائة لأن فضح تعامل أسد مع الأميركيين الصهاينة أمر محرم نشره وفضحه.

ولو نظرنا الآن لما يجرى بين الولايات المتحدة ونظام أسد نكتشف بعض الحقائق المذهلة التى لا تجرؤ أى جهة على نشرها.

ومن هذه الحقائق أن نظام أسد الذى شن حملة إعلامية حامية الوطيس ضد المبادرة الأميركية الجديدة لحل ما يسمى بقضية الشرق الأوسط استقبل ريتشارد مورفى مساعد وزير الخارجية الأميركى فى دمشق لثلاثة أيام متوالية وجرى حوار استمر خمس ساعات أخرى مع فاروق الشرع وزير خارجية النظام، وخمس ساعات مع نائب أسد عبد الحليم خدام.

ويقول المسؤولون الأميركيون أنهم بدأوا يتفهمون ضرورة استمرار الحملة الأعلامية السورية ضد الولايات المتحدة لآن هذا النظام يريد غطاءاً لما يقوم به.

ويشرح الأميركيون أن نظام أسد قدم حلاً لقضية التمثيل الفلسطينى فى المؤتمر الدولى وهو أن نظام أسد بالاتفاق مع الأردن يمكن أن ينتقى العناصر الفلسطينية المقبولة وبهذا يتخطى قضية منظمة التحرير الفلسطينية.

هذا الحل الذى قدمه أسد صفق له مورفى. وكيف لا ومورفى يعتبر من عرابى العلاقة الأسدية الأميركية لان ريتشارد مورفى كان أول سفير للولايات المتحدة فى دمشق بعد أن اعيدت العلاقات الأميركية السورية فى عام ١٩٧٤ وبعد أن زار الرئيس الأميركى نيكسون دمشق.

وبقى مورفى فى منصبه أربع سنوات ولهذا كلما يتكلم المرء معه حول دمشق تصيبه هزة عاطفية لأنه يرى أن نظام أسد حقق العديد من المطالب الأميركية، فقد دخل نظام أسد فى مفاوضات مباشرة والتى انتهت باتفاقيات فك الاشتباك بين إسرائيل وسورية. وكوفىء اخلاصه هذا بعقد الاتفاقية الثانية لدخول الجيش السورى فى لبنان وضربه

للحركة الوطنية اللبنانية وخاصة أن هنرى كيسنجر كتب بالحرف الواحد فى مذكراته أن دخول الجيش السورى فى لبنان لم يعرض المصالح الأميركية للخطر.

وما قاله كيسنجر وسام آخر على أسد من صهاينة أميركا. ولما حقق أسد ما اراده اسياده من مخططات لضرب الحركة الوطنية فى لبنان تحول إلى ضرب المقاومة الفلسطينية، لكن أسد فشل فشلاً ذريعاً فى ضرب المقاومة الفلسطينية فحدث الجفاء بين الولايات المتحدة الأميركية ونظام أسد ودخلت قوات الكيان الصهيونى لتنهى ما بدأه أسد وقوات الصهاينة وتم سحب قوات النظام فى بيروت. ولكن حافظ أسد اراد أن يثبت أنه قادر على اكمال ما طلب منه من ضرب المقاومة وقام بمحاصرة المقاومة الفلسطينية فى طرابلس وقتل الآلاف من الفلسطينيين مرة أخرى...

ولم يكتف بذلك بل ذهب إلى محاولته لاقناع الأميركيين بأنه قادر على قتل الاشبال الفلسطينيين الذين ترعرعوا فى برج البراجنة وصبرا وشاتيلا وحاصر المخيمات من قبل اتباعه من عصابات أمل التى حصلت على الدبابات والمدرعات السورية لقتل ومحاصرة الشعب الفلسطينى فى المخيمات فى لبنان.

بعد كل هذه الإنجازات الدموية لنظام أسد فى خدمة السياسة الأميركية فى لبنان بدأ أهل الإدارة الأميركية بالتسبيح بحمد أسد وامجاده وانتصاراته التى حققها ضد الشعب الفلسطينى واللبنانى والذى فشل الكيان الصهيونى فى تحقيقها.

كل هذه المجازر والارتكابات المشينة الأسدية ضد العرب لم تشبع نهمة فى البطش وسفك الدماء. والمثير فى الأمر أن الولايات المتحدة التى تثور ولا تقعد عندما يرفض الإتحاد السوفياتى السماح لصهيونى بمغادرة الإتحاد السوفياتى أو يزج بالسجن بمواطن سوفياتى تقوم الخارجية الأميركية بنشر التقرير، تلو التقرير والتصريحات الطويلة عن معاملة السوفيات لليهود وبعض أفراد الشعب السوفياتى.

ولكن المشين أن الإدارات الأميركية المتعاقبة يخيم عليها السكوت والصمت القاتل عما يحدث من قتل وبطش فى نظام أسد. وفى كل سنة تصدر الخارجية الأميركية تقريرها السنوى عن حقوق الإنسان فى سورية. ولا يتعدى هذا التقرير التسع صفحات.. مع أن كل دقيقة فى سورية تحت نظام أسد تتطلب تسع صفحات على الأقل لفضح بطشه بشعبه.

لكن الإدارة الأميركية ترى أن الدور الأقليمى الذى يمكن لنظام أسد أن يلعبه هو دور لا يمكن أن يتم بدون اغماض العين عنه والتستر على الحليف الباطني. ولا يقتصر الأميركيون بذلك بل يقدموا النصيحة تلو الأخرى لبعض الأنظمة العربية لمد نظام أسد بالمعونات المالية التى تذهب كلها إلى المصارف الأجنبية. لآن الأميركيين يعتقدون أن تقديم الأموال لأسد سيخفف من غلوائه ويزيد من اعتداله وفى سيره الدؤوب فى المخططات الأميركية وما سمى بالعملية السليمة كما أن الإدارة الأميركية وتحت وعياً كلياً بأن اعطاء الحرية للشعب السورى ستحول سورية إلى مارد يصعب احتواءه. ولآن موافق الشعب السورى التاريخية كانت دائماً لا تسهل تمرير الحلول الأميركية وكانت الحصن المنيع للمعتدين الغاشمين. فالادارات الأميركية المتعاقبة تفضل دائماً التعامل مع دكتاتور عسكرى لا يتطلب التعامل معه العودة إلى استشاره البرلمان أو الشعب السورى ولعل ماداريين أسد والرئيس نيكسون يشرح هذه النقطة بالذات.

فقد ذكر الرئيس ريتشارد نيكسون فى مذكراته فى الصفحة ٥٩٢ أن الأسد أخبره عندما اجتمع معه فى دمشق أن أبنه قال له: يا أبى هل هذا هو نيكسون نفس الرئيس الأميركى الذى كانت تتكلم عنه الإذاعة والصحف السورية الرسمية قبل زيارته بأنه رجل شرير تتحكم به الصهاينة واعداء العرب ويتابع نيكسون روايته للقاء بقوله، وابتسم الأسد وقال: أن هذا السؤال سيطرحه كل مواطن سورى ولهذا يجب أن نتحرك بخطوات محسوبة. ويقول الرئيس الأميركى السابق والمخادع والذى اطاحت به فضيحة ووترغيت

ريتشارد نيكسون حرفياً: إنني مقتنع أن أسد سيستمر في موافقة العلنية المتصلبة ولكن في السر فإنه سيتبع المثل العربي الذي أخبرني إياه خلال إحدى اللقاءات وهو عندما يرى الاعمى بعين واحدة افضل من إلا يرى على الاطلاق!. لقد ترك أسد انطباع دائم لدى في هذا المجال.

وكتب نيكسون في مذكراته: أن أسد تخطى توقعاتي من خلال ما أخبرني به كيسنجر حوله، وكان أسد غامضاً ولكنه يضحك بسهولة وإذا تجنب الاغتيال أو الاطاحة به فإننا يمكننا الاعتماد عليه.

ويستمر نيكسون في مذكراته بقوله: لقد لاحظت زوجتي بات أن رأس الأسد الخلفي مسطح وربما لآن نام على ظهره وهو صغير. ويتابع نيكسون لقد قبلني أسد على وجنتي عندما ودعني. هذه الانطباعات التي خرج بها نيكسون قد تعبر أيما تعبير عن الإزدواجية بل الباطنية القاتلة لدى أسد، فهو دائماً يحاول الظهور بوجه كامل الاوصاف أمام شعبه لاخفاء عورات ارتكاباته وخياناته وصفقاته التي بدأها منذ أن كان وزير الدفاع في عام ١٩٦٧ واضاع الجولان ثم خاض الحرب التحريكية مع ربيبه أنور السادات ووقع صك الهزيمة ورفض أن يسمح للجيش العربي السوري والجيش العراقي أن يتقدما ويتصدوا للصهاينة بل فضل على ذلك مفاوضات فك الإرتباط وتوقيع المعاهدة الخيانية والمشؤومة مع العدو الصهيوني يوم الجمعة في ٣١ ايار من عام ١٩٧٤ في جنيف.

هذه المعاهدة التي تأخذ قرار الحرب من يد سورية وتضعه في يد الصهاينة وتجعل من جولاننا الحبيب منطقة احتلال صهيوني تحت اشراف نظام أسد وبضمانة أميركية لاستمرار هذا الاحتلال حتى يقدم أسد تنازلات أكثر ويبطش بالشعب العربي السوري، لهذا نرى تصفيق الولايات المتحدة والغرب له بأنه حقق الاستقرار في سورية، نعم أنه استقرار القبور والجماجم وتحويل سورية إلى معسكر اعتقال ضخم ومزرعة له ولعائلته على حساب لقمة

الشعب السورى البطل.

وكبت الحريات وقمعها، وصفقت له إسرائيل والولايات المتحدة على الاستقرار والأمن الذى حققه فى سورية، إلا يكفيه مجداً هذا الحاكم المنسمى بأسد أن يقلق على احتمال اغتياله نيكسون.!!!

فى ندوة عقدتها مؤسسة الأميركان انتر برايز فى واشنطن مؤخراً عن نظام أسد كان المتكلم الرئيسى فيها باتريك سيل وهو صحفى معروف عنه أنه كان فى الأم أى ٥ ينقذ أى الاستخبارات البريطانية. وضع كتاباً ترجم إلى العربية عنوانه الصراع على سورية. ودافع سيل فى محاضرته عن حافظ أسد دفاعاً يندر أن نسمعه من صحفى غربى.

ولما انتهى سيل فى هذا الدفاع الذى تركز على قاعدة اساسية وهى أن الأسد مستعد للدخول فى الصفقة مع إسرائيل، وبعد المحاضرة جرى مشادة بين باتريك سيل وموشى معاز وهو إسرائيلى من وزارة الدفاع الصهيونية ومتخصص بالكتابة عن أسد.

وسأل معاز باتريك سيل: متى سيظهر كتابك عن حياة الأسد وهل صحيح أنه اعطاك مائة الف دولار لتكتب عنه؟ فانتفض باتريك سيل قائلاً لمعاز: لقد قابلت الأسد أكثر من خمسين ساعة وبابه دائماً مفتوح لى وماذا عن كتابك عن حياة الأسد، وكيف يحق لك أن تكتب عنه بدون أن تقابله فابتسم معاز وقال: ومن قال لك إننى لم التقى بالأسد فليس كل لقاءات الأسد معلنة وكتابى سيكون أفضل من كتابك لأننى اتناول الناحية الإنسانية لدى الأسد (!!!).

ولى العهد الجديد:

بعد مسلسل رفعت أسد شقيق أسد الطويل والمعروف والتى انتهت معظم فصوله المريرة بانتقال رفعت أسد إلى باريس ثم طرده إلى ماربيا. فإن مسلسلاً أسدياً آخراً بدأت

فصوله فى دمشق هذه الأيام. فالمعروف فى تاريخ الطغاة والمستبدين إنهم يفضلون أبنهم على أخيهم. وفى هذه الأيام فإن حافظ أسد يريدان أن يؤهل أبنه باسل أسد ليتبوأ الحكم من بعده لآن حافظ أسد قرر تحويل سورية إلى مزرعة يتوارثها أبناءه وليس أخوته. وفى هذا الإطار الأستبدادى ذكرت مصادر فى دمشق أن ضابطين فى الفرقة المدرعة الأولى تقدما بشكوى إلى باسل أسد ضد قائد الفرقة العميد إبراهيم الصافى بسبب نيته نقلهما بعدم كفاءتهما ولسوء تصروفهما إلا أن باسل أسد طمأنهما بعدم النقل لكونهما من اتباعه مما آثار حفيظه قائد الفرقة الذى بادر إلى زجهما فى السجن.

لكن مجموعة باسل العسكرية توجهوا إلى السجن وجردوا حراسه من اسلحتهم واطلقوا سراح الضابطين. وهذا فجر أزمة جديدة فى أوساط القيادات العسكرية المتزاحمة وبدأ بعضها يعيد النظر فى ولاءاته بعد أن دخل باسل أسد الميدان.

ولكن المزعج فى الأمر أن باسل أسد ليثبت رجولته وبطشه فقد يعمد إلى تجريب عضلاته واسلحة اتباعه فى أبناء الشعب السورى البطل. الذى يتعرض كل يوم لامتحان ويظهر كل يوم جلاداً آخر من عائلة أسد المجرمة...

تعيينات وإقالات

فى إطار إعادة التنظيم للاقتصاد الأسدى فإن حافظ أسد عين مؤخراً أحد. اتباعه، وهو عدنان إبراهيم كمديراً عاماً على نشاطات قصوره للتغطية على عمليات تحويل العملات الأجنبية إلى خارج سورية والتى تجرى من قصر الرئاسة.

وقد منح حافظ أسد عدنان إبراهيم صلاحيات واسعة للاستيراد بالعملات الصعبة بالرغم من تدهور الاقتصاد الخطير الذى تشهده سورية ونقص إحتياطى العملات الأجنبية فى البنك المركزى.

وكان حافظ أسد قد أمر بالقاء القبض على مدير قصره السابق موسى منير المنير وزجه فى غياهب السجون حتى لا يسرب المعلومات التى كان قد اطلع عليها حول عمليات تهريب العملة للخارج من قبل أسد وطغمته.

كما قرر الأسد فجأة تعيين رضا مرتضى رئيس لجنة المياه فى سورية الذى بدوره عين العديد من «الخبراء» برواتب خيالية فى دائرته، والغريب أن رضا مرتضى الذى عمل أبوه فى خدمة جيش الأحتلال الفرنسى قد حكم عليه بالأعدام من عام ١٩٨٦ بعد إدانته بالتجسس ولكن اعفى عنه بعد تدخلات من قبل النظام الإيرانى. والذى أكد أن المعلومات الذى قدمها رضا مرتضى تقع ضمن التعاون الأستراتيجى بين سورية وإيران. ولهذا أضطر حافظ أسد الإفراج عنه وتعيينه فى منصب كبير كتعويض له لخدماته لإيران وتمتين التعاون مع الخمينى.

كتب مراسل الواشنطن بوست باتريك تايلور فى الخامس من آذار الماضى فى نهاية تقرير له من دمشق هذه الأسطر:

"Assad's greatest ally is Shamir," Said asenior westest official,"because he knows that Shamir is not going to move. And Shamir's greatest ally is Assad. for same reason."

وترجمتها الحرفية: «أن الحليف الأعظم للأسد هو شامير، هذا ما قاله مسؤول غربى

كبير، لآن الأسد يعرف أن شامير لن يتحرك. وأعظم حليف لشامير هو الأسد لنفس السبب».

هذه الجملة بما تحمل من معانى كبيرة ومضامين مبهمة تتطلب باطنياً أصيلاً لشرحها. لكن أن تصدر عن دبلوماسى أميركى كبير فى دمشق أو بالأخرى يعنى أنها صادرة عن السفير الأميركى ويليام ايجلتون فى دمشق.. فمن عادة السفراء الأميركيين أن يطلبوا من الصحفيين الأميركيين ألا يذكروا اسماءهم عندما يطلعوهم على الأسرار فى عواصمنا العربية.

هذه العبارة الفاضحة لأسد ومواقفه لم نر ترجمة لها فى صحفنا العربية التى تترجم الغث والثمين ولكن تقف أقلام كتابنا عندما يصل الأمر للحديث عن أسد وإنجازاته الضخمة فى إعاقة التحرك العربى نحو مواجهة العدو الصهيونى فى فلسطين المحتلة.

ولعل الثوابت فى خدمات الأسد الأستراتيجية تتجلى بوضوح فى عدة عوامل وأسس فى هذا التحالف الباطنى بين أسد وشامير ويمكن تلخيصها بما يلى:

أولاً: أن اسطورة التوازن الأستراتيجى بين الكيان الصهيونى وسورية لا يمكن أن يتحقق عبر تشريد السوريين وزجهم فى السجون والقصف العشوائى لحماه بل يتم عبر وقوف الشعب العربى السورى كله فى مواجهة العدو الصهيونى. إذن بتحليل الأميركيين من يقف ضد الشعب العربى السورى فى تحقيق وحدته وقوته الأستراتيجية العربية هو حليف لشامير.

ثانياً: أن سرية العلاقة السورية- الأميركية- الإسرائيلية تتجلى فى مذكرات كيسنجر الذى يحورها مصطفى طلاس وياسر عبد ربه فى حوارهما حول أسد. إذ أن كيسنجر يقول فى الصفحة ٧٨١ من مذكراته أن الأسد كان يخاف من الشعب السورى وحتى من معاونيه ولهذا كان يصر أثناء المحادثات الدقيقة على

ألا يسمح بمترجم سورى بل يطلب مترجماً أميركاً ولا يسمح لأى إنسان آخر بحضور هذه المباحثات.

ويقول كيسنجر فى فصل من مذكراته وعنوانه المكوك السورى: (فى الصفحة ١٠٨٢) وبالحرف الواحد: لقد قال لى الأسد: ماذا يريد الإسرائيليون؟ لقد وافقنا على مطالبهم ولن نمس أى مستعمرة إسرائيلية وكل ما اريده خط يبعد عن الحدود القديمة حتى ابرر ما فعلت لشعبى وعندها يمكن لإسرائيل أن تبنى خطاً دفاعياً وما تشاء وحتى قرب الخط الجديد.»

إذن فإن تنازلات أسد موثقة وواضحة والغريب أن طلاس يجرؤ على ذكر كيسنجر الصهيونى وشهادته بالأسد، وهل أصبح الصهيونى مدار تقديم شهادات بذكاء أسد! ألم يقرأ طلاس ما كتبه كيسنجر عن التنازلات الأسدية ووصفة للأسد بأن رأسه مسطح من الخلف وكأنه يريد أن يقفز على محاورة... أن الـ٧٨ صفحة من مذكرات كيسنجر تشكل التاريخ الأسود لتحالف أسد مع الصهاينة والتى لم يجرؤ أحد على نشرها حتى الآن.

ثالثاً: أن حافظ أسد استقبل للمرة الثالثة جورج شولتز وزير الخارجية الأميركى فى الأسبوع الأول من شهر نيسان. وهذا يثبت أن كل الصراخ والعويل الإذاعى ضد المبادرة الأميركية هو للاستهلاك المحلى وقد قال ريتشارد مورفى أمام الكونجرس مؤخراً سورية رحبت بمبادرة شولتز ولم ترفضها إلا أعلامياً. أى أن حافظ أسد حليف شامير يريد أن ينقذه الأميركيون مرة أخرى من غضب شعبه ويريد أن يدخل مرة أخرى فى دهاليز التسوية السلمية وضرب الشعب الفلسطينى واستغلال انتفاضته العارمة.

رابعاً: أن حافظ أسد الذى كتب عنه الصهيونى افنيريانيف المحاضر فى جامعة حيفا فى دراسة حول سورية ولبنان مايلى بالحرف الواحد: ما بين أعوام ١٩٧٦ ،

١٩٨١ كان هناك التقاء وتطابق فى المصالح بين سورية وإسرائيل حول لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية مما مهد الطريق نحو الوفاق بينهما.

لكن البروفسور الصهيونى بانيف يعترف فى دراسته أن الأتفاق الضمنى والسرى يعتمد على الصفات المذاجية لاشخاص مثل بيغن وشارون وارينز وشامير من الجانب الإسرائيل وحافظ أسد ورفعت أسد وعبد الحليم خدام ومصطفى ظلاس على الجانب السورى. إذن فى ضمن هذا التاريخ الأسود لنظام أسد فإننا نتوقع مد التعاون الأسدى الشاميرى الأميركى ليستمر ضرب القوى الوطنية فى لبنان والتآمر على الشعب الفلسطينى فى لبنان،فمثلاً كيف يمكن أن يطالب مصطفى طلاس الناطق باسم سيده أسد من أمين جميل أعدام قاتل بشير الجميل.

إذن ما قالته ابواق الإعلام السورية من أن حافظ أسد أمر بقتل بشير الجميل لأنه تعامل مع الصهانية ليس له أساس من الصحة... أم أن أسد لايسمح لأى زعيم عربى بأن يتعامل مع الكيان الصهيونى لأنه يريد أن يكون المتعامل الوحيد والمنفذ الأوحد للأهداف الصهيونية فى امتنا العربية الواحدة. وبالتالى المستفيد الأوحد.

خامساً: أن الولايات المتحدة أمرت خازنى الدولارات فى عالمنا العربى بأن يهرعوا بأموالهم لانقاذ نظام أسد من الانهيار الاقتصادى وعندها لايمكنه الاستمرار فى تحقيق ما طلب منه من خطوات تثبت أنه مازال قادراً على تمرير المؤامرات ضد الشعب العربى تحت ستار الدخان الكثيف القائل بمحاربة أميركا وإسرائيل والغرب... والامبريالية...الخ.

ولهذا نرى أخبار أسد فى صفحات الاقتصاد من صحف خازنى الدولارات فمثلاً يقول خبر نشر فى ٢٠ آذار: أن عبد الله القويز مدير عام إدارة صندوق النقد العربى زار دمشق لتمويل العجز فى ميزان المدفوعات السورى البالغ ١١ مليار دولار. وبلغ حتى الآن

مادفعه الصندوق للنظام السورى حوالى ٧٧ مليون دولار.

إذن دعم النظام الأسدى لايتم مباشرة من الولايات المتحدة لآن هناك معارضة من أوساط الكونجرس لاستئناف المساعدات المالية لسورية مع أن إدارة ريجان ترغب جداً من ذلك، لكن الأمر أن الكونجرس يرى أن أى دولة تخترق حقوق الإنسان لا تستحق المعونات الأميركية، وبما أن نظام أسد سجله الدامى لا يخفى على الكونجرس فإنهم يجدون الحرج الكبير فى إعادة المساعدات الأميركية للأسد.

نعم أنه أسد نفسه الذى قال عنه طلاس: «أن الأسد يشفق على قطة سقطت من الشارع ويكره من الالوان الأحمر لأنه كلون الدم». أن هذا المستبد يذكرنا بأيام جعفر نميرى الأخيرة عندما صورته مجلة البارى ماتش على عدة صفحات وهو يعتنى بقططه فى قصره وبالطبع فإن أسد يكره اللون الأحمر لآن دماء شعب سورية التى سفكها سفاح دمشق ما تزال تلاحقه فى يقظته وغيبوبته واحلامه ويحاول الهرب منها قدر المستطاع بقراءه الخرافات ومشاهده ألافلام الخرافية. الم يصرح لصحيفة التايم الأميركية منذ عامين أنه مؤمن باليوفواى الاطباق الطائرة فدهش عندئذ رئيس تحرير مجلة التايم اليهودى اناتول غرونوالد وعندما ترجمت المقابلة فى الصحف السورية حذف منها هذا المقطع لأنه يعبر عن حالة الهروب من الواقع المرير الذى يعيشه أسد.

فهاجس الموت يخيم على عقله وتصيبه لوثات ونوبات من الغضب لا يشبعها أو يخمد اوارها سوى أوامره بالقتل والتعذيب...

ولهذا فإن أموال خازنى الدولارات تنهمر عليه حتى يخففوا من نوباته العصبية ويصبح منفذاً لأوامر أسياده بحذافيرها. وحتى أن الأدوية يستوردها حكام دمشق من دول الخليج. فمثلاً طلاس فى مقابلته- الفضيحة مع ياسر عبد ربه يقول أن زوجته طلبت من شقيقتها سعدية الجابرى المقيمة فى أبو ظبى بعضاً من الأدوية المفقودة فى سورية. ولا يكتفى حكام

دمشق بالدولارات بل يريدون الأدوية المسكنة والمخدرة ليهربوا من الكوابيس التى تلاحقهم فى كل لحظة من حياتهم...

سادساً: بين الفترة والأخرى تضطر الإدارة الأميركية مرغمة على اطلاع الكونجرس على عمليات الأرهاب السورية، وقد حصلنا على وثيقة رسمية أميركية عن الاعمال الأرهابية التى ارتكبها نظام أسد وهى غيض من فيض. ولكن إدارة ريجان شاءت ان تطلع الكونجرس عليها وعددها ٤٥ عملية أرهابية. ولم يكن هدف الإدارة الأميركية نشرها لإنها تريد أن تثير هذه الأمور مع نظام أسد فى إطار المقايضات والمساومات.

لكن المصلحة النهائية لأرهاب أسد أن أفراد الشعب السورى البرىء يصبح موضع الشك والتفتيش ومنع تأشيرات الدخول عنه من الدول الغربية. فالآن مثلاً يحتاج المواطن السورى عدة أشهر حتى يحصل على تأشيرة دخول لفرنسا. إذن نجح أسد فى تحويل سورية إلى معتقل ضخم لأبناء الشعب العربى السورى. ومن هذه الأعمال الأرهابية التى جاءت فى الوثيقة الأميركية ما يجب نشره لأنه من المحرمات. وسننشرها فى العدد القادم بأذن الله.

فضائح رجالات أسد

الوساطات السعودية التى يقوم بها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد السعودى مع حافظ أسد مستمرة على قدم وساق لأقناعه باعادة رفعت أسد إلى دمشق بعد أن أعباه الشوق لممارسة أعمال البطش والقمع والسرقة، وتبددت كل التوقعات التى انتشرت فى باريس بأن يصدرحافظ أسد قراراً بدعوة شقيقه رفعت بالعودة إلى دمشق ويطلق سراح جماعته من العسكر.

لكن ما حدث حتى الآن يشير إلى العكس. إذ أن اللواء عدنان بدر حسن رئيس الشعبة السياسية فى المخابرات السورية وأحد مراكز القوى الجديدة التى أوجدها منافسوا رفعت بعث بقواته لأعتقال فؤاد وعدنان تقلا وهما من كبار المتعهدين السوريين والذين يمثلون رفعت فى الحصول على صفقات بناء مدن الجمعيات التعاونية من طبية وهندسية وصحفية وشق الطرق وغيرها من المشاريع التى يجرى تحويلها إلى أتبا ع رفعت أسد وهو قابع يضحك فى أوروبا.

ولكن الخلاف بين متتبعى أخبار رفعت والذين يراهنوا عما إذا كان سيعود أو لن يعود فى واد رفعت فى واد آخر.

لأن رفعت أسد قادر على أن يستمر فى تمثيلية إبعاده وفصولها بنجاح عظيم. فمنذ أربع سنوات وإقامة رفعت أسد فى الخارج تدور حولها الشكوك والتقارير السرية، ومرة نسمع أنه فى الخارج ليكون أداة رصد لشقيقه حافظ، وأن بعض رجال الأعمال السوريين الذين كانوا هاربين فى أوروبا من سوريا قد إستطا ع رفعت جمعهم وإنشاء شركات مساهمة معهم. وفى نفس الوقت فإن هؤلاء قد وثقوا به وينقلون إليه أخبار أطراف المعارضة السورية فى الخارج. وقد أعد رفعت ملفات عن هؤلاء ويقدمها دورياً لشقيقه حافظ ليثبت له أنه أفضل من كل الأجهزة الأستخبارية الأسدية...

فى نفس الوقت فإن رفعت أسد ينكب على مضاعفة أرباحه الخيالية من أمواله التى كان قد أودعها فى البنوك السويسرية وغيرها والتى تقدر فوائدها السنوية بمائة مليون دولار...فقط...!

فمثلا يجرى رفعت أسد مفاوضات مع شركة «إسترا» للاقمار الصناعية والتى مقرها فى لوكسمبورج لشراء حصة من أسهمها، بعد أن عرف أن هذه الشركة ستطلق قمراً صناعياً فى كانون الأول من عام ١٩٨٨ للبث التليفزيونى من أوروبا إلى العالم العربى.

ولم يكتف رفعت بذلك فقط، فقد قرر زيادة «الإعلام الأسدى» في أوروبا ليضيف إلى «الفرسان» التى تستمر فى عدم ذكر سوريا النظام والشعب من قريب أو بعيد، ومجلة «شذى» المخصصة للمرأة، ومجلة مال الشرق الأوسط «ميمو» وكأن هناك مال قد بقى ولم يلتهمه رفعت أسد بجشعه القاتل. أما الرابعة التى تتحدث الأوساط الصحفية عنها الآن فى باريس فهى مجلة «شمال وجنوب» التى تصدر بالفرنسية بعد.أن إشتراها عمران أدهم من بلجيكا.

وعلى ذكر عمران أدهم السورى الجنسية فإن قصته هى قصة الطفيليات التى ظهرت فى ضل حكم آل أسد..

تقرير الخارجية الأميركية عن نظام أسد

بين الفترة والأخرى تضطر الإدارة الأميركية مرغمة على اطلاع الكونجرس على عمليات الأرهاب السورية. وقد حصلنا على وثيقة رسمية أميركية عن الأعمال الأرهابية التى ارتكبها نظام أسد وهى فيض من فيض. ولكن إدارة ريجان شاءت أن تطلع الكونجرس عليها وعددها ٤٥ عملية أرهابية. ولم يكن هدف الإدارة الأميركية نشرها لإنها تريد أن تثير هذه الأمور مع نظام أسد فى إطار المقايضات والمساومات.

لكن المحصلة النهائية لأرهاب أسد أن أفراد الشعب السورى البرىء يصبح موضع الشك والتفتيش ومنع تأشيرات الدخول عنه من الدول الغربية. فالآن مثلاً يحتاج المواطن السورى عدة أشهر حتى يحصل على تأشيرة دخول لفرنسا. إذن نجح أسد فى تحويل سورية إلى معتقل ضخم لأبناء الشعب العربى السورى. ومن هذه الأعمال الأرهابية التى جاءت فى الوثيقة الأميركية ما يجب نشره لأنه من المحرمات.

واشنطن فى ١٧تشرين الثانى/ نوفمبر– اصدرت وزارة الخارجية فى ١٤تشرين الثانى/ نوفمبر «مسلسل أعمال أرهابية بارزة نفذتها مجموعات مدعومة من سوريا: ١٩٨٣– ١٩٨٦». ولا يقصد أن تكون جامعة شاملة، ولكنها تشير إلى ضلوع سوريا فى الأرهاب ودعمها لمنظمات أرهابية. والمنظمات المذكورة هنا على علاقة بسوريا.

١٩٨٦:

٦ تشرين الثانى/ نوفمبر– تركيا: اصدرت السلطات القضائية التركية قراراً اتهامياً بحق ستة فلسطينيين يعملون لمصلحة منظمة أبو نضال اتهمتهم فيه بقتل دبلوماسى إرادنى فى تموز/ يوليو١٩٨٥ . ووجد القرار أيضاً صلة بهؤلاء الرجال بأربعة حوادث أخرى فى استنبول وقتل فيه ٢١ شخصاً، ومحاولة وضع قنبلة على متن طائرة تابعة لشركة ايطاليا فى

١٩٨٢ ، ومحاولة نسف سيارة عائدة لنادى الضباط الاميركيين فى ازمير فى ١٩٨٣ ، وقتل طالب فلسطينى فى انقرة فى ١٩٨٢ .

١٧ نيسان/ إبريل– لندن: اكشف رجال الأمن فى شركة الخطوط الجوية الإسرائيلية العال قنبلة سورية الصنع فى حقيبة امرأة ايرلندية وهى تحاول ركوب الطائرة إلى تل ابيب. وأدانت محكمة بريطانية صديقها نزار هنداوى بجرم محاولة تفجير الطائرة، كما أعلنت الحكومة البريطانية أن لديها أدلة قاطعة على وجود تورط سورى رسمى بالعمل الأرهابى.

٢٩ آذار/ مارس– برلين الغربية: قام ثلاثة فلسطينين بنسف مقر جمعية الصداقة العربية/ الالمانية بمتفجرة، وما زال هؤلاء ينظرون المحاكمة، وتشير التقارير إلى أن السفارة السورية فى برلين الشرقية هى التى امنت المتفجرة. وقد أصيب فى الحادث أحد عشر شخصاً.

٢ آذار/ مارس– الضفة الغربية: قام مسلحان باغتيال رئيس بلدية نابلس، ظافر المصرى، وهو فلسطينى عينته فى منصبه السلطات الإسرائيلية. وأعلنت كل من مجموعة ابو نضال والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤليتها عن عمل الاغتيال.

١٩٨٥:

٢٧ كانون الأول/ ديسمبر– روما وفيينا: هاجم أرهابيون تابعون لمجموعة أبو نضال شباكى تذاكر شركة العال فى مطارى روما وفيينا فى وقت وأحد فقتلوا ما يزيد على ٢٠ شخصاً بما فى ذلك خمسة أميركيين وجرحوا ١٢٠ شخصاً آخرينن (رغم أن هذه الهجمات نفذت برعاية ليبيا، فإن تقارير التحقيق الإيطالى تشير إلى أن مجموعة روما تلقت التدريب فى مناطق لبنانية خاضعة لسيطرة سوريا وأنها مرت عبر دمشق فى طريقها إلى

روما).

٢٥ ايلول/ سبتمبر- ايطاليا: انفجرت قنبلة فى مكتب لشركة الخطوط الجوية البريطانية فى روما فأصابت ١٥ شخصاً بجروح. والقت الشرطة القبض على حسان عتاب وهو يحاول الفرار من مكان الحادث. وادعى عتاب أنه عضو فى المنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين، وهو اسم يستعمله أبو نضال «للتمويه»، وتعرف عليه فى وقت لاحق شهود قالوا أنه نفس الشخص الذى القى قنبلة يدوية على مكتب شركة الخطوط الجوية الأردنية فى أثينا فى آذار/ مارس.

١٨ ايلول/ سبتمبر- اليونان اغتيل فى أثينا ميشيل النمرى، وهو صاحب مجلة أردنية يقال أنه كان صديقاً لياسر عوفات، وفى اليوم التال أعلنت منظمة ايلول الأسود، وهو اسم تستعمله مجموعة أبو نضال، مسؤوليتها عت العمل.

١٦ ايلول/ سبتمبر- ايطاليا: القيت قنبلة على مقهى رصيف فى روما فجرحت ٣٨ سائحاً بينهم تسعة أميركيين. والقت الشرطة القبض على فلسطينى على علاقة بالهجوم. وفى ١٩ ايلول/ سبتمبر أعلنت المنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين، وهى مجموعة أخرى تدعمها سورية، مسؤوليتها عن العمل.

٣ ايلول/ سبتمبر- اليونان غ القى أرهابيون قنابل يدوية جرحت ١٩ سائحاً بريطانيا فى فندق غليفادا فى أثينا. وادعت منظمة ايلول الأسود أن الهجوم استهدف الضغط على السلطات اليونانية لاطلاق سراح رجل كانت قد القى القبض عليه قرب السفارة الأردنية فى ٢١ آب/أغسطس.

٣١ آب/أغسطس- اليونان: القت الشرطة القبض على رجل مدجج بالسلاح قرب السفارة الأردنية فى أثينا واعترف الرجل، واسمه سمير سلامة، بأنة ينتمى إلى منظمة ايلول

الأسود وادعى أنه كان يخطط لاغتيال السفير الأردني.

٨ آب/ أغسطس- اليونان: انفجرت قنبلة في مطبخ فندق «لندن» في أثينا فتسببت في جرح ١٣ شخصاً- تسعة منهم مواطنون بريطانيون. وأعلنت المنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين مسؤوليتها عن العمل، قائلة أن الفندق هو مخبأ للجواسيس البريطانيين.

٢٤ تموز/يوليو- تركيا: اغتيل السكرتير الأول في السفارة الأردنية في انقرة على يد مسلح وحيد، وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

١١ تموز/ يوليو- الكويت: وقع انفجارات في غضون دقائق بين الواحد والآخر فقتلا ثمانية اشخاص وجرحا ٨٩ آخرين في مقهيين يبعد أحدهما عن الآخر مسافة حوالي ١٠ كيلو مترات. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

١ تموز/ يوليو- أسبانيا: وقع انفجار في مكتب الحجز والتذاكر العائد للخطوط الجوية البريطانية في مدريد، وحطم الانفجار أيضاً مكتب شركة طيران عبر العالملخشةئلد الواقع في الطابق العلوي. وأصيب مكتب شركة طيران الخطوط الجوية الأردنية عالية المجاور بنيران أسلحة رشاش والقيت عليه قنبلتان لم تنفجرا. وقتل في الحادث شخص واحد وجرح ٢٧ آخرون. وادعت كل من منظمة المحرومين والمنظة الثورية للمسلمين الاشتراكيين ومنظة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٤ نيسان/ إبريل- اليونان: اطلق صاروخ على طائرة تابعة للخطوط الجوية الأردنية فيما كانت تهم بالاقلاع من مطار أثينا. وقد أصاب الصاروخ الطائرة ولكنه لم ينفجر، وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٣ نيسان/ إبريل- إيطاليا: أخطأ صاروخ مكاتب السفارة الأردنية الواقعة في الطابق

الخامس من أحد المبانى التجارية فى روما. ولم تفد التقارير عن وقوع ضحايا. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢١ آذار/ مارس– إيطاليا: القى ثلاثة رجال مجهولى الهوية قنابل يدوية على مكاتب شركة الطيران الأردنية فى روما، فأصيب شخصان. وأعلنت ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢١ آذار/ مارس– اليونان غ القى رجل مجهول الهوية قنبلة يدوية على مكتب شركة الطيران الأردنية فى أثينا فجرح ثلاثة اشخاص وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢١ آذار/مارس– قبرص: القى رجل مجهول الهوية قنبلتين يدويتين على مكتب شركة الطيران الأردنية فى نيقوسيا. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٩ آذار /مارس– الأمارات العربية المتحدة: عثر على قنبلة فى طائرة تابعة لشركة الطيران الأردنية، وادعى الشاب الفلسطينى الذى كان يحمل القنبلة على متن الطائرة التى كانت متوجهة من كراتشى إلى عمان أنه كان يظن أنه ينقل مخدرات لدعم عمليات أبو نضال الأرهابية.

٢٢ شباط/ فبراير– الأردن: زرع حزب الشعب الثورى الأردنى متفجرة فى المركز الأميركى للبحوث الشرقية فى عمان. وقد عثر على المتفجرة وتم تعطيلها.

١٠ كانون الثانى/ يناير– الأردن: تم تعطيل متفجرة زرعها حزب الشعب الثورى الأردنى قرب مقر سكن موظف فى الوكالة الأميركية للتنمية الدولية. ولم تكن المتفجرة مزودة بصاعق ولابجهاز توقيت.

١٩٨٤،

٢٩ كانون الأول/ديسمبر– الأردن: اغتال مسلحان مجهولا الهوية فهد القواسمة، عضو اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس بلدية مدينة الخليل سابقاً، وذلك خارج منزله فى عمان. وجرح فى الحادث شاهدان اصيبا بالرصاص وهما يحاولان سد الطريق أمام سيارة المسلحين. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

١٤ كانون الأول/ديسمبر– إيطاليا: قتل إسماعيل درويش، أحد القادة العسكريين البارزين فى حركة فتح، فى أحد شوارع روما على يد رجل مجهول الهوية تمكن من الفرار بواسطة دراجة نارية كانت بانتظاره. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤليتها عن العمل.

٤ كانون الأول/ ديسمبر– رومانيا: قتل نائب رئيس البعثة الدبلوماسية الأردنية وهم يهم بركوب سيارته فى بوخارست. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢ كانون الأول/ ديسمبر– الأردن: اكتشف حارس قنبلة مخبأة فى حقيبة يد داخل بناية شركة «أميركان لايف انشورنس» و «سيتى بنك» فرع عمان. ز وعطل خبراء المتفجرات تلك المتفجرة التى كانت تحتوى على ١٨ كتله من مادة الـ تى إن تى وجهاز توقيت. وتبين لاحقاً أن حزب الشعب الثورى الأردنى هو المسؤول عن العمل.

١٢ آب/ أغسطس– الأردن: عطلت الشرطة الأردنية متفجرة تحتوى على مئات الغرامات من المتفجرات السوفياتية الصنع بالقرب من منزل أحد مسؤولى السفارة الأميركية. وتبين لاحقاً أن حزب الشعب الثورى الأردنى هو المسؤول عن العمل.

١١ آب/ أغسطس– الأردن: حاول أعضاء فى حزب الثورى الأردنى تفجير قنبلة خارج دار الإذاعة والتليفزيون الأردنيين. وقد اكتشفت القنبلة وتم تعطيلها.

٣ آب / أغسطس– الأردن: انفجرت قنبلة تحت سيارة صهريج ماء متوقفة قرب

مخزن تابع للسفارة الأميركية فى عمان، ولم تقع اصابات نتيجية الانفجار الذى تسبب بأضرار طفيفة. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

٢٩ أيار / مايو- قبرص: اغتيل فى ليماسول عبد الله أحمد سليمان السعدى وهو ضابط سابق فى منظمة الصاعقة تركها لينتمى إلى جناح عرفات. والقى القبض على أربعة رجال وأمرأتين من السوريين بتهمة الاغتيال ثم طردوا فى وقت لاحق من قبرص.

٢ أيار/ مايو- قبرص: قتل رجل مجهول الهوية الناشر الفلسطينى حنا مقبل وجرح سكرتيره فى نيقوسيا. ويقال أن مقبل كان من أعضاء مجموعة أبو نضال ثم انتقل إلى معسكر عرفات.

٢٤ آذار/ مارس- الأردن: تم تعطيل قنبلة خارج القنصلية البريطانية فى عمان. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤليتها عن العمل.

٢٤ آذار/ مارس- الأردن غ تم اكتشاف وتعطيل قنبلة خارج المركز الثقافى البريطانى. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

٢٤ آذار / مارس - الأردن: انفجرت قنبلة فى موقف للسيارات فى فندق انتركونتيننتال الذى يقع مقابل السفارة الأميركية، فادى ذلك إلى تحطيم سيارتين واصابة أحد موظفى الوكالة الأميركية للتنمية الدولية وابنته بجروح طفيفة. وأكتشفت قنبلة ثانية في المكان نفسه وتم تعطيلها. وأعلنت منظمة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

١٩٨٢،

٢٩ كانون الأول / ديسمبر - اسبانيا غ: هوجم موظفان فى السفارة الأردنية من قبل رجل وحيد وهما يغادران مبنى السفارة. فقتل وليد جمال بلقيس على الفور واصيب إبراهيم سامى محمد بجروح خطيرة. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن

العمل.

١٩ كانون الأول / ديسمبر – تركيا: تم اكتشاف سيارة مستأجرة مفخخة مهجورة متوقفة بين البيت الثقافى الفرنيسة وفندق كورديون الذى يستخدمه أفراد القوات المسلحة الأميركية فى أزمير. ويبدو أن جهاز توقيت المتفجرة تعطل عن العمل. وربطت الشرطة التركية الحادثة بمجموعة أبو نضال وعملاء سوريين.

٧ تشرين الثانى/ نوفمبر– اليونان: جرح أثنان من حراس السفارة الأردنية فى احد شوارع أثينا المزدحمة. وتوفى احد الحارسين متأثراً بجراحه. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن الحادث.

٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر– إيطاليا: جرح السفير الأردنى لدى الفاتيكان وسائقه فى محاولة اغتيال فى روما، وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

٢٥ تشرين الأول/ أكتوبر– الهند: جرح السفير الأردنى على يد مسلح مجهول الوية فى نيودلهى. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

١٣ تشرين الأول/ أكتوبر– الأردن : القيت قنبلتان يدويتان على إحدى ثكنات الشرطة فى عمان. واعترف أحد أفراد الشرطة بارتكابه العمل مدفوعاً من قبل منظمة الصاعقة. واشتبهت السلطات المحلية فى أن يكون أفراد من منظمة أبو نضال متورطين فى الحادث أيضاً.

٢١ آب/ أغسطس– اليونان: قتل أحد كبار المسؤولين فى منظمة التحرير الفلسطينية، مأمون مريش، على يد رجلين مجهولى الهوية كانا يركبان دراجة نارية، وجرح فى الحادث ابن القتيل وسائقه، وأعلنت حركة إعادة بناء فتح مسؤوليتها عن العمل.

١٠ نيسان/ إبريل– البرتغال: قتل عصام السرطاوى، الذى كان يشارك فى مؤتمر

دولى للاشتراكيين كعضو مراقب ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية، فى بهو أحد الفنادق. وأصيب سكرتير السرطاوى بجروح طفيفة فى الهجوم. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

أربعة أسعار للدولار بمقاييس أسد الأقتصادية:

الاقتصادى الأسد وبما هو أفضل صفة يمكن أن تطلق على الاقتصاد السورى. وهل يمكن أن يكون للدولار أربعة أسعار فى بلد واحد. فقد خفض النظام السورى قيمة الليرة السورية تجاه الدولار الأميركى مؤخراً.. وكان السعر الرسمى للدولار منذ عام ١٩٧٦ حتى منتصف عام ١٩٧٨ محدداً بـ ٣,٩٢ ليرة. أما الآن فقد أصبح هناك أربعة أسعار صرف رسيمة للدولار:

السعر الأول: يعتمد فى المعاملات الحكومية والحكومية وللاستيراد والتصدير للمؤسسات العامة وهذا السعر يساوى ١١,٢٠ ليرة لكل دولار أميركى.

السعر الثانى: وهو للسياح الأجانب والقطاع السياحى ويساوى للدولار الواحد ١٦,٢٥ ليرة سورية.

السعر الثالث: وهو مخصص لتحويلات السوريين العاملين فى الخارج ولعمليات الاستيراد من القطاع الخاص وسعر الدولار يساوى ٢٧ ليرة سورية للشراء و٢.٩ ليرة سورية للبيع.

السعر الرابع: سعر أسد وعائلته وهذا يتم حسب الأوامر التى تثقل الاقتصاد السورى بكامله.

وفوجئ كل رجال الاقتصاد من هذا القرار لآن الدولار الأميركي يشهد عملية انخفاض هائلة فى كل أنحاء العالم حتى فى لبنان واقتصاده التى تفتك به الحرب الأهلية.

ولا يمكن تحديد سعر صرف الدولار من قبل الحكومة فى أى بلد من العالم بل أن الذى يحدد السعر هو عملية العرض والطلب والمؤشرات الاقتصادية من تجارة خارجية وموازنة ودخل قومى.

ولكن الديون التى كبل بها حافظ أسد وزبائنه وصفت سورية فى حاجة ملحة إلى العملات الأجنبية لتسديد هذه الديون المتراكمة.

وقد لا يصدق أى إنسان أن سعر النفط فى سورية قد أرتفع مؤخراً وأصبح سعر صفيحة البنزين ٢٠ ليتراً ٢٠٠ ليرة سورية بينما فى جميع أنحاء العالم فإن التخمة النفطية أدت إلى انخفاض أسعار البنزين.

هذه الأرقام لا تحتاج إلى أقتصادى للتعليق عليها بل تحتاج إلى مواطن سورى يعرف بها ويلم بها حتى يعرف ويدرك أن اقتصاد أسد قاد البلاد إلى الهاوية. ولكن هل هذه الأرقام معروفة لدى المواطن العربى السورى.

وإذا عرفت أن انخفاض المساحات المزروعة بالقمح والقطن حقق انخفاضاً قياسياً وحسب الأحصائيات الصادرة عن مجلس رئاسة الوزراء نجد أن مساحة ٦١٦٩ كيلو متر مربع من الأراضى الصالحة للزراعة يمثل القمح ٢٢٪ منها، وبلغ إنتاج القمح فى عام ١٩٨٦ حوالى ١,٧٥ مليون طن بينما تجاوز الاستهلاك ٢,٤ مليون طن. أى أن سوريا استوردت حوالى ٦٥٠ الف طن من القمح لسد احتياجتها. وكان النظام السورى قد استورد فى عام ١٩٨٥ مليون طن من القمح و ٤٠٠ الف طن من السكر و ٢٥٠ الف

طن من الشعير و٢٠ الف طن من اللبن المجفف و٢٥ الف طن من الزبد و٢٠٠ الف طن من الدقيق.

أما إنتاج القطن الذى يعمل فى زراعته مليون نسمة فإن إنتاج الهيكتار الواحد فى عام ١٩٧٧ كان ٣١١٧يلو جرام من القطن.

وأصبح فى عام ١٩٨٧، ٢٥٠٦ كيلو جرام أى عوضاً عن زيادة الإنتاج أى أن هناك تراجع مع أن الزراعة تعتبر قطاعاً اقتصادياً مهماً ولم تجلب الدولة سوى مليار دولاربين أعوام ١٩٨٢ و١٩٨٥.

وهذا إذا عرفنا أن ثلث الشعب السورى يعمل فى الزراعة. فأى حياة لهؤلاء المزارعين فى ظل نظام أسد...؟

تم بحمد الله

الصفحة

الفصل الأول:

ملفات المعارضة السورية. ٨

الفصل الثاني:

إغتيال البيطار. ١٧

الفصل الثالث:

أسرار الصراع. ٣١

الفصل الرابع:

لا خلافات بين الشقيقين. ٥١

الفصل الخامس:

التسلل إلى المعارضة. ٧٥

الفصل السادس:

التفاوض مع النظام. ١٤٧

الفصل السابع:

رئيس الجمهورية الأسبق. ١٥٩

الصفحة

الفصل الثامن:

الوحدة والإنفصال. ١٩٥

الفصل التاسع:

تغيير النظام السورى. ٢٢١

الفصل العاشر:

أنشقاق الأخوان المسلمين. ٢٤٣

الفصل الحادى عشر:

الأمانة العامة للتحالف. ٢٧١

الفصل الثانى عشر:

أسرار وحقائق الطائفة العلوية. ٢٩٥

الفصل الثالث عشر:

ردرد على المعارضه السورية. ٣٦١

الفصل الرابع عشر:

شهادات أميركية. ٣٧٣

الجمع التصويري والإخراج الفني بشركة إبي.إم.جرافيك القاهرة تليفون ٧٢٤١٤٨

رقم الإيداع ٧٧٦٢ لسنة ١٩٩٤
الترقيم الدولى
I.S.B.N
977 — 208 — 133 — 4



ت : ٩٣٢٢٧٠٦

ملفات المعارضة السورية

أكثرية النـاس فى سـوريا ضد النظام من مختلف الطوائف بما فى ذلك العلوية ، ولم يكن من السهل بروز معارضة من الداخل . ورغم القـتل والبطش والتنكيل والارهاب الشـديد المفروض على الناس ، فقد قامت سنة ١٩٨١ نقابات الأطباء والمحامين والمهندسين بحركة احتجاج عنيفة ، ونفذ اضراب ومقاطعة ، وقدمت مطالب مهنية وسياسية بينها المطالبة بالديمقراطية ، وردّ النظام بحل النقابات واعتقال أعضائها ، وعدد كبير منهم لا يزال معتقلاً إلى اليوم . المعارضة فى الداخل ليست بالمسألة السهلة ، **ومن يريد أن يعارض يجب أن يعرف أن الموت هو الثمن الطبيعي للمعارضة** وطوال عهد حافظ الأسد ، وقبله صلاح جديد ، كان الضغط منصباً على المعارضة العلمانية من البعث والناصريين والاشتراكيين العرب منذ عام ١٩٦٦ وإلى عام ١٩٧٩ على الأقل ، **والتيار الإسلامى فى تلك الفترة لم يتعرض للإرهاب والضغوط** ، وكان أمامه مجال التحرك مفتوحاً . وفى أواخر السبعينات ؛ ولأن التيار الإسلامى هو جزء من مشاعر الشعب السورى **نشأت حركة داخل تنظيم الإخوان المسلمين** أتت بقيادة جديدة غير القيادة التاريخية وغير قيادة عصام العطار الذى لا تزال شقيقته وزيرة فى حكومة حافظ الأسد .